سلسلة
حياة النبي محمد وأهل بيته

٢

الأمام

علي بن أبي طالب ع

إعداد:
نخبة من العلماء

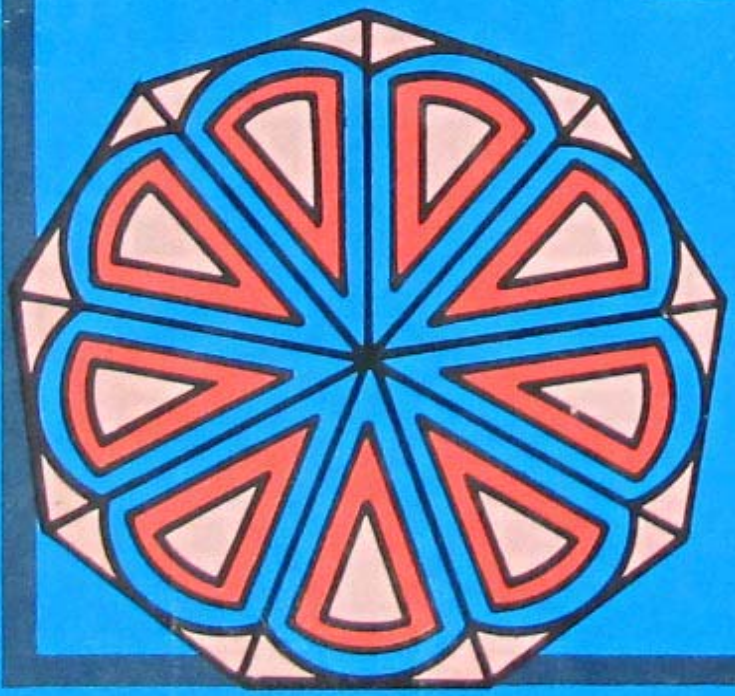

دار المحجة البيضاء
دار الرسول الأكرم ص

الامام

علي بن ابي طالب ع

سلسلة
حياة النبي محمد وأهل بيته

٢

الإمام
علي بن أبي طالب ع

إعداد:
نخبة من العلماء

دار البيضاء

دار الرسول الأكرم ص

مكتبة الروضة الحيدرية
الرقم ٣٢١-١٨
التاريخ ٢٨/ ٣/ ٢٠١٤

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤١٤هـ - ١٩٩٣م

دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع - [illegible] ١٤/٥٤٧٩

مكتبة الروضة
النجف الا

مقدمة خاصة

إن الاهتمام برسول الله (ص) وأهل البيت (ع)، تربية وتأهيلاً وتفضيلاً، لم يكن اهتماماً عاطفياً بقدر ما هو امتثال لأمر إلهي قاطع، صدر عن رب العالمين، حينما أوحى برسالته الخالدة إلى محمد بن عبد الله ليخرج البشرية من ظلمات الالحاد والشرك الى نور الايمان والتوحيد، آمراً رسوله بقوله عز من قائل:

﴿لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودَّة في القربى﴾

فكانت مودتهم ان لاقوا التقتيل والتعذيب والتشريد، وتجرعوا المحن والغصص، صابرين محتسبين، هم وشيعتهم الأبرار، بشكل يفتت الاكباد، ويذيب الجماد.

ولما أخذت الدار على عاتقها نشر نبذة صغيرة عن النبي (ص) وأهل البيت (ع) في محاولة منها للتعريف بهؤلاء الأفذاذ، ليتسنى لكل مسلم التعرف على قادته بشكل صادق وواعي ويكون من السهل التعرف على أئمتنا حتى لا نكون ممن ماتوا ولم يتعرفوا على أئمة زمانهم فنموت ميتة الجاهلية.

فمع الحلقة الثانية من تلك الحلقات:
مع علي بن ابي طالب (ع)

الجزء الأول

بزوغ الفجر

في يوم الجمعة، الثالث عشر من شهر رجب المبارك، وقبل بعثة محمد رسول الله (ص) باثنتي عشرة سنة، اشتد المخاض على فاطمة بنت أسد، فجاء بها أبو طالب الى الكعبة المشرفة، وأدخلها فيها ثم قال لها اجلسي... وخرج عنها، فرفعت يدي الضراعة الى العلي الأعلى سبحانه قائلةً: «ربي إني مؤمنة بك، وبما جاء من عندك من رسل وكتب وإني مصدقة بكلام جدي ابراهيم الخليل -ع- وانه بنىٰ البيت العتيق، فبحق الذي بنىٰ هذا البيت والمولود الذي في بطني الاّ ما يَسرتَ علي ولادتي»[1و2].

ولم يمضِ على فاطمة غير ساعة حتى أعلنت أنها قد وضعت ذكراً، وهو أول مولود ولِدَ في الكعبة المشرفة ولم يولد فيها بعده سواه تعظيماً له من الله سبحانه واجلالاً[3و4]، وأسرع البشير الى أبي طالب وأهل بيته، فأقبلوا مسرعين والبشر يعلو وجوههم.

وتقدم من بينهم محمد المصطفىٰ[5] (ص) فضمه الى صدره وحمله الى بيت أبي طالب، حيث كان الرسول في تلك الآونة، يعيش مع خديجة، في

(١و٢) كشف الغمة للأربلي ج ١ - فصل ذكر الامام علي -ع-.

(٣و٤) مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٤٨٣ والكفاية للحافظ الكنجي الشافعي وشرح الخريدة الغيبية في شرح القصيدة العينية لشهاب الدين السيد محمود الآلوسي ص ١٥ ونور الابصار للشبلنجي ص ٧٦ ومطالب السؤول ص ١١ لمحمد بن طلحة الشافعي والمناقب للأمير محمد صالح الترمذي. نقلاً عن الغدير ج ٦ من ٢٢ الى ٣٨ لعبد الحسين الأميني ط ٣ سنة ١٩٦٧ بيروت.

(٥) الفصول المهمة في معرفة الأئمة/ لابن الصباغ المالكي/ الفصل الاول ص ١٣.

دارهما منذ زواجه منها.

وانقدح في ذهن ابي طالب، أن يسمي وليده «علياً» وهكذا كان...

وأقام أبو طالب وليمة، على شرف الوليد المبارك، ونحر الكثير من الأنعام[٦].

وقد حضر وليمته جمع حاشد من الناس: قدموا التهاني، وعاشوا ساعات من البهجة، أبدوا فيها مشاعرهم الفياضة، وأحاسيسهم السامية، نحو عميدهم شيخ الأبطح، ووليده المبارك...

ومرت الأيام سريعة، والوليد المبارك يتقلب بين أحضان والديه: أبي طالب، وفاطمة، وابن عمه محمد (ص)، الذي كان دائم التردد على دار عمه، التي ذاق فيها دفء المودة، وشرب من ينابيع الاخلاص والوفاء الصافية، خلال سنوات صباه وشبابه...

أجل كان النبي محمد (ص) يتردد كثيراً على دار عمه، بالرغم من زواجه من خديجة، وعيشه معها في دار منفردة، وكان يشمل علياً بعواطفه، ويحوطه بعنايته، ويناغيه في يقظته، ويحمله على صدره، ويحرك مهده عند نومه، الى غير ذلك من مظاهر العناية والرعاية...

في كفالة رسول الله (ص):

وبعد مضي ست سنوات على ولادة علي (ع) تعرضت قريش لأزمة اقتصادية خانقة، وقد كانت وطأتها شديدة على أبي طالب، إذ كان رجلاً ذا عيال كثيرة، وكهفاً يلوذ به المحتاج والفقير، بحكم مركزه الاجتماعي في مكة... أيرضى المصطفى (ص) وبنو هاشم، أن تقسو الحياة على عميدهم؟!

أقبل الرسول (ص) على عمه العباس بن عبد المطلب، وهو أثرى بني هاشم يومها، فخاطبه بقوله: «... يا عم، إن أخاك أبا طالب كثير العيال،

---

(٦) البحار ج ٣٥ ص ١٨.

وقد أصاب الناس ما ترى فانطلق بنا الى بيته لنخفف من عياله، فتأخذ انت رجلاً واحداً، وآخذ أنا رجلاً فنكفلهما عنه. . .»[٧].

وحظي رأي المصطفى (ص) بالتأييد والرضاء من قبل عمه العباس، فأسرعا الى أبي طالب، وخاطباه بالأمر؛ فاستجاب لما عرضا قائلاً: «اذا تركتما لي عقيلاً وطالباً، فاصنعا ما شئتما. . .»[٨].

فأخذ العباس جعفراً. . .

وأخذ رسول الله (ص) علياً (ع)، وكان عمره يومئذٍ ستة أعوام[٩]، وقد قال (ص) بعد أن اختار علياً (ع): (**قد اخترت من اختاره الله لي عليكم ـ علياً**[١٠]).

وهكذا عاش علي (ع) منذ نعومة أظفاره في كنف محمد رسول الله (ص): نشأ في رعايته، وشرب من ينابيع مودته وحنانه، ورباه وفقاً لما علمه ربه تعالى، ولم يفارقه منذ ذلك التاريخ، حتى لحق الرسول (ص) بربه الأعلى. . .

حصيلة الاعداد النبوي:

أشار الامام علي (ع) الى أبعاد التربية التي حظي بها من لدن استاذه الرسول (ص)، ومداها وعمقها، وذلك في خطبته المعروفة بالقاصعة، إذ جاء فيها ما نصه: «**وقد علمتم موضعي من رسول الله صلّى الله عليه وآله، بالقرابة القريبة، والمنزلة الخصيصة، وضعني في حجره، وأنا ولد، يضمني الى**

---

(٧) الفصول المهمة/لابن الصباغ الفصل الأول ص ١٤ وشرح نهج البلاغة جـ ١ لابن أبي الحديد ص ١٥١.

(٨) سيرة ابن هشام ج ١ باب ذكر أن علي بن أبي طالب أول ذكر أسلم ص ٢٨٤، وبحار الأنوار ج ٣٥ ص ٤٤ وشرح النهج ج ١ ص ١٥.

(٩) في رحاب علي/ خالد محمد خالد ص ٤٦ ط/٢ دار الأندلس بيروت وشرح النهج ج ١ ص ١٥.

(١٠) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١ ص ١٥ نقلاً عن البلاذري والأصفهاني.

صدره، ويكنفني في فراشه، ويمسني جسده، ويشمني عرفه، وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه، وما وجد لي كذبة في قول، ولا خطلة في فعل».

«ولقد قرن الله به صلّى الله عليه وآله، من لدن ان كان فطيماً، أعظم ملك من ملائكته، يسلك به طريق المكارم، ومحاسن أخلاق العالم، ليله ونهاره، ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل أثر أمه، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً، ويأمرني بالاقتداء به».

«ولقد كان يجاور في كل سنة (بحراء)، فأراه ولا يراه غيري، ولم يجمع بيت واحد يومئذٍ في الإسلام، غير رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ وخديجة، وأنا ثالثهما. أرى نور الوحي والرسالة، وأشم ريح النبوة...»[11].

والذي يستقرىء هذا النص، بامعان، يتجلى له أن علياً (ع) قد حظي برعاية الرسول (ص) وحدبه، وإيثاره منذ أيام طفولته، فكان يمضغ الشيء ثم يضعه في حجره، ويضمه الى صدره، ويعامله كما لو كان ولده الحبيب...

أما في صباه، وشبابه، فقد انصب جهد رسول الله (ص) على تكوين شخصيته: إذ كان يأمره بالاقتداء به، وسلوك سبيله، وفي كل يوم يرفع له من أخلاقه علماً وعليٌّ كان يتبع أثره، اولاً باول، كما يصف ذلك في حديثه.

ولهذا وذاك، فإن من خطل الرأي، أن لا يعتقد امرؤ ان مسألة اختيار علي (ع) من لدن الرسول (ص) يوم أملق ابو طالب ـ كما أسلفنا ـ كانت هادفة ابتداء لكي يأتي علي (ع) صورة مجسدة لشخصية رسول الله (ص)، في فكره ومواقفه وشتى ألوان سلوكه، بل حتى في مشيته[12].

فلقد كان الإمام (ع) من الصفاء الروحي، والاستقامة الخلقية، وفقاً لما علمه رسول الله (ص)، بحيث كانت تتكشف له الكثير من حجب المستقبل المستور، فها هو يقول: «ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزول الوحي عليه،

---

(١١) نهج البلاغة تعريب د. الشيخ صبحي الصالح ط ١ ١٩٦٧ ص ٣٠٠.

(١٢) علي بن ابي طالب/ عبد الفتاح عبد المقصود ج ١ ص ٣٩ والاملاق: الفقر.

صلوات الله عليه، فقلت يا رسول الله ما هذه الرنة فقال: هذا الشيطان قد أيس من عبادته، إنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى إلاّ أنك لست بنبي، ولكنك وزير، وانك لعلى خير. . .»[١٣].

فان الشوط الذي قطعه في مضمار التقرب الى الله سبحانه، وامتثال أوامره، وتجسيد متطلبات رسالته، رشحه لان يكون وزيراً للنبوة، وهو مقام، لا يناله إلا من قطع شوطاً بعيداً، باتجاه قمة الفضيلة والتقى، فلم يفصله عن الرسول (ص) إلاّ درجة النبوة، فارتقى منصة الوزارة بحق وجدارة، وهكذا كان علي. . .

في كنف الوحي

وإذا كان الإمام (ع) قد عاش ست سنوات، في أحضان والديه واخوته، وكان لرسول الله (ص) دور بارز في رعايته، طوال تلك السنوات الندية من عمره (ع). فان رعاية علي وتربيته، صارت من اختصاص المصطفى (ص) دون منازع، منذ السنة السادسة، حيث انتقل (ع) الى دار رسول الله (ص) على إثر الضائقة المالية التي ألمت بابيه ابي طالب، كما ذكرنا.

ومنذ تلك السن المبكرة عاش علي (ع) مع رسول الله (ص) في بيته قبل الدعوة، حيث قضى تحت رعايته سنوات الصبا وسنوات التفتح على الحياة، وخلالها عايش الامام (ع) كل التطورات التي اكتنفت حياة الرسول (ص). . .

وبناء على ذلك فعلي لم يحظ بالتربية السالوفة، التي يحظى بها غالباً طفل من لدن أبيه، أو صغير من لدن أخيه الاكبر، وانما كان اعداده وتربيته من نوع خاص، وحسبك أنه كان يتبع محمداً (ص) حتى في ساعات اختلائه في غار حراء. . . ويشهد التطور الروحي والفكري الذي كان رسول الله (ص) يمر فيه، وها هو (ع) يستذكر تلك الأيام الخالدة وذلك الشطر الحساس من حياته،

---

(١٣) نهج البلاغة ص ٣٠١ (الخطبة القاصعة) تبويب د. صبحي الصالح

فيقول: «. . . **ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء، فأراه، ولا يراه غيري**»[١٤] ـ كما ألمحنا إلى ذلك ـ أجل كان (ع) يعايش التحول الروحي الهائل، الذي شهدته نفس المصطفى (ص)، حتى أشرق عليه وحي السماء المبارك لينهض بمهمة الدعوة إلىٰ الرسالة الإلهية الخاتمة.

ولقد كان للمستوى الروحي والخلقي البعيد المدى، الذي سمت إليه نفس علي (ع)، أن شعر بالتحول الكبير، الذي جرى في عالم الغيب، من انهزام للشيطان، بعد يأسه من أن يُعبد، فور بعثة الرسالة الخاتمة. . . فلقد شهد علي ارهاصات النبوة، التي شهدها أستاذه ومعلمه الرسول (ص)، وعايشها كما عايشها بملء كيانه، حين سطع الهدى، وتلقى رسول الله (ص) أول بيان من السماء، لتكليفه بحمل الرسالة والدعوة اليها:

﴿اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الذي خَلَقَ * خَلَقَ الانسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اِقْرَأْ وَرَبُّكَ الاكْرَمُ * الذي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الاِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾.

(العلق/ ١ ـ ٥)

---

(١٤) الخطبة القاصعة من نهج البلاغة ص ٣٠١ تبويب د. صبحي الصالح.

اول المؤمنين

حين تلقى الرسول (ص) بيان التكليف الإلهي، بحمل الرسالة، عاد إلى بيته فأطلع علياً (ع) على أمره فاستقبله (ع) بالتصديق واليقين، كذلك فعلت خديجة الكبرى، فانبثق من أجل ذلك أول نواة لمجتمع المتقين في الأرض.

على أنه يجدر بنا، أن نعي أن علياً (ع) لم يدعُه الرسول (ص) الى الاسلام كما دعا غيره فيما بعد، أبداً، لأن علياً (ع) كان مسلماً على فطرة الله تعالى، لم تصبه الجاهلية بأوضارها، ولم يتفاعل مع شيء من سفاسفها، وكل الذي كان: أن علياً (ع) قد أطلعه الرسول القائد (ص) على أمر دعوته ومنهج رسالته، فأعلن تصديقه وأيقن بالرسالة الخاتمة، وبادر لتلقي توجيهاته المباركة تلقي تنفيذ وتجسيد... ولهذا يقال (كرم الله وجهه).

فان علياً (ع) كان مؤهلاً ـ كما بينا في مطلع الحديث ـ لإتباع رسول الله (ص) في دعوته، لأنه (ص) كان قد أنشأ شخصيته، وأرسى لبناتها الأساسية.

ولا أظنني أضيف جديداً إذا قلت أن الإمام (ع) لم يفاجأ بأمر الدعوة

---

(١٥) اضافة الى كتب التاريخ التي تصرح بأن علياً أول الناس اسلاماً فهناك عدة احاديث عن رسول الله ـ ص ـ تحدد هذه الحقيقة راجع المستدرك ج ٣ ص ١٣٦ والخطيب البغدادي في تاريخه ج ٢ ص ٨١ ومناقب الخوارزمي وحلية الاولياء ج ١ ص ٦٦ والسيرة الحلبية ج ١ ص ٢٨٥ وسيرة زيني دحلان في هامش الحلبية ج ١ ص ١٨٨: نقلا عن الغدير ج ٣ ص ٢٢٠ ـ ٢٤٢ ط ٣/١٩٦٧ بيروت.

المباركة، طالما عاش في كنف رسول الله (ص) وتفيأ ظلاله، فالمصطفى محمد (ص) ـ كما نعلم ـ كان يعبد ربه تعالى وينأى عن الجاهلية في مفاهيمه وسلوكه وعلاقاته، قبل أن يتنزل عليه وحي السماء، بأول سورة من القرآن الكريم...»[١٦].

وعلي (ع) كان مطلعاً على عبادة اخيه رسول الله (ص) وممارساته وتحولاته الروحية والفكرية، فكان يتعبد معه، وينهج نهجه، ويسلك سبيله، في تلك السن المبكرة من عمره...

أما حين فاتحه رسول الله (ص) بأمر الدعوة الإلهية، فقد لبى النداء بروحه ووعيه وكل جوارحه، دون أن يباغت في الأمر، وان كان هناك من جدة في المسألة، فإنما هي في الكيفية التطبيقية للرسالة ودرجة المسؤولية الواجب تحملها، أو في تفاصيل الاحكام... وحين بُلِّغ رسول الله (ص) بأمر التكليف الإلهي لحمل الدعوة المباركة، بلغ كذلك، أن تنصب دعوته أولاً على الخاصة من أهل بيته (ع)، وقد أشار ابن هشام في سيرته لذلك بقوله: «فجعل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم يذكر ما أنعم الله عليه، وعلى العباد به، من النبوة سراً الى من يطمئن إليه من أهله...»[١٧] ومن أجل ذلك فاتح علياً وخديجة بالدعوة ـ كما ذكرنا ـ وبعدهما زيد بن حارثة، وبقي أمر الدعوة طي الكتمان لا يعلمه غير هؤلاء، وبعض الخاصة من أهل البيت (ع).

وقد أشار الإمام علي بن الحسين (ع) في حديث له حول اسلام جده علي بن أبي طالب (ع) بقوله: (... **ولقد آمن بالله تبارك وتعالى وبرسوله (ص) وسبق الناس كلهم الى الإيمان بالله وبرسوله والى الصلاة ثلاث سنين**)[١٨].

---

(١٦) يراجع كتابنا /محمد رسول الله/ الدعوة/ من منشورات مؤسسة البلاغ.

(١٧) جـ ١ ص ٢٥٩ مصر ط ١٩٣٦ تحقيق مصطفى السقا وجماعة.

(١٨) الروضة من كتاب الكافي للشيخ الكليني جـ ٨ حديث اسلام علي ـ ع ـ وهناك أحاديث بهذا الصدد يرويها كل من النسائي وابن ماجة والحاكم والطبري في تاريخه والرياض النضرة جـ ٢ ص ١٥٨ وكتاب صغير لنصر بن مزاحم ص ١٠٠ وغيرها =

ولأسبقيته في حمل الدعوة أشار الامام (ع) في حديث جاء فيه: «... **ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الاسلام غير رسول الله صلّى الله عليه وآله وخديجة، وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرسالة، وأشم ريح النبوة...**».

وبعد أن تخطت الدعوة مرحلة دعوة الخاصة من أهل البيت (ع) جاءت مرحلة دعوة من يتوسم رسول الله (ص) فيهم القبول لدعوته، فانخرط عدد من الناس في سلك الدعوة، كان أغلبهم من الشباب، وكانت لقاءاتهم من أجل قراءة القرآن الكريم، والتعرف على أحكام دين الله تعالى تتم بصورة سرية...

أول الدعاة:

ثم أذن الله عز وجل لرسوله (ص) بدعوة عشيرته الأقربين من بني هاشم، ليوسع من مدار الدعوة بذلك، فقال تعالى:

﴿... وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ * وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِن الْمُؤْمِنِينَ * فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

(الشعراء/ ٢١٤ ـ ٢١٦)

فلما تلقى رسول الله (ص) أمر ربه الأعلى بانذار عشيرته الأقربين، امر علياً (ع) أن يدعوهم الى طعام عنده، فحضروا الى دار رسول الله (ص) وكانوا أربعين رجلاً.

وبعد أن تناولوا طعامهم، بادرهم الرسول (ص) بقوله: «... **يا بني عبد المطلب، إن الله بعثني الى الخلق كافة، وبعثني اليكم خاصة، فقال: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾** وأنا أدعوكم الى كلمتين خفيفتين على اللسان،

= راجع ٢٢١ ـ ٢٤٠ ج ٣ من الغدير، على أن تلك الروايات تشير الى أن ايمان علي وعبادته قد سبق فيها الناس بسبع أو تسع سنين، وهي لا تخالف القول بثلاث سنين أبداً فان المراد بانه سبق بالتصديق بالاسلام بعد الدعوة بثلاث سنين وسبق سواه بالايمان والتعبد مع الرسول (ص) في مرحلة الاعداد التي أشار اليها في خطبة القاصعة بسنوات أخرى...

ثقيلتين في الميزان، تملكون بهما العرب والعجم، وتنقاد لكم بهما الأمم وتدخلون بهما الجنة، وتنجون بهما من النار، «**شهادة أن لا إله إلاّ الله وأني رسول الله**» فمن يجيبني الى هذا الأمر ويؤازرني عليه، وعلى القيام به يكن أخي ووصيي ووزيري ووارثي وخليفتي من بعدي...»[19].

وبين تنديد أبي لهب، وتحذيره لرسول الله (ص) من الاستمرار بالدعوة من جهة، وتأييد أبي طالب له ومخاطبته لرسول الله (ص) بقوله: «**فامض لما أمرت به، فوالله لا أزال أحوطك وأمنعك**»[20].

أقول من خلال التأييد، الذي أعلنه أبو طالب، والتنديد البليد الذي أعلنه أبو لهب، وقف علي بن أبي طالب (ع) وكان أصغر الحاضرين سناً فقال: «**أنا يا رسول الله أؤازرك على هذا الأمر**» فأمره رسول الله (ص) بالجلوس، ولما لم يجبه أحد نهض علي ثانية ورسول الله (ص) يجلسه...

وأعاد رسول الله (ص) دعوته الى قومه، فلم يجبه أحد، وكان صوت علي (ع) وحده يلبي الدعوة، ويهدر بالمؤازرة والنصرة، فمزق صمتهم بصلابة أيمانه، وقوة يقينه، وحيث لم يجب رسول الله (ص) أحد للمرة الثالثة... التفت الى مجيبه الوحيد، قائلا: «**اجلس فأنت أخي ووصيي ووزيري ووارثي وخليفتي من بعدي**»[21].

فنهض القوم من مجلسهم، وهم يخاطبون أبا طالب: «ليهنئك اليوم أن دخلت في دين ابن أخيك، فقد جعل ابنك أميراً عليك»[22].

---

(١٩) أخرج الحديث كل من: ابن اسحاق، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، وأبي نعيم، والبيهقي في سننه وفي دلائله، والثعلبي، والطبري في تفسيريهما لسورة الشعراء من تفسيريهما الكبيرين، وأخرجه الطبري في تاريخ السيرة الحلبية ج ١ ص ٣٨١، والطحاوي، والضياء المقدسي في مختاره، وأحمد بن حنبل ج ١ ص ١١١ وص ١٥٩، والنسائي في خصائصه ص ٦، وكنز العمال ج ٦ الحديث رقم ٦٠٠٨، والمفيد في ارشاده في مناقب علي -ع- وغير هؤلاء كثير وكلهم أوردوه بألفاظ متقاربة/ نقلا عن المراجعات للسيد شرف الدين ص ١٢٤ وما بعدها

(٢٠) الكامل لابن الاثير ج ٢ ص ٢٤ وبحار الأنوار للشيخ المجلسي ج ١٨ ص ١٦٤ وفقه السيرة للشيخ محمد الغزالي ص ١٠٢ - ص ١٠٣

(٢١ و ٢٢) أخرج الحديث وما مضى من فقراته كل من البيهقي في سننه ودلائله والثعلبي =

مواجهة الجاهليين:

ودخلت الدعوة الى الله مرحلة المواجهة ـ بعد انذار العشيرة ـ وأول من قاد ردّ الفعل أبو لهب وزوجته، وكانا يعترضان رسول الله (ص) ويزرعان المشاق في طريقه، لإثنائه عن دعوته المباركة، ولكن دعوة الله سبحانه مضت، تشق طريقها في المجتمع الجاهلي المتحجر ذاك، فقد انتقلت بعد ابلاغ العشيرة الى الدعوة العامة، حيث وقف رسول الله (ص) عند البيت الحرام، وخاطب المجموع بأنه رسول الله اليها...[٢٣].

وبعد الدعوة العامة تزايد عدد المؤمنين وأغلبهم من الشباب ومن شتى قطاعات المجتمع المكي...

وكان لتزايد عدد المؤمنين برسالة الله تعالى أثر بالغ على موقف الجاهليين، فقد سلكوا اسلوب الارهاب للرعيل الأول من المؤمنين، فكانت كل قبيلة وكل بيت يتصدى لمن فيه من المؤمنين بالتعذيب والاضطهاد[٢٤]، والمؤمنون يزدادون صموداً وايماناً بصوت الحق والهدى، الذي دوى به صوت رسول الله (ص) فرددته النفوس الظمأى الى الخير والانعتاق...

وبسبب التعذيب الجسدي الوحشي، الذي صب على المؤمنين، كانت هجرة الحبشة التي قادها جعفر بن أبي طالب والذي يكبر أخاه علياً (ع) بعشر سنين، وكان لجعفر وحكمته الأثر الفعال في إفشال مخطط قريش في إثارة ملك الحبشة على المهاجرين، لطردهم من بلاده[٢٥].

= والطبري ـ في تفسيرهما لسورة الشعراء في تفسيريهما الكبيرين، والطبري في تاريخه جـ ٢ ص ٢١٧ وابن الاثير في الكامل جـ ٢ ص ٢٢ والسيرة الحلبية جـ ١ ص ٣٨١ وابن حنبل في مسنده جـ ١ ص ١١ وص ١٥٩، والنسائي في الخصائص ص ٦، وكنز العمال ج ٦ رقم الحديث ٦٠٠٨ ـ وغير هذه المصادر بالفاظ متقاربة.

(٢٣) تراجع الحلقة الأولى من كتاب محمد رسول الله /الدعوة/ منشورات مؤسسة البلاغ.

(٢٤) المصدر السابق.

(٢٥) المصدر السابق أيضاً.

أبو طالب يتصدى لأعداء الرسالة:

وإذا كانت قريش قد تصدت للسابقين من المؤمنين بالعنف والاضطهاد، فإنها ليست قادرة على التصدي لرسول الله (ص)، قائد الدعوة ورسولها، بنفس المستوى، لعلمها أن أبا طالب شيخ الأبطح، يحول دون تحقيق أي لون من ألوان التصدي والارهاب لرسول الله (ص).

فأبو طالب، رجل مرهوب الجانب، ذو سطوة ونفوذ، ليس في بني هاشم وحدهم، وإنما في قبائل مكة كلها.

وقد كان الرجل سند الدعوة وجدارها الشامخ، الذي تستند اليه منذ تباشير فجرها الزاهر... وقريش كانت تدرك ذلك تماماً.

ومن أجل ذلك، سلكت اسلوب المفاوضة، والمساومة والاغراء: تفاوض الدعوة والرسالة في شخص الرسول (ص) مرة، وفي شخص أبي طالب مرة أخرى... فحين كانت تعرض المال والسلطان على رسول الله (ص)، مقابل تركه الدعوة، والتنازل عن الرسالة، فانها كانت تفاوض أبا طالب، وتحاوره بشأن دعوة الرسول (ص)، طالبة أن يستعمل نفوذه، بالضغط عليه، لترك رسالته، وتهدده باحتدام الصراع بينه وبين قريش كلها، اذا لم يخلّ بينهم وبين رسول الله (ص)، ويكف عن اسناده له.

بيد أن أبا طالب، كان يعلن اصراره على التزام جانب رسول الله (ص)، والذود عنه، مهما غلا الثمن، وعظمت التضحيات.

أبو طالب مع رسول الله (ص) في الحصار:

ولما استبد اليأس بقريش، من أن أبا طالب لن يفرّط بمحمد رسول الله (ص) ودعوته... عقد زعماؤها اجتماعاً طارئاً في دار الندوة - وهي دار أسسها ايام زعامته لقريش قصي بن كلاب. وقد اعتادت قريش أن تجتمع فيها للتشاور في القضايا المصيرية من حياتها - وبالفعل توصل المجتمعون الى قرار، يقضي بحصار بني هاشم، ومن يلوذ بهم، حصاراً اقتصادياً واجتماعياً، ينصب على عدم مبايعة بني هاشم أو الشراء منهم، أو تزويجهم، أو التزوج

منهم، وقد ذيّل قرار المقاطعة ذلك بأربعين توقيعاً لزعماء قريش....

ودخل بنو هاشم شِعْب أبي طالب، بناء على أوامر من عميدهم أبي طالب ذاته، حماية لأنفسهم من سطوة قريش، وأصبح من المتعذر عليهم الخروج الى مكة، الا في موسم العمرة في رجب، وموسم الحج في ذي الحجة من كل عام. وبالنظر لتفاقم الموقف بين بني هاشم وقريش، شدد أبو طالب الحراسة على الشعب، بعد تحصينه، خشية هجوم قرشي مباغت...

واستمر الحال ببني هاشم، بما فيهم رسول الله (ص) وعلي بن أبي طالب (ع) هكذا ثلاث سنين -وقيل أربعاً- وقد عانوا من شظف العيش، والحرمان والفاقة، ما يدمي القلب، ويحز في النفس...

ولك أن تقدر حجم ما عانى المحاصرون من ضيق، اذا علمنا أن قريشاً قد شددت عليهم الحصار بشكل كامل، فقطعت عنهم التموين، وكانت غالباً ما تضاعف أثمان البضائع، ليعجز بنو هاشم عن شرائها، بشكل أدى بهم الى المجاعة الحقيقية، حتى أن صراخ أطفالهم وتضورهم جوعاً كان يسمع من بعيد...

وبعد أن تصرمت السنون الثلاث او الأربع بعسرها وآلامها وفاقتها، وشدتها أخبر رسول الله (ص) عمه أبا طالب أن صحيفة المقاطعة التي كتبتها قريش قد أتت دودة الأرضة على ما فيها من ظلم وقطيعة فأكلتها، إلّا عبارة «باسمك اللهم»، فأسرع أبو طالب الى قريش، قائلاً[٢٦]:

«... إن ابن أخي أخبرني أن الله قد سلط على صحيفتكم الارضة فأكلتها، غير اسم الله، فان كان صادقاً نزعتم عنه سوء رأيكم، وان كان كاذباً دفعته اليكم...».

---

(٢٦) بحار الأنوار للشيخ المجلسي ج ١٩ باب دخول الشعب. طبقات ابن سعد ج ١ ص ١٧٣، ١٩٢، سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٩٩ - ٤٠٤؛ وعيون الأخبار لابن قتيبة ج ٢ ص ١٥١؛ تاريخ ابن كثير ج ٣ ص ٨٤، ٩٦، ٩٧؛ السيرة الحلبية ج ١ ص ٣٥٧ - ٣٦٧؛ الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٣٦. نقلاً عن الغدير ج ٧ ص ٣٦٣ - ٣٦٦.

قالوا: قد أنصفتنا... ثم فتحوها، فإذا هي كما قال... ووقع نزاع شديد بين قريش، نتج عنه تمزيق الصحيفة، وانتهاء المقاطعة، ورفع الحصار عن بني هاشم، وقد كان لافشال مشروع الحصار بذلك الشكل الاعجازي الجلي أثره في كسب الدعوة للمؤيدين، والأنصار في مكة...

أرأيت كم من التضحيات في سبيل الله، بذل بيت علي (ع)؟

فإذا كان علي أول من لبى صوت الحق، وظل مجاهداً في الصف الأمامي من الجبهة الاسلامية طوال حياته، فان أباه قد ضحى حتى بمكانته الاجتماعية، التي كان يحظى بها، وذاق المحن من أجل رسالة الله تعالى، حتى كان بحق الدرع الواقي للرسول (ص)، والدعوة، في حين كانت المكانة الاجتماعية: حلم الرجال، ومبتغاهم في ذلك المجتمع القبلي المادي.

وهكذا كان جعفر بن أبي طالب، شقيق عليّ (ع) الذي دشن حياته الاسلامية بقيادة موكب الهجرة الأولى الى الحبشة... وتوّجها بالشهادة في غزوة مؤتة... ففاز بلقب الطيار مع الملائكة في الجنة كما أخبر رسول الله (ص) بذلك...[27].

ولعظيم حب رسول الله (ص) لجعفر، أنه حين قدم المدينة المنورة من الحبشة، وذلك يوم فتح خيبر، استقبله رسول الله (ص) وقبل ما بين عينيه، وهو يقول (ص): «... **ما أدري بأيهما أنا أشد فرحاً: بقدوم جعفر؟ أم بفتح خيبر؟**»[28].

---

(٢٧) بحار الأنوار ج ٢١ باب غزوة مؤتة، ابن سعد في طبقاته ج ٤ ص ٢٣، وأسد الغابة ج ١ ص ٢٨٧؛ ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٤٠٧؛ البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٥٦، الاستيعاب ج ١ ص ٨١ نقلاً عن مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصفهاني باب ذكر مقتل جعفر بن أبي طالب ص ١٠ وما بعدها ط ٢/ ١٩٧٠.

(٢٨) المصدر السابق

الى دار الاسلام

. . . وفي خضم الصراع العنيف، الناشب بين الدعوة الإلهية المباركة، والجاهلية الرعناء، فجع الإسلام بفقد مؤمن قريش: أبي طالب ـ رض ـ فاهتز رسول الله (ص) للحادث الأليم، وعلم أن قريشاً ستعمل على تصعيد حملتها على الدعوة، وعلى شخصه الكريم بالذات. . .

واذا كانت قريش تخشى أبا طالب، ومركزه الاجتماعي، فيما مضى، فقد صفا لها الجو بعد موته، وها هو رسول الله (ص) يفقد سنده الشامخ، ويصاب بعده بفاجعة أخرى، لا تقل في تأثيرها عليه عن الأولى، فقد توفيت زوجته الوفية خديجة، حتى دعا العام الذي فقدهما فيه «عام الحزن».

وللأهمية البالغة، التي يحتلها أبو طالب، في سير الحركة التاريخية لدعوة الله تعالى، صرح رسول الله (ص) بقوله: «**ما زالت قريش كاعةً عني حتى مات أبو طالب**»[٢٩].

وصعدت قريش حملتها على رسول الله (ص) والسابقين من المؤمنين، فاتجه رسول الله (ص) للبحث عن أرض غير مكة، تستقر عليها دعوة الله، فتنمو عليها شجرة الهدى، وراح يتصل بالقبائل، ويعرض أمره على الناس في أطراف مكة. . . ثم زار الطائف، واتصل بزعماء قبائلها، فلم يستجب له أحد ذو أثر اجتماعي، بيد أن اليأس لم يتسرب إلى نفسه، واستمر في عرض نفسه

---

(٢٩) تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢٢٢؛ تاريخ ابن عساكر ج ١ ص ٢٨٤، مستدرك الحاكم ج ٢ ص ٦٢٢؛ تاريخ ابن كثير ج ٣ ص ١٢٢؛ «نقلاً عن الغدير/ للشيخ الأميني ج ٧ ص ٣٧٦»؛ كشف الغمة في معرفة الأئمة للأربلي ج ١ ص ١٦. وغيرها.
كاعة: تكتم حقدها وتخشى اعلان حربها.

على الناس من خارج مكة، حتى التقى في موسم الحج بنفر من أهل يثرب، وفاتحهم بأمر الدعوة، فاستجابوا له، ولبوا دعوة الله، وعادوا يحملون كلمة الله الى قومهم.

وفي اليوم التالي قدم منهم اثنا عشر رجلاً، فبايعوه على الايمان وحمل الرسالة... فأرسل لتعليمهم احكام دين الله تعالى: مصعب بن عمير، فمكث فيهم سنة كاملة، يدعوهم الى الله، ويؤدبهم بتعاليم رسالته، ويقرئهم القرآن الكريم، فدخل الكثير من الناس في الاسلام، واستجابوا لنداء الدعوة المباركة...

وفي موسم الحج حضر منهم الى مكة وفد كبير يقوده مصعب بن عمير، فالتقوا برسول الله (ص)، وبايعوه على النصرة إن هو هاجر إلى بلدهم...

وتنزل أمر الله تعالى يدعو المسلمين الى الهجرة، فزحفت مواكب المهاجرين صوب الدار الجديدة، مخلفين وراءهم المال والوطن وعلائق الدم والقربى...

ولئن كانت الدعوة قد أوشكت على الدخول في مرحلة جديدة من مراحل مسيرتها العتيدة، فان قريشاً، قد اجتمعت في دار الندوة للتشاور بشأن رسول الله (ص) بالذات، فتوصل قادتها الى قرار يقضي باغتيال جماعي لرسول الله (ص) يتولاه من كل قبيلة رجل منها وأن ينفذ الاغتيال ليلاً...

وكشف وحي الله تعالى - لرسوله (ص) أوراق الجريمة التي أجمعت قريش على اقترافها.

﴿وإذْ يَمْكُرُ بِكَ الذين كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أوْ يَقْتُلُوكَ أو يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ الله والله خَيْرُ الْماكِرِينَ﴾

(الانفال/ ٣٠)

في فراش رسول الله (ص):

وأبلغ جبرائيل -ع- رسول الله (ص) بأمر الله تعالى له بالهجرة الى المدينة المنورة... وحين انتشر الظلام، أسرع المتآمرون لتطويق بيت رسول الله (ص) للحيلولة دون خروجه... وعندها جاء دور علي (ع) حيث

أمره رسول الله (ص) أن ينام على فراشه، ويلتحف ببردته، وخرج صلّى الله عليه وآله من اعداء الله وهو يتلو قوله تعالى:

﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدّاً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ﴾.

(يس/٩)

فلم يشاهده أحد من المشركين.

وعند طلوع الفجر اقتحم المتآمرون دار رسول الله (ص) لتنفيذ جريمتهم واتجهوا لغرفته، فوثب علي (ع) في وجوههم قائلاً: **ما شأنكم؟** قالوا: أين محمد؟

قال: «**أجعلتموني عليه رقيباً؟ ألستم قلتم نخرجه من بلادنا، فقد خرج عنكم...**»[٣٠].

فانقلبوا خاسرين وباءوا بالفشل الذريع... ثم بدا لهم أن يبحثوا عن رسول الله (ص) ويجدّوا في طلبه في الجبال والوديان، واصطحبوا لذلك أبا كرز، وهو رجل شهير بعلم معرفة الأثر، وبالفعل استطاع أبو كرز أن يتابع أثر رسول الله (ص) حتى أوصل القوم الى غار جبل «ثور» مؤكداً لهم أن محمداً رسول الله (ص) قد وصل في نهاية شوطه الى ذلك الغار، وإذن فلا بد أن يكون قد عرج الى السماء أو اختفى تحت الأرض[٣١]، وحيث أن الله سبحانه قد بعث عنكبوتاً فنسجت بيتاً لها على باب الغار، فإن المتآمرين لم يخطر ببالهم أن رسول الله (ص) في داخل الغار الذي يقفون على بابه، وهكذا صرف الله عقولهم فولوا الأدبار...

وعند حلول الليلة الثانية أسرع علي (ع) وهند بن أبي هالة الى الغار للاتصال بالرسول (ص) تحت جنح الظلام[٣٢] وتحاور رسول الله (ص) مع

---

(٣٠) تفسير سورة الأنفال آية ٣٠ يراجع الميزان للعلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (رض) ج ٩ بحث روائي ص ٨٠.

(٣١) نفس المرجع السابق والصفحة نفسها.

(٣٢) أعيان الشيعة للعلامة السيد محسن الأمين العاملي (رض) ج ٣ ط/٣ ص ١٥٥.

علي (ع) حول مستلزمات الهجرة... فأوصاه بأداء الأمانات الى أهلها، وباللحوق به (ص) بعد ذلك وأوصاه أن يحمل معه فاطمة الزهراء (ع) ومن معها من نساء أهل البيت...

الانتظار في قبا:

وبعد أيام من مسيرة الركب وصل رسول الله (ص) الى «قبا» حيث نزل عند كلثوم بن الهدم أحد زعماء بني عمرو بن عوف[٣٣] وهناك أقام رسول الله (ص) مسجد قبا، ومكث ينتظر قدوم علي بن أبي طالب (ع)[٣٤] إذ كتب إليه كتاباً يأمره بالمسير إليه، وقد حمل الكتاب أبو واقد الليثي، وحيث أن علياً (ع) قد أدى ما أوصاه به رسول الله (ص) قبل هجرته وأعاد الأمانات التي كانت لدى رسول الله (ص) الى أهلها، فقد عجل باللحوق بأخيه رسول الله (ص) فبادر إلى اعداد ركائب لحمل النساء: فاطمة بنت رسول الله، وفاطمة بنت أسد، وفاطمة بنت حمزة وفاطمة بنت الزبير بن عبد المطلب.

ثم أمر ضعاف المؤمنين أن يتسللوا ليلاً الى ذي طوى وخرج هو والفواطم وأيمن وأبو واقد الليثي نهاراً[٣٥].

ولم تمض غير أيام قليلة حتى وصل ركب علي والفواطم الى قبا، فاستقبلهم رسول الله (ص) وعانق علياً (ع) وبكى رحمة به ـ وذلك لما ألم به من ارهاق وأذى ـ.

وبعد مقدم علي (ع) على رسول الله (ص) بيومين ارتحل رسول الله (ص) وبصحبته علي (ع) ومن معه من المهاجرين الى المدينة المنورة...

وكان الركب النبوي يستقبل استقبالاً مهيباً عند كل حي يمر به... حتى

---

(٣٣) بحار الأنوار ج ٩ والروضة من الكافي ج ٨ ص ٣٣٩، للكليني ط/طهران.

(٣٤) الفصول المهمة في معرفة الائمة/ابن الصباغ المالكي «فصل في شيء من شجاعته» ص ٢٨

(٣٥) أعيان الشيعة ج ٣ ط/٣ ص ١٥٥ «هجرته الى المدينة».

اذا وصل رسول الله (ص) الى المكان الذي أقيم مسجده فيه توقفت راحلته عن المسير فنزل عنها، وأقام ضيفاً عند أبي أيوب الأنصاري (ره)... ثم بادر الى بناء المسجد والدور الخاصة به وبأهل بيته، وفي طليعتهم علي (ع) اذ أقيمت حجرته بجنب حجرة عائشة زوج النبي (ص)[٣٦].

(٣٦) المرجع السابق.

مهمات ما بعد الهجرة

استقبلت المدينة عهداً جديداً من تاريخها بوصول رسول الله (ص) اليها حيث أرسى (ص) قواعد دولة القرآن، وعمل على تحصينها لتكون منارا يشع نور الحق الى الآفاق فيبدد ظلام الجاهلية الحالك...

واذا كانت الدعوة بعد الهجرة قد امتلكت دولة، وفرت لها الكثير من شروط الحماية والتحصين، فان ذلك لا يعني بحال أن مكر الأعداء وخططهم لاطفاء نور الإسلام قد انتهت بل العكس هو الذي كان، فالجاهلية بقواها المتعددة وواجهاتها الكثيرة قد أجمعت على حرب الإسلام ودولة الإسلام، وقد دخلت فصائل كثيرة الى الميدان لغير صالح الإسلام، بعد أن أدركت عمليا أن وجودها في خطر بعد امتلاك الإسلام الدولة التي ترعاه ويحقق اهدافه من خلالها...

وهكذا كانت مرحلة ما بعد الهجرة قد وضعت المسلمين أمام مسؤوليات أشمل ميدانا وأبعد خطراً، حيث بناء الدولة وحمايتها وبناء المجتمع وتحصينه، وصد الأعداء ونشر العقيدة وغير ذلك...

والصراع بطبيعته قد تحول بدوره من صراع أفراد أو ارهاب قبائل، وأصحاب وجاهات لأفراد عزل لا يملكون غير دينهم وثقتهم بالله تعالى... الى صراع عسكري منظم بين قوى جمعتها المصالح والأهواء ولو آنياً لحرب الاسلام العظيم باعتباره - وبتقديرهم - الخطر الماحق لوجودهم الفكري والعملي... وقد تنحر الصراع العسكري بشكل لم يشهد له التاريخ مثيلاً.

وحسبك أن دولة القرآن قد شهدت عشر سنوات عايشها رسول الله (ص) بعد هجرته الى المدينة عشرات من الأعمال العسكرية بين

حروب دفاعية أو هجومية أو غزوات أو سرايا أو غيرها... قدم المسلمون خلالها الكثير من الضحايا ولاقوا صنوفاً من البلاء بيد أنهم أنهوا الوجود العملي للجاهلية العربية... فشملت دولة الإسلام الجزيرة العربية دون منازع...

واذا تتبعنا تلك المرحلة الدقيقة من عمر الرسالة الخاتمة لوجدنا أن دور علي بن أبي طالب (ع) فيها لم يرقَ إليه دور قط... فهو في جميع حروب الإسلام مع أعدائه كان يفوز بقصب السبق لا من باب اشتراكه في الحرب أو قتاله فيها، وإنما بما يقدمه من بطولة وتضحية يسبق بها سواه، ومن المناسب هنا أن نذكر طرفاً من بطولته (ع):

بأس في الحرب

١ ـ في معركة بدر:

كان عدد المسلمين يساوي ثلث جيش عدوهم وكانت العدة لدى المسلمين ليست ذات بال فعلى سبيل المثال كانوا لقلة ركائبهم يركب منهم الاثنان والثلاثة والأربعة على بعير واحد، ولم يكن منهم فارس غير المقداد بن الأسود الكندي، وكانت أسلحة بعضهم من جريد النخل ونحوه...

حتى إذا اضطرمت نار الفتنة تقدم علي (ع) وكان يحمل لواء الرسول (ص)[٣٧] فخاض غمار معركة حامية غير متكافئة، كان المسلمون خلالها يستغيثون ربهم طلباً للنصر فاستجاب لهم وأمدهم بالملائكة، وقد انتهت المعركة بمقتل سبعين رجلاً من المشركين كان مقتل نحو نصف عددهم بسيف علي[٣٨].

---

(٣٧) أحمد بن يحيى البلاذري في أنساب الأشراف ج ٢ ص ٩١ و ٩٤ ط/١ سنة ١٩٧٤ بيروت /ومستدرك الصحيحين ج ٣ ص ١١١/ وابن سعد في الطبقات ج ٣ ص ١٥.

(٣٨) حياة أمير المؤمنين /محمد صادق الصدر ط/٢ سنة ١٩٧٢ ص ٢٣٠.

٢ ـ وفي معركة أحد:

كان رسول الله (ص) قد أعطى لواء المهاجرين لعلي (ع) ولما اشتبك الطرفان كان النصر ابتداء للمسلمين، بيد أن حماة جبل أحد الذين أمرهم الرسول (ص) بعدم مفارقته تركوا أماكنهم بعد فرار المشركين بدافع الطمع في الغنائم، فصعدت احدى فرق المشركين بقيادة خالد بن الوليد الجبل فتغير الموقف لصالح المشركين فخسر المسلمون الكثير من الشهداء.... وأصيب الرسول (ص) بجروح في وجهه الكريم وكسرت رباعيته وحيث لم يبقَ مع رسول الله (ص) في ذلك الموقف الرهيب بعد فرار المسلمين غير علي (ع) وأبي دجانة وسهل بن حنيف، استبسل علي (ع) كعادته في الدفاع عن رسول الله (ص) ومجد الرسالة الإلهية، وقتل حملة اللواء من المشركين واحداً بعد الآخر، وكانوا تسعة رجال ثمانية من بني عبد الدار وتاسعهم عبدهم[٣٩]. مما أربك العدو واضطره للفرار.

٣ ـ وفي غزوة الأحزاب:

طوقت المدينة بعشرة آلاف من المشركين[٤٠] بشتى فصائلهم، ونقض بنو قريظة صلحهم مع رسول الله (ص) وانضموا الى صفوف الغزاة، فتغير ميزان القوى لصالح العدو، وبلغ الذعر في نفوس المسلمين أيما مبلغ، فقد زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وزلزلت نفوس وظنت نفوس بالله الظنونا ـ كما حدثنا القرآن[*] ـ.

وبدأ العدو هجومه بعبور عمرو بن عبد ود العامري أحد أبطال الشرك

---

(٣٩) تاريخ الطبري ج ٣ ص ١٧/ وأحمد بن حنبل في الفضائل/ وابن هشام في السيرة النبوية ج ٣ ص ٥٢ ودلائل الصدق/ الشيخ محمد حسن المظفر ج ٢ ص ٣٥٧ ط قم. وحياة أمير المؤمنين/ السيد الصدر ص ٢٣٦ وما بعدها والارشاد للمفيد ص ٥٢.

(٤٠) للتفاصيل راجع الحلقة الثانية من محمد رسول الله /الدولة/ منشورات مؤسسة البلاغ.

(*) تراجع سورة الأحزاب /الآية ١٠.

الخندق مع بعض رجاله، فهددوا المسلمين في داخل المدينة بل في داخل تحصيناتهم... وراح ابن عبد ود يصول ويجول، ويتوعد المسلمين ويتفاخر عليهم ببطولته، ويستعلي وينادي:

هل من مبارز؟

فقام علي (ع) وقال: **أنا له يا رسول الله.**

وكرر ابن عبد ود النداء وجعل يوبخ المسلمين، ويسخر بهم ويقول: أين جنتكم التي تزعمون، إن من قتل منكم يدخلها، أفلا تبرزون لي رجلاً؟

ولما لم يجبه أحد من المسلمين، كرر علي (ع) طلبه: **أنا له يا رسول الله.**

فقال (ص): **اجلس إنه عمرو!**

فأبدى علي عدم اكتراثه بعمرو وغيره، قائلاً: **وإن كان عمراً!!**

فأذن رسول الله ـ لعلي (ع)، واعطاه سيفه ذا الفقار، وألبسه درعه، وعممه بعمامته...

ثم قال (ص): «**اللهم هذا أخي وابن عمي، فلا تذرني فرداً، وأنت خير الوارثين**»[٤١].

ومضى علي (ع) الى الميدان، وخاطب ابن عبد ود بقوله: **يا عمرو إنك كنت عاهدت الله، أن لا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خلتين إلاّ قبلتها...** قال عمرو: أجل.

فقال علي (ع): **فإني أدعوك الى الله والى رسوله (ص) والى الإسلام.**

فقال: لا حاجة لي بذلك.

قال له الإمام: **فإني أدعوك الى البراز.**

فقال عمرو: إني أكره أن أهرق دمك، وان أباك كان صديقاً لي...

فرد عليه الإمام (ع) قائلاً: **لكني والله أحب أن أقتلك**، فغضب عمرو، وبدأ الهجوم على علي (ع) فصده الامام برباطة جأشه المعتاد، وارداه قتيلاً،

---

(٤١) السيرة النبوية / أحمد زيني دحلان جـ ٢ ص ٦ و ٧ «غزوة الخندق».

فعلا التكبير، والتهليل في صفوف المسلمين[42]...

ولما عاد الإمام (ع) ظافراً استقبله رسول الله (ص) وهو يقول: «**لمبارزة علي بن أبي طالب لعمرو بن عبد ود، أفضل من عمل أمتي الى يوم القيامة**»[43].

وبعد مقتل ابن عبد ود بادر علي (ع) الى سد الثغرة التي عبر منها عمرو ورجاله ورابط عندها[44] مزمعاً القضاء على كل من تسول له نفسه العبور، ولولا ذلك الموقف البطولي لاقتحم جيش المشركين المدينة على المسلمين، بذلك العدد الهائل.

وهكذا كانت بطولة علي (ع) في غزوة الأحزاب أهم عناصر النصر للمعسكر الاسلامي، وانهزام المشركين.

٤ ـ وفي غزوة خيبر:

عجز علية القوم عن الصمود أمام اليهود، ولما بان ضعف الجميع عن اقتحام حصون خيبر حتى تأخر فتحها أياماً قال رسول الله (ص) «**لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، كراراً غير فرار، لا يرجع حتى يفتح الله على يديه...**»[45].

ولما كان الغد أعطاها رسول الله (ص) علياً فاقتحم حصون خيبر ودخلها عليهم عنوة، وقتل بطلهم مرحبا ثم فتح الحصون جميعاً...

---

(٤٢) المصدر السابق.

(٤٣) مستدرك الصحيحين جـ٣ ص ٣٢ عن سفيان الثوري ورواه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ج ٣ ص ١٩.

(٤٤) السيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٦ و ٧ «غزوة الخندق» وارشاد المفيد ص ٥٨.

(٤٥) أنساب الأشراف ج ٢ ص ٩٣ و ٩٤ عن أبي هريرة وابن عباس بلفظ متشابه /وخصائص علي بن أبي طالب للنسائي ص ٩ وما بعدها ط/١ ١٩٧٥ بيروت وفي الاصابة والاستيعاب وحلية الأولياء ومسلم في الصحيح بألفاظ متقاربة

٥ ـ وفي غزوة حنين:

فرَّ المسلمون فلم يبق مع رسول الله (ص) غير علي (ع)[٤٦] والعباس وبعض بني هاشم فكان النصر بعد عودة المسلمين لميدان القتال... وكان الظفر...

هذه صور يسيرة من مواقف الصمود التي سجلها الامام علي (ع) بين يدي قائده رسول الله (ص) في أدق الساعات وأكثرها حرجا[٤٧].

ومن نافلة القول أن نعيد الى الأذهان أن علياً (ع) قد اشترك في حروب رسول الله جميعاً غير تبوك[٤٨] وذلك بأمر من الرسول (ص) بذاته، وكان له في جميعها القدح المعلى، هذا عدا الغزوات التي قادها بنفسه عليه السّلام.

والباحث المنصف حين يتناول حياة الامام علي (ع) بالدراسة وفي شطرها الجهادي بالذات يقف مذهولاً أمام بطولته الفريدة وتضحياته المعطاءة، لكن البطولة بما هي بطولة ليست هي الميزة في جهاد علي (ع) وان كان ميدانها الواسع وشمولها يبقى سمة من سمات علي (ع) ولكن الأهم فيها إنما هو الإخلاص لله تعالى والتضحية في سبيله.

فإيمان علي (ع) بالله تعالى يبقى هو الحافز والمحرك لتلك البطولات العظيمة التي سجلها تاريخ الاسلام في أنصع صفحاته بشكل لم يسجل مثلها لسواه.

---

(٤٦) سيرة الرسول للسيد محسن الأمين نقلاً عن السيرة الحلبية وابن قتيبة في المعارف، وتفسير الميزان للسيد الطباطبائي ج ١٠ تفسير آية ٢٥ من التوبة والبحث الروائي/ والارشاد للمفيد «غزوة حنين» ص ٨١

(٤٧) للاستزادة يراجع كتاب الامام علي /عبد الفتاح عبد المقصود وأعيان الشيعة المجلد الثالث/ للسيد محسن الأمين والارشاد للشيخ المفيد وسيرة ابن هشام والفصول المهمة في معرفة الأئمة لابن الصباغ المالكي.

(٤٨) راجع أنساب الأشراف للبلاذري ج ٢ ص ٩٢ ط ١ ١٩٧٤ (ومستدرك الصحيحين ج ٣ ص ١١١ وابن سعد في طبقاته ج ٣ ص ١٠ وابن حجر في تهذيب التهذيب ج ٣ ص ٤٧٥) نقلاً عن فضائل الخمسة من الصحاح الستة ج ٢ ص ٣٠٩. وللمزيد من المصادر يراجع المصدر المذكور.

وحسبك في ذلك أن كثيراً من المواقف العسكرية ـ كما رأينا ـ يتعرض فيها علية القوم فضلاً عن عامتهم للوهن بل والهزيمة النكراء غير أن التاريخ لم يسجل لعلي (ع) إلا الصمود والفداء والتضحية في كل موقف؛ صمد الناس فيه أم انهزموا، الأمر الذي لا يفسره إلا ما يتمتع به علي (ع) من صدق اليقين وعمق الاستعانة والتوكل على الله والعبودية له واللامبالاة بما سواه كبر ذلك أم صغر. هذا عدا عما يتمتع به علي (ع) من علو الهمة وقوة العزيمة ورباطة الجأش وسمو النفس.

علي في منظار الاسلام

لم يحظ رجل في الإسلام ما حظي به علي بن أبي طالب (ع) من ثناء واجلال من لدن الرسالة الإسلامية، وحثها المتزايد لاتباعها لا على تقديره فحسب، وإنما على التزامه، وانتهاج سبيله.

وقد انطوى القرآن الكريم والسنة الشريفة والتاريخ الصحيح على نصوص وروايات تنطق كلها بالثناء على علي (ع) ووجوب سلوك سبيله وخطه.

فمرة تأتي صور الثناء كأوسمة يضعها الإسلام على صدره فيميزه عن سواه من صحابة واتباع ومرة على شكل أحكام واوامر تلزم المسلمين على التزام علي (ع) إماماً ومنهجاً.

فمن أوسمة التقدير التي نالها علي (ع) من الله تعالى ومن رسوله (ص) ما يلي:

١ ـ ﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا**﴾.

(الأحزاب ـ ٣٣)

ذهب المفسرون لهذه الآية أنها نزلت في رسول الله (ص) وعلي وفاطمة الزهراء والحسن والحسين (ع) حين دعا الرسول (ص) بعباءة وجللهم بها، ولما نزلت الآية قالت أم سلمة زوجة الرسول (ص): هل أنا من أهل بيتك؟

قال. **لا ولكنك على خير**[٤٩]. رغم جلالة أم سلمة وعلو شأنها بين نساء النبي (ص)

---

(٤٩) راجع صحيح مسلم في كتاب فضائل الصحابة، والحاكم في مستدرك الصحيحين =

٢ ـ ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾.

(آل عمران/٦١)

ذكر أهل التفسير من جميع المسلمين أنها نزلت حين خرج رسول الله (ص) بعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السّلام لمباهلة نصارى نجران، فلما رآه النصارى قد خرج بأهل بيته خافوا العاقبة واعتذروا عن مباهلته، فدفعوا الجزية خضوعاً منهم لسلطان دولته (ص)[٥٠].

٣ ـ ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً * إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً * فَوَقَاهُمُ اللهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً﴾.

(الدهر ـ ٨ ـ ١١)

وهذه باجماع أهل التفسير نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين (ع).

وكان ذلك عندما مرض الحسنان فنذر علي (ع) وفاطمة وفضة ـ خادمة أهل البيت ـ إن شفي الحسنان، فإن علياً والزهراء وفضة يصومون لله تعالى ثلاثة أيام.

وبعد شفاء الحسنين صام أهل البيت (ع)...

= جـ٣ ص ١٤٧ والبيهقي في سننه جـ٢ ص ١٤٩ والسيوطي في الدر المنثور في تفسير الآية، وصحيح الترمذي جـ٢ ص ٣٠٩ وابن حجر في تهذيب التهذيب جـ٢ ص ٢٩٧ وغيرهم نقلاً عن فضائل الخمسة من الصحاح الستة جـ١ ص ٢٢٤ وما بعدها.

(٥٠) صحيح الترمذي ج ٢ ص ٣٠٠ وأحمد بن حنبل في المسند ج ١ ص ١٨٥ والسيوطي في الدر المنثور في تفسير آية المباهلة والزمخشري في كشافه والفخر الرازي في تفسيره الكبير وغيرهم نقلاً عن فضائل الخمسة من الصحاح الستة ص ٢٤٤ وما بعدها

وعند غروب شمس اليوم الأول طرق الباب عليهم مسكين يشكو جوعه، فأعطوه ما عندهم من خبز الشعير.

وفي اليوم الثاني استطعمهم يتيم فأطعموه...

وفي ثالث أيام النذر سألهم أسير فقدموا له طعامهم وهكذا بقي أهل البيت (ع) ثلاثة أيام لم يذوقوا فيها غير الماء، فأنزل الله فيهم هذه الآيات الكريمة اعظاماً لشأنهم واكباراً لعملهم[٥١] ليكونوا القدوة لغيرهم وليكونوا المثال.

٤ ـ **﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللهِ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾**.

(التوبة/١٩)

نزلت هذه الآية عندما تفاخر طلحة بن شيبة والعباس بن عبد المطلب: إذ قال طلحة: أنا أولى الناس بالبيت لأن المفتاح بيدي!

وقال العباس: أنا أولى، أنا صاحب السقاية والقائم عليها.

وفي هذه الأثناء مرَّ عليٌّ بهما وسألهما: بمَ يفتخران. فذكروا له ما قالا.

فقال علي (ع): **أنا أوتيت منذ صغري ما لم تؤتيا.**

فقالا وما ذاك؟

فقال (ع): **لقد صليت قبل الناس وأنا صاحب الجهاد.** فأنزل الله تعالى الآية المذكورة في الثناء على ما افتخر به علي (ع)[٥٢].

---

(٥١) يراجع الزمخشري في كشافه ج ٢ /والواحدي في أسباب النزول/ ومجمع البيان للطبرسي في تفسير سورة الدهر /والحافظ محمد بن جرير الطبري كما في الكفاية/ وابن عبد ربه في العقد الفريد ج ٣ ص ٤٢ ـ ٤٧/ والحاكم النيسابوري ذكره في مناقب فاطمة ـ ع ـ كما في الكفاية/ وأبو اسحاق الثعلبي في تفسيره «الكشف والبيان» /والآلوسي في روح المعاني/ والطبري في الرياض النضرة ج ٢ ص ٢٠٧/ نقلا عن الغدير للشيخ الأميني ج ٣ ص ١٠٧ ـ ١١١

(٥٢) تفسير الطبري عن أنس ج ١٠ ص ٥٩ /وأسباب النزول للواحدي ص ١٨٢/ والقرطبي في تفسيره ج ٨ ص ٩١/ والرازي في تفسيره ج ٤ ص٤٢٢ /والخازن في

واذا كان القرآن الكريم يثني هذا الثناء الجميل على علي (ع) فتعال معي الى السنة الشريفة لنقرأ شيئاً منها في هذا الصدد:

١ ـ قال رسول الله (ص): **أنا مدينة العلم وعلي بابها**[٥٣].

٢ ـ وقال (ص): «**أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي**»[٥٤].

٣ ـ وقال (ص) مخاطباً علياً (ع): «**لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق**»[٥٥].

٤ ـ وقال (ص) يوم المؤاخاة ـ بين المهاجرين والأنصار مخاطباً علياً (ع): «**أنت أخي وأنا أخوك فإن ذكرك أحد فقل أنا عبد الله وأخو رسوله لا يدعيهما بعدك إلا كذاب**»[٥٦].

هذه طائفة من النصوص الخاصة بالثناء على علي (ع)، والاشادة بمقامه في اطار الاسلام ومن شاء المزيد فليراجع فضائل الخمسة من الصحاح الستة وينابيع المودة ومسند أحمد بن حنبل وفضائل امير المؤمنين وامامته من دلائل الصدق وغيرها.

تفسيره ج ٢ ص ٢٢١/ وأبو البركات النسفي ج ٢ ص ٢٢١/ والدر المنثور للسيوطي ج ٣ ص ٢١٨/ وغيرهم مع اختلاف في التفاصيل والألفاظ.

(٥٣) مستدرك الصحيحين ج ٣ ص ١٢٦/ ومناقب أحمد بن حنبل وأبو عيسى الترمذي في جامعه الصحيح/ وكنز العمال ج ٦ ص ٤٠١/ وأسد الغابة ج ٤ ص ٢٢/ والخطيب البغدادي في تاريخه ج ٤ ص ٣٤٨: نقلاً عن فضائل الخمسة من الصحاح الستة ج ٢ ص ٢٥٠ وما بعدها.

(٥٤) مسند أحمد بن حنبل ج ١ ص ١٧٤/ ومسند أبي داود ج ٣ ص ٢٨ والبخاري في باب غزوة تبوك ومسلم والترمذي وغير هؤلاء، نقلاً عن المراجعات ص ١٣٣ ـ ص ١٣٦.

(٥٥) صحيح الترمذي ج ٢ ص ٢٩٩ /وأحمد بن حنبل ج ٦ ص ٢٩٢/ والنسائي ومستدرك الصحيحين ج ٣ ص ١٢٩ وغيرهم راجع فضائل الخمسة من الصحاح الستة ج ٢ ص ٢٠٧ وغيره.

(٥٦) صحيح ابن ماجة وصحيح الترمذي ج ٢ ص ٢٩٩ /والنسائي في الخصائص ص ٣ و ١٨ ومستدرك الصحيحين ج ٣ ص ١٤/ ومسند أحمد بن حنبل ج ١ ص ١٥٩ وغيرها مع اختلاف في الألفاظ يسير.

امام المسلمين وقائدهم:

أما النصوص القاضية بوجوب التزام علي (ع) إماماً وقائداً في دنيا المسلمين فنذكر منها ما يلي:

أ ـ ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلوٰةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكوٰةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾.

(المائدة/ ٥٥)

قال المفسرون إن الآية الكريمة نزلت في علي بن أبي طالب (ع)[٥٧]. فأكدت وجوب الالتزام به إماماً ومرجعاً فكرياً واجتماعياً وسياسياً للأمة، وقد كان سبب نزولها حين تصدق علي (ع) على مسكين بخاتمه أثناء ركوعه، فالآية إنما نزلت بهذا الصدد وهي تؤكد في ذات الوقت إمامة علي (ع).

ب ـ خطبة الغدير:

وهي البيان الذي وجهه الرسول (ص) الى المسلمين في غدير خم في آخر حجة له لبيت الله الحرام فعن البراء بن عازب قال: «أقبلنا مع رسول الله صلّى الله عليه (وآله) وسلم في السنة التي حج، فنزل في بعض الطريق، فأمر: **الصلاة جامعة**، فأخذ بيد علي فقال: **ألستُ أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟**».

قالوا: بلى.

قال (ص): ألست أولى بكل مؤمن من نفسه؟

قالوا: بلى.

---

(٥٧) تفسير البيضاوي /ومجمع البيان للطبرسي/ وأبو اسحاق الثعلبي في تفسيره/ والطبري في تفسيره ج ٦ ص ١٦٥/ والواحدي في أسباب النزول ص ١٤٨/ والخازن في تفسيره ج ١ ص ٤٩٦/ والرازي في تفسيره ج ٣ ص ٤٣١/ وأبو البركات النسفي ج ١ ص ٤٩٦/ والنيسابوري في تفسيره ج ٣ ص ٤٦١/ وابن حجر في الصواعق ص ٢٥ وغيرها نقلاً عن: أعيان الشيعة ج ٣ ق ١ ص ١٣٠ ـ ص ١٣٤ وخلفاء الرسول الاثنا عشر ص ١٠٣ وما بعدها.

قال (ص): «**فهذا ولي من أنا مولاه، اللهم والِ من والاه، اللهم عاد من عاداه**»[٥٨]. وفي لفظ أحمد بن حنبل أن رسول الله (ص) قال: «**من كنت مولاه فعليٌ مولاه، اللهم والِ من والاه وعاد من عاداه**»[٥٩].

ج: قال رسول الله (ص): «**علي مع الحق والحق مع علي لن يفترقا حتى يردا على الحوض**»[٦٠].

وفي حديث آخر لرسول الله (ص) يخاطب به عمار بن ياسر (ره) جاء فيه: «... **وان سلك الناس كلهم وادياً وسلك علي وادياً فاسلك وادياً سلكه علي وخلِّ الناس طراً...**»[٦١].

د ـ وقال (ص):

«**لكل نبي وصي ووارث وأن علياً وصيي ووارثي**»[٦٢].

هذا غيض من فيض من النصوص الإسلامية الموثوقة المجمع على صحتها، ووثاقتها من جميع المسلمين[٦٣].

(٥٨) اللفظ لصحيح ابن ماجة ص ١٢.

(٥٩) مسند ابن حنبل ج ٤ ص ٢٨١، فقد نص عليه قائلاً رواه ثلاثون صحابياً، وأخرجه أيضاً النسائي في خصائص علي بن أبي طالب بعدة طرق والترمذي والطبراني / عن زيد بن أرقم والفخر الرازي في تفسير آية ﴿**يا أيها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك**﴾ وكنز العمال ج ١ ص ٤٨ / ومستدرك الصحيحين وسواهم. نقلاً عن كتاب الغدير تأليف العلامة الأميني ـ ره ـ ج ١.

(٦٠) تاريخ البغدادي ج ١٤ ص ٣٢١ / والهيثمي في مجمعه ج ٧ ص ٢٣٥ / وكنز العمال ج ٦ ص ١٥٧ / وتفسير الرازي ج ١ ص ١١١ / وغيرهم مع اختلاف في الألفاظ. نقلا عن علي والوصية ص ١١٣

(٦١) تاريخ الخطيب البغدادي ج ١٣ ص ١٨٦ / والهيثمي في مجمعه ج ٧ ص ٢٣٦ وكنز العمال ج ٦ ص ١٥٥ مع اختلاف يسير في الألفاظ.

(٦٢) ينابيع المودة سليمان الحنفي «باب عهد النبي لعلي وجعله وصياً»، والذهبي في ميزان الاعتدال والسيوطي في اللآلىء والديلمي في كنوز الدقائق ومناقب أحمد بن حنبل وكنز العمال ج ٦ ص ١٥٤ والمعجم الكبير للطبراني والمحب الطبري في الذخائر وغيرهم نقلاً عن علي والوصية لنجم الدين العسكري ص ١٩٤.

(٦٣) ومن شاء المزيد فليراجع ينابيع المودة /للشيخ القندوزي الحنفي والفصول المهمة لابن الصباغ المالكي وفضائل الخمسة من الصحاح الستة للفيروزآبادي ومسند أحمد بن حنبل وكتاب المراجعات للسيد عبد الحسين شرف الدين وعلي والوصية للشيخ نجم الدين العسكري وغيرها.

علي في عهد الخلفاء

. . . فاضت نفس رسول الله (ص) في حجر علي (ع)[٦٤] ورحل (ص) الى ربه الأعلى، وهو قلق على مستقبل الرسالة والأمة، كما يجسد ذلك بقوة قوله (ص) عند زيارته لقبور المؤمنين في البقيع في بداية مرضه الذي قضى فيه: «**السلام عليكم يا أهل القبور، ليهنئكم ما أصبحتم فيه، مما فيه الناس، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع أولها آخرها. . .**»[٦٥].

وتأكيده المستمر على ضرورة التزام الثقلين: كتاب الله تعالى والعترة الطاهرة[٦٦].

وطلبه في آخر ساعة من حياته أن يؤتى بدواة وكتف ليكتب للأمة كتاباً لن تضل بعده أبداً[٦٧].

الى غير ذلك من مصاديق توجسه وقلقه (ص) على مستقبل المسيرة الإسلامية، بالرغم من احتياطه لتحصين الأمة وتجنيبها من الوقوع في الفتنة.

وما أن فاضت نفس رسول الله (ص) واشتغل علي (ع). وأهل بيت الرسول (ص) بتجهيزه من أجل مواراة جسده الطاهر في مثواه الأخير، حتى

---

(٦٤) مناقب الخوارزمي عن عائشة ومسند أحمد بن حنبل ج ٢ ص ٣٠٠/ وذخائر العقبى للمحب الطبري ص ٧٣ وغيرها ويراجع علي والوصية ص ٢٠٦ ـ ٢١١.

(٦٥) أخرجه النسائي وأبو داوود وابن ماجة وأحمد بن حنبل في مسنده.

(٦٦) أخرجه الترمذي برقم ٨٧٤ من أحاديث كنز العمال ج ١ ص ٤٤ ومسند ابن حنبل ج ٥ ص ١٨٢ وص ١٨٩ ومستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٤٨ وغيرها.

(٦٧) أخرجه البخاري ج ١ كتاب العلم ص ٢١ ومسلم في آخر الوصايا من صحيحه ج ٣ ص ٢٥٩/ وأحمد بن حنبل في مسنده ج ١ وغيرهم.

عقدت الأنصار وبعض المهاجرين اجتماعاً في سقيفة بني ساعدة لتنصيب من يخلف النبي (ص) في قيادة المسلمين.

وبعد مناقشات حادة وطويلة سادها جو من التوتر والقلق والعنف والخلاف بادر عمر بن الخطاب الى بيعة أبي بكر بالخلافة[٦٨] وطلب من الحاضرين ذلك، ولم يكن علي (ع) على علم بما حدث، ولكن النبأ قد انساب الى مسامعه من خلال الضجيج الذي أحدثه خروج القوم من السقيفة، وهم في طريق توجههم للمسجد النبوي.

وحتى تلك الساعة لا زال علي وأهل البيت (ع) مشغولين بتجهيز فقيد الأمة العظيم رسول الله (ص) إذ ظل جثمانه الطاهر ثلاثة أيام[٦٩] دون دفن ليتسنى للمسلمين توديعه والصلاة عليه.

ولعدم قناعة الإمام (ع) بما جرى ظل مؤمناً بحقه في الخلافة واعتزل الناس، وما هم فيه ستة شهور، ولم يسمع له صوت في ما يسمى بحروب الردة ولا سواها[٧٠].

ولقد استجدت أمور وأحداث خطيرة تتهدد الإسلام وأمته بالفناء، فقد قوي أمر المتنبئين بعد وفاة رسول الله (ص) واشتد خطرهم في الجزيرة العربية من أمثال: مسيلمة الكذاب، وطلحة بن خويلد الأفاك وسجاح بنت الحرث الدجالة وغيرهم وصار وجودهم يشكل خطراً حقيقياً على الدولة الإسلامية.

واشتد ساعد المنافقين وقويت شوكتهم في داخل المدينة وكان الرومان والفرس للمسلمين بالمرصاد[٧١].

هذا عدا عن ظهور التكتلات السياسية في المجتمع الإسلامي على أثر بيعة السقيفة.

---

(٦٨) راجع صحيح البخاري ج ٤ ص ١٩٤ وتراجع السقيفة/ للشيخ محمد رضا المظفر.

(٦٩) تاريخ ابن كثير ج ٥ ص ٢٧١/ وتاريخ أبي الفداء ج ١ ص ١٥٢، نقلاً عن الغدير ج ٧ ص ٧٥.

(٧٠) السقيفة للشيخ المظفر ص ١٦٠ ط ٤/ ١٩٧٣ بيروت.

(٧١) المراجعات /للحجة السيد شرف الدين ص ٣٠٢.

ولقد تعامل الإمام (ع) مع الخلافة حسب ما تحكم به المصلحة الإسلامية حفظاً للإسلام وحماية للجماعة الإسلامية من التمزق والضياع، وتحقيقا للمصالح العليا الإسلامية التي جاهد من أجلها.

وللإمام علي (ع) كتاب جاء فيه ـ بهذا الصدد ـ ما نصه: «... **فأمسكت يدي حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام، يدعون إلى محق دين محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً، تكون المصيبة به عليَّ أعظم من فوت ولايتكم التي إنما هي متاع أيام قلائل، يزول منها ما كان، كما يزول السراب أو كما ينقشع السحاب، فنهضت في تلك الأحداث حتى زاح الباطل وزهق واطمأن الدين وتنهنه**»[٧٢].

بيد أن صوت علي (ع) كان يعلو عندما يستشار ويجهر عندما يستفتى، وقد تصدى ـ في هذا المضمار ـ لتوجيه الحياة الإسلامية، وفقا لما تقتضيه رسالة الله تعالى في الحقول التشريعية والتنفيذية والقضائية.

ومن أجل ذلك فإن الباحث التاريخي في حياة الامام (ع) لا يلبث إلا أن يلتقي مع مئات المواقف والأحداث ـ في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان ـ التي لا تجد غير علي (ع) مدبراً لها ومعالجاً وقاضياً وبأمر الشريعة فيها.

والخلفاء الثلاثة لم يروا بدأ من استشارته إذا التبست عليهم الأمور، وهكذا تجده مرة مرشداً الى الحكم الاسلامي الصحيح في أمر ما، ومرة تجده قاضياً في شأن من شؤون الأمة، وأخرى موجهاً للحاكم الوجهة التي تحقق المصلحة الإسلامية العليا.

وبمقدورنا أن نلمس دوره الرسالي ذلك اذا طرحنا بعض مفردات منهجه المتبنى أيام الخلفاء الذين سبقوه:

---

(٧٢) من كتاب له الى أهل مصر مع مالك الأشتر حين ولاه امارتها ص ٤٥١ من نهج البلاغة تبويب الدكتور صبحي الصالح ط ١ ١٩٦٧ بيروت.

أ ـ في خلافة أبي بكر:

١ ـ فكر أبو بكر بغزو الروم فاستشار جماعة من الصحابة فقدموا وأخروا، ولم يقطعوا برأي، فاستشار علياً (ع) في الأمر فقال (ع) «**إن فعلت ظفرت**».

فقال أبو بكر: بشرت بخير.

وأمر الناس بالخروج بعد أن أمر عليهم خالد بن سعيد[٧٣].

٢ ـ أراد أبو بكر أن يقيم الحد على شارب خمر...

فقال الرجل: إني شربتها ولا علم لي بتحريمها، فأرسل إلى الامام يسأله عن ذلك فقال (ع): «**مُر نقيبين من رجال المسلمين يطوفان به على المهاجرين والأنصار وينشدانهم هل فيهم أحد تلا عليه آية التحريم أو أخبره بذلك عن رسول الله (ص)، فإن شهد بذلك رجلان منهم فأقم الحد عليه، وإن لم يشهد أحد بذلك، فاستتبه وخلِّ سبيله**».

ففعل الخليفة ذلك، فعلم صدق الرجل فخلى سبيله[٧٤].

٣ ـ عن محمد المنكدر أن خالد بن الوليد كتب الى الخليفة أبي بكر أنه وجد رجلاً في بعض ضواحي العرب، ينكح كما تنكح المرأة، وأن أبا بكر جمع لذلك أناساً من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه (وآله) وسلم وكان فيهم علي بن أبي طالب أشدهم يومئذ قولاً، فقال:

إن هذا ذنب لم تعمل به أمة من الأمم إلا أمة واحدة ـ يعني قوم لوط ـ فصنع الله بها ما قد علمتم، أرى أن تحرقوه بالنار. فكتب أبو بكر بذلك الى ابن الوليد[٧٥].

٤ ـ قدم جاثليق النصارى بصحبه مائة من قومه، فسأل أبا بكر أسئلة، فدعا علياً (ع) فأجابه عنها، ونكتفي منها ـ كنموذج ـ بسؤال واحد من أسئلة

---

(٧٣) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١١١ ـ نقلاً عن علي والخلفاء للعسكري ص ٦٢.
(٧٤) مناقب آل أبي طالب ابن شهر آشوب المازندراني ج ٢ ص ١٧٨.
(٧٥) كنز العمال ج ٣ ص ٩٩، نقلاً عن علي والخلفاء ص ٦٣.

الجاثليق: ـ أخبرني عن وجه الرب تبارك وتعالى!

فدعا علي (ع) بنار وحطب، واضرمه، فلما اشتعلت قال: **أين وجه هذه النار؟**.

قال الجاثليق: هي وجه من جميع حدودها.

فقال علي (ع): **هذه النار مدبرة مصنوعة، لا يعرف وجهها وخالقها لا يشبهها، ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله لا تخفى على ربنا خافية**[٧٦].

٥ ـ وأرسل ملك الروم رسولاً الى أبي بكر يسأله عن رجل لا يرجو الجنة ولا يخاف النار، ولا يخاف الله، ولا يركع ولا يسجد ويأكل الميتة والدم، ويشهد بما لم يَرَ ويحب الفتنة ويبغض الحق، فأخبر بذلك علياً (ع) فقال:

هذا رجل من أولياء الله: لا يرجو الجنة ولا يخاف النار، ولكن يخاف الله ولا يخاف من ظلمه، وانما يخاف من عدله، ولا يركع ولا يسجد في صلاة الجنازة، ويأكل الجراد والسمك، ويأكل الكبد، ويحب المال والولد ﴿إنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾ ويشهد بالجنة والنار وهو لم يرهما، ويكره الموت وهو حق[٧٧].

هذه بعض مصاديق اهتماماته بمسيرة الاسلام التاريخية في عهد أبي بكر.

ب ـ في خلافة عمر بن الخطاب:

١ ـ حين أراد عمر بن الخطاب أن يغزو الروم راجع الإمام (ع) في الأمر، فنصحه الإمام بألا يقود الجيش بنفسه مبيناً علة ذلك قائلاً: «... **فابعث اليهم رجلاً مجرباً واحفز معه أهل البلاء والنصيحة، فإن أظهره الله**

---

(٧٦) علي والخلفاء ص ٦٠ نقلاً عن التستري/ قضاء أمير المؤمنين ص ٦٦ ط/١ سنة ١٣٦٩ هـ النجف الأشرف.

(٧٧) مناقب ال أبي طالب ج ٢ ص ١٨٠.

فذاك ما تحب، وان تكن الأخرى كنت ردءاً للناس، ومثابةً للمسلمين»[٧٨].

٢ ـ ورد الى بيت مال المسلمين مال كثير ـ من البحرين ـ فقسمه عمر بين المسلمين، ففضل منه شيء، فجمع عمر المهاجرين والأنصار واستفتاهم بأمره قائلاً: ما ترون في فضلٍ، فضلَ عندنا من هذا المال؟

قالوا: يا أمير المؤمنين إنا شغلناك بولاية أمورنا من أهلك وتجارتك، وضيعتك، فهو لك.

فالتفت عمر إلى علي قائلاً: ما تقول أنت؟

قال الإمام (ع): **قد أشاروا عليك**.

قال الخليفة: فقل أنت؟

قال (ع): **لِمَ تجعل يقينك ظناً**، ثم حدثه بواقعة مشابهة في عهد رسول الله (ص).

وأخيراً أشار عليه الإمام (ع) بتوزيعه على الفقراء، قائلاً: «**أشير عليك أن لا تأخذ من هذا الفضل وأن تفضه على فقراء المسلمين**».

فقال عمر: صدقت والله[٧٩].

٣ ـ عن ابن عباس قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول ان ترك هذا المال في جوف الكعبة لآخذه وأقسمه في سبيل الله وفي سبيل الخير وعلي بن أبي طالب يسمع ما يقول، فقال عمر، ما تقول يا ابن أبي طالب بالله لئن شجعتني عليه لأفعلنّ؟ فقال علي: **أتجعله فينا، وصاحبه رجل يأتي في آخر الزمان**[٨٠]. فاقتنع عمر بضرورة عدم التصرف بحلي الكعبة.

٤ ـ بعث أبو عبيدة بن الجراح وبرة بن رومان الكلبي الى عمر بن

---

(٧٨) نهج البلاغة تبويب د. صبحي الصالح ط ١ ص ١٩٢.
احفز: ادفع وسق، أهل البلاء: أهل المهارة في الحرب، مثابة: مرجع.

(٧٩) علي والخلفاء /نجم الدين العسكري ص ٨٣، نقلاً عن أحمد بن حنبل في المسند ج ١ ص ٩٤ وكنز العمال ج ٤ ص ٣٩ وغيره.

(٨٠) كنز العمال جـ ٧ ص ١٤٧ وصحيح البخاري ٧٢٧/١٩ وغيره نقلاً عن علي والخلفاء ص ٨٧.

الخطاب: ان الناس قد تتابعوا في شرب الخمر بالشام، وقد ضربت أربعين، ولا أراها تغني عنهم شيئاً، فاستشار عمر الناس....

فقال علي (ع): **أرى أن تجعلها بمنزلة حد الفرية «ثمانون جلدة»**.

إن الرجل إذا شرب هذى، وإذا هذى، افترى. فجلدها عمر بالمدينة، وكتب إلى أبي عبيدة... فجلدها بالشام[٨١].

٥ ـ وقد ورد أن عمر بن الخطاب رأى ليلة رجلاً وامرأة على فاحشة، فلما أصبح قال للناس: أرأيتم أن إماماً رأى رجلاً وامرأة على فاحشة. فاقام عليهما الحد ما كنتم فاعلين؟

فقالوا: إنما أنت إمام.

فقال علي بن أبي طالب: «**ليس ذلك لك، اذن يقام عليك الحد، إن الله لم يأمن على هذا الأمر أقل من أربعة شهداء**» ثم إن عمر ترك الناس ما شاء الله، ثم سألهم: فقال القوم مثل مقالتهم الأولى... وقال علي (ع) مثل مقالته.

فأخذ عمر بقول الامام[٨٢].

٦ ـ عن ابن سيرين أن عمر بن الخطاب سأل الناس قائلاً: كم يتزوج المملوك؟ وقال لعلي: اياك أعني يا صاحب المعافري ـ رداء كان عليه. ـ

فقال الامام (ع): **اثنتين**[٨٣].

٧ ـ بعد أن فتح المسلمون الشام جمع أبو عبيدة بن الجراح المسلمين واستشارهم بالمسير الى بيت المقدس أو الى قيسارية، فقال له معاذ بن جبل: اكتب الى أمير المؤمنين عمر، فحيث أمرك فامتثله، فكتب ابن الجراح الى عمر بالأمر، فلما قرأ الكتاب، استشار المسلمين بالأمر.

---

(٨١) سنن البيهقي وتاريخ الطبري وكنز العمال ج ٣ ص ١٠١ وشرح الموطأ للزرقاني ج ٤ ص ٢٥ وغيره. نقلاً عن علي والخلفاء ص ٩٠.

(٨٢) كنز العمال ج ٣ ص ٩٦ والفتوحات الاسلامية ج ٢ ص ٤٨٢، نقلاً عن علي والخلفاء ص ٩٨.

(٨٣) مناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ١٩١.

فقال علي (ع): **مر صاحبك ينزل بجيوش المسلمين الى بيت المقدس، فإذا فتح الله بيت المقدس، صرف وجهه الى قيسارية، فانها تفتح بعدها إن شاء الله تعالى، كذا أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.**

قال عمر: صدق المصطفى صلى الله عليه (وآله) وسلم، وصدقت أنت يا أبا الحسن... ثم كتب الى أبي عبيدة بالذي أشار به علي (ع)[٨٤].

٨ ـ بعد انتصار المسلمين على الفرس في خلافة عمر، شاور ابن الخطاب أصحاب رسول الله (ص) في سواد الكوفة...

فقال بعضهم: نقسمها بيننا، ثم شاور علياً (ع) في الأمر.

فقال (ع): **ان قسمتها اليوم لم يكن لمن يجيء بعدنا شيء، ولكن تقرها في أيديهم يعملونها، فتكون لنا ولمن بعدنا.**

فقال عمر لعلي: وفقك الله... هذا الرأي[٨٥].

٩ ـ عن الطبري في تاريخه عن سعيد بن المسيب.

قال: جمع عمر بن الخطاب الناس فسألهم، من أي يوم نكتب التاريخ؟.

فقال علي (ع): **من يوم هاجر رسول الله صلّى الله عليه وآله، وترك أرض الشرك. ففعله عمر**[٨٦]، وهكذا وجد التاريخ الهجري ليؤرخ به المسلمون.

هذه بعض ملامح دور الامام علي (ع) الرسالي في خلافة عمر بن الخطاب.

---

(٨٤) علي والخلفاء، ص ١٣٣ نقلا عن ثمرات الأوراق في المحاضرات لابن الحجة الحموي الحنفي. ج ٢ ص ١٥ طبعة ١٣٦٨ هـ.

(٨٥) علي والخلفاء، ص ٢٣٩

(٨٦) تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢٥٣. وفي تاريخ اليعقوبي مثله وكنز العمال ومستدرك الحاكم والكامل لابن الأثير. نقلا عن علي والخلفاء ص ٢٤٠

ج - في عهد عثمان:

١ - تزوج شيخ كبير بكراً فحملت، فادعى الرجل أنه لم يصل إليها، فسأل عثمان المرأة: هل افتضك الشيخ؟

قالت: لا. فأمر باقامة الحد عليها.

فقال الامام (ع): **إن للمرأة سمين: سم الحيض وسم البول، فلعل الشيخ كان ينال منها فسال ماؤه في سم الحيض، فحملت منه.** فقال الرجل: قد كنت انزل الماء في قبلها من غير وصول اليها بالافتضاض.

قال الامام علي (ع): **الحمل له، والولد له، وأرى عقوبته على الانكار له**[٨٧].

٢ - عن موطأ مالك عن بعجة بن بدر الجهني: أنه أتى - عثمان - بامرأة قد ولدت لستة أشهر، فهمَّ برجمها فقال علي (ع): **إن خاصمتك بكتاب الله خصمتك، إن الله تعالى يقول: ﴿وحمله وفصاله ثلاثون شهراً﴾ ثم قال: ﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة﴾.**

فحولان مدة الرضاعة وستة أشهر مدة الحمل.

فقال عثمان: ردوها[٨٨].

---

(٨٧) مناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ١٩٢ وعجائب أحكام أمير المؤمنين/ محمد بن علي القمي (ره) ص ٤٣.

(٨٨) المناقب ص ١٩٢ وابن كثير في تفسيره ج ٤ ص ٥٧ والبيهقي في سننه ج ٧ ص ٤٤٢.

خاتمة

هذه أمثلة يسيرة مما كان ينهض الإمام علي (ع) به من مسؤوليات عظيمة في عهد الخلفاء، وكان دافعه في ذلك الإخلاص للرسالة وحفظ الوحدة الإسلامية وحماية المسيرة الإسلامية من الانحراف.

ولقد تنبه الخليفة الثاني الى أهمية ما يقوم به علي (ع) في هذا المضمار، فصرح مراراً مشيداً بذلك الفضل، ومنوهاً بأهميته في مسيرة الخلافة كقوله: «أعوذ بالله أن أعيش في قوم لست فيهم يا أبا الحسن»[٨٩]، وغير ذلك.

---

(٨٩) الدر المنثور للسيوطي ج ٣ ص ١٤٤ وسيرة عمر لابن الجوزي ص ١٠٦ والفتوحات الاسلامية لدحلان ج ٢ ص ٤٨٦ وغيرها. نقلا عن علي والخلفاء للشيخ نجم الدين العسكري ومسند ابن أبي شاكر لابن شهر آشوب ج ٢ والغدير ج ٦ وج ٧. وعجائب أحكام أمير المؤمنين للمفسر نخبل محمد بن ابراهيم القمي

المقدمـــة

الجزء الثاني

الامام الخليفة

بعد مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان أجمعت الأمة على بيعة الإمام علي (ع) خليفة لها، وقد اجتاحت النفوس موجة من العاطفة نحوه، ولكنه رد على موقف الناس بقوله: «... **دعوني والتمسوا غيري**...»[1].

فإن علياً أبى أن يكون أسيراً للعاطفة، فلعل نقمة بعض الناس على عثمان هي التي أججت نحوه العاطفة وشدت إليه التيار، وهو يريد من الأمة اقراراً ارادياً لإمامته، ليس محكوماً بالانفعال الآني.

ثم إن علياً ليس ممن تغريه المناصب وتستهويه الكراسي حتى يستجيب فور إقبال الناس عليه، فإن الإمرة كلها لا تساوي لديه جناح بعوضة. بل الدنيا كلها عنده كعفطة عنز ـ على حد تعبير له (ع) ـ ثم ان القيادة لا تساوي عنده شيئاً مذكوراً، إن لم يقم من خلالها الحق ويبطل الباطل...

ولهذا لم يستجب لضغط الجمهور في بادىء الأمر، قبل وضعهم أمام اختبار ليتأكد من مدى قدرة الناس على تلقي مناهجه والاستجابة لخططه إذا تسلم زمام الأمر.

فبالرغم من أن العاصمة المقدسة «المدينة المنورة» قد أصرّت على اختياره على شكل تظاهرات حقيقية وتجمعات مكثفة حتى صارت المطالبة بقيادته إجماعية لا جماعية، فإنه (ع) بقي عند موقفه المتريّث، بيد أن اصرار الأمة على بيعته جعله يطرح عليها شروطه لقبول الخلافة، فان بايعته الأمة وفقاً لما يلي من شروط استجاب هو لمطلبها في استخلافه...

---

(١) نهج البلاغة ـ ص ١٣٦ ـ تبويب الدكتور صبحي الصالح.

وحين أذاع بيانه المتضمن لشروطه: «. . . **واعلموا أنّي إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم، ولم أصغِ إلى قول القائل وعتب العاتب**. . .»[1].

وسارعت الأمة مذعنة لشروطه، ومدت يد البيعة على الطاعة إليه؛ ولبىّ هو مطلبها ليواجه مسؤولياته القيادية في الأمة الإسلامية على الصعيد الفكرى والعملي. . .

وقد كانت من أولى مهامه (ع) أن يزيل صور الانحراف التي طرأت على الحياة الإسلامية، وأن يعود بالأمة الى أصالة المنهج الإلهي.

ومن أجل ذلك كان لا بد أن يسير وفق منهاج محدد وشامل يلزم ولاته بتطبيقه. . . وقد انصب منهاج حكومته على مواجهة المشاكل في الميادين الآتية:

١ ـ الميدان السياسي:

لقد حدّد الإمام القائد (ع) مواصفات ولاة الأمر وموظفي الدولة الذين يرشحهم الإسلام لإدارة شؤون الأمة الإسلامية ببيان أصدره (ع) جاء فيه:

«. . . **أنه لا ينبغي أن يكون الوالي على الفروج والدماء والمغانم والأحكام وإمامة المسلمين البخيل، فتكون في أموالهم نهمته، ولا الجاهل فيضلهم بجهله، ولا الجافي فيقطعهم بجفائه، ولا الحائف للدول فيتخذ قوماً دون قوم، ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق، ويقف بها دون المقاطع ولا المعطل للسنة فيهلك الأمة**. . . .»[2].

---

(٢) المصدر السابق والصفحة ذاتها.

(٣) نهج البلاغة رقم ١٣١ تبويب صبحي الصالح.

نهمته: شهوته الشديدة وحرصه المفرط.

الحائف: الجائر، الظالم.

الدول: المال، والحائف للدول معناه الذي يظلم في توزيع الأموال فيفضل جماعة على أخرى.

المقاطع: الحدود التي حددها الله تعالى.

ففي ضوء هذا التحديد الموضوعي لصفات المسؤولين والموظفين الذين يقرهم الإسلام عمد الإمام علي (ع) إلى الاستغناء عن خدمات قسم من الولاة الذين كانوا يتولون أقاليم الدولة الإسلامية... لأن علياً (ع) لو ساوم ـ كما يريد بعض المؤرخين ـ لتعذر على الأجيال المسلمة التماس الصورة الحقيقية للشريعة التي ابتعث الله بها رسوله العظيم صلّى الله عليه وآله وسلم.

٢ ـ الميدان الاقتصادي:

٢ ـ الميدان الاقتصادي:

كما عمد الإمام علي (ع) الى اصلاح الوضع السياسي والاداري كذلك فعل بالنسبة للوضع الاقتصادي، فقد بادر فور تسلمه زمام الأمور مباشرة الى الغاء طريقة توزيع المال التي اعتمدت فيما سبق.

فقد استبدل الإمام طريقة التمييز في العطاء بطريقة المساواة في التوزيع التي انتهجها رسول الله (ص).

فألغى الإمام (ع) كل أشكال التمييز في توزيع المال على الناس، مؤكداً أنّ التقوى والسابقية في الإسلام والجهاد، والصحبة للرسول (ص) أمور لا تمنح أصحابها مراتب أو مميزات في الدنيا، وانما لتلك المزايا ثوابها عند الله في الآخرة، ومن كان له قدم في ذلك، فالله تعالى يتولى جزاءه، أما في هذه الدنيا فإن الناس سواسية في الحقوق المالية وأمام القضاء الإسلامي وفي الواجبات والتكاليف.

وقد تضمن بيانه التالي هذه الأفكار الجليلية العادلة: «**ألا وأيما رجل من المهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله يرى أن الفضل له على سواه لصحبته فإن الفضل النيّر غداً عند الله وثوابه وأجره على الله.**

وأيما رجل استجاب لله وللرسول فصدق ملتنا ودخل في ديننا واستقبل قبلتنا فقد استوجب حقوق الإسلام وحدوده فانتم عباد الله، والمال مال الله يقسم بينكم بالسوية لا فضل فيه لأحد على أحد، وللمتقين عند الله غداً أحسن الجزاء وأفضل الثواب، لم يجعل الله الدنيا للمتقين أجرا ولا ثوابا،

وما عند الله خير للأبرار . . .»[٤].

وهكذا جسّد الإمام (ع) مفهوم التسوية في العطاء بين جميع الناس الذين يتمتعون بحق المواطنة الإسلامية دون تمييز لأي سبب من الأسباب.

وهذه بعض ملامح العملية الاصلاحية التي قادها الإمام علي (ع) في شتى مرافق الحياة الإسلامية، في المال والحكم والادارة وسواها:

---

(٤) شرح نهج البلاغة لمحمد عبده جـ ١، ص ٢٦٩.

منهاج الاصلاح

وضع الإمام (ع) خطته الإصلاحية الشاملة، وقد انصب جلُّ اهتمام الإمام (ع) على اصلاح شؤون الإدارة والاقتصاد والحكم كما قدمنا.

ومن خلال ذلك العمل الإصلاحي الكبير حظيت الأمة عبر مسيرتها الجديدة التي اختطها لها أمير المؤمنين (ع)، بمعطيات جمة ذات مردودات عظيمة لصالح الأمة والمسيرة بشكل عام، نذكر منها ما يلي:

أولاً ـ استعانة الإمام (ع) بجهاز من الولاة والموظفين لإدارة دفة الحياة الإسلامية يعدّ أفراده نموذجاً في مستواهم الروحي والفكري والالتزامي: كعثمان بن حنيف، ومحمد بن أبي بكر، ومالك الأشتر وسواهم.

على أن تلك النماذج الخيرة من الرجال، وان كانوا في مستوى لائق في الفكر والعمل والقدرة الادارية والقيادية، فإن الإمام (ع) قد زودهم بخطط هادية ومناهج راشدة، يهتدون بها في حياتهم العملية، وفي علاقاتهم مع مختلف قطاعات الأمة التي يباشرون قيادتها.

فهو يلزم ولاته بالنصح لعباد الله، واشاعة العدل بينهم ومعاملتهم باللين والحب، والتجاوز عن كل مظاهر الاستعلاء التي يغري بها المنصب غالباً، والحيلولة دون تأثير ذوي النفوذ الاجتماعي في مسيرة العدالة الإسلامية على حساب القطاعات الاجتماعية الأخرى، ونحو ذلك من مستلزمات اشاعة العدل وإقامة الحق بين الناس.

وهذه نماذج من خططه في هذا المضمار:

«... فاخفضْ لهم جناحك وألنْ لهم جانبك وابسطْ لهم وجهك وآس بينهم في اللحظة والنظرة، حتى لا يطمع العظماء في حيفك لهم، ولا ييأس

الضعفاء من عدلك عليهم، فإن الله تعالى يسائلكم معشر عباده عن الصغيرة من أعمالكم والكبيرة، والظاهرة والمستورة، فإن يعذب فأنتم أظلم، وإن يعفُ فهو أكرم. . .»[٥].

«سع الناس بوجهك ومجلسك وحكمك، وإياك والغضب فإنه طيرة من الشيطان، واعلم أن ما قربك من الله يباعدك من النار، وما باعدك من الله يقربك من النار»[٦].

هذه مقاطع من توجيهات الإمام (ع) التي ألزم ولاته بالعمل على ضوئها في حياتهم العملية.

ومن نافلة القول أن نشير إلى أن الإمام (ع) بالرغم من اهتمامه بانتقاء العناصر الكفوءة والورعة فإنه كان يحرص على الإحاطة بأساليبهم في معاملة الأمة من خلال مراكزهم القيادية باستعانته بجهاز من الرقباء والعيون ليرى مدى طاعة الولاة وتنفيذهم لقواعد العدالة الإسلامية، فإذا بدا من أحدهم خطأ أو تقصير، بادر الإمام الى تقويم سلوكه بالوسائل التربوية تارة وبالتهديد أو بالعزل إذا لزم الأمر، وهذه نماذج من وسائله تلك:

فقد بلغه أن عثمان بن حنيف (رض) واليه على البصرة دعاه بعض شخصيات أهل البصرة إلى مأدبة، فخشي الإمام (ع) أن تستميله تلك الوسائل أو سواها فينحرف عن خط العدالة الإسلامية المرسوم فيميل في أحكامه أو يجور في قضائه ومعاملته للأمة، فكتب إليه كتاباً جاء فيه: **«أما بعد، يا ابن حنيف فقد بلغني أن رجلاً من فتية أهل البصرة دعاك إلى مأدبة، فأسرعت إليها، تستطاب لك الألوان، وتنقل إليك الجفان، وما ظننت أنك تجيب الى**

---

(٥) من عهده (ع) الى محمد بن أبي بكر حين ولاه مصر. نهج البلاغة ص ٣٨٣ تبويب د. صبحي الصالح.
آس = ساو بينهم. حيفك لهم = ظلمك من أجلهم.

(٦) وصيته الى عبد الله بن عباس حين استخلفه على البصرة. نهج البلاغة تبويب د صبحي الصالح رقم ٧٦.
سع الناس = اشملهم برعايتك في كل جانب من جوانب الحياة.
طيرة = طيش وخفة.

طعام قوم؛ عائلهم مجفو، وغنيهم مدعو، فانظر الى ما تقضمه من هذا المقضم، فما اشتبه عليك علمه فالفظهُ، وما أيقنت بطيب وجوهه فنلْ منه . . .

ألا وإن لكل مأموم إماماً يقتدي به، ويستضيء بنور علمه، ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه، ومن طعمه بقرصيه، ألا وانكم لا تقدرون على ذلك، ولكن أعينوني بورع واجتهاد وعفة وسداد . . .»[٧].

وقد كتب إلى مصقلة الشيباني عامله على (اردشير خرّة) مهدداً ومتوعداً «بلغني عنك أمرٌ ان كنت فعلته، فقد أسخطت إلهك وعصيت إمامك: إنك تقسم فيء المسلمين الذي حازته رماحهم وخيولهم، وأريقت عليه دماؤهم، فيمن اعتامك من أعراب قومك، فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة، لئن كان ذلك حقاً لتجدن لك عليَّ هواناً، ولتخفَّنَّ عندي ميزاناً، فلا تستهنْ بحق ربك، ولا تصلح دنياك بمحق دينك، فتكون من الأخسرين أعمالاً»[٨].

وكتب إلى أحد عماله يقول: «أما بعد فقد بلغني عنك أمر، ان كنت

---

(٧) نهج البلاغة تبويب د. صبحي الصالح ص ٤١٦.
مأدبة طعام = طعام دعوة أو عرس.
يستطاب لك = يطلب لك طيبها.
الألوان = أصناف الطعام.
الحفان = جمع حفنة وهي القصعة
العائل = المحتاج.
المجفو = مطرود «من الجفاء».
قضم = أكل بطرف أسنانه.
المقضم = الماكل.
القطه = اطرحه، لا تأكله.
الطمر = الثوب البالي.
طعمه = ما يطعمه ويفطر عليه.
قرص = رغيف خبز.
السداد = الاحتراز من الخطأ.
(٨) المرجع السابق ص ٤١٥ اعتامك: اختارك واصله احد العيمة وهي خيار المال.

فعلته فقد أسخطت ربك، وعصيت إمامك، وأخزيت أمانتك. بلغني أنك جردت الأرض فأخذت ما تحت قدميك، وأكلت ما تحت يديك، فارفع إليَّ حسابك، واعلم أن حساب الله أعظم من حساب الناس...»[9].

وكما كان الإمام (ع) يخطط للولاة ويزودهم بنصائحه الهادية، كان يرسم الخطط كذلك لقادة جيوشه، ويوضح لهم معالم الطريق، وما ينبغي عليهم فعله عند مواجهة العدو.

فكان (ع) ينهاهم عن البغي، ويأمرهم بعدم إثارة الحرب من جانبهم، وإنما ينبغي التسلح بالصبر وضبط النفس، وأن يكونوا في بداية المواجهة كما لو كانوا مدافعين فحسب، فإذا اعتدي عليهم فقد قامت الحجة لصد العدوان؛ فإذا قدِّر وانتصروا على عدوهم فلا يباح أن تحملهم نشوة الظفر على عدوهم الى ملاحقة جنوده الهاربين من القتال، أو الذي لا يملك منهم سلاحاً يدافع به عن نفسه، كما لا يجوز قتل الجرحى، أو الإساءة إلى النساء، وأن بدأن الإساءة بسب أو شتم أو نحوه.

وهذه بعض وصاياه (ع) لجيوشه:

«... لا تقاتلوهم حتى يبدؤوكم فإنكم بحمد الله على حجة، وتركككم إياهم حتى يبدؤوكم حجة أخرى لكم عليهم، فإذا كانت الهزيمة بإذن الله، فلا تقتلوا مدبراً ولا تصيبوا معوراً[10] ولا تجهزوا على جريح، ولا تهيجوا النساء بأذى، وإن شتمن أعراضكم وسببن أمراءكم...»[11].

«... ألا وإن لكم عندي ألا احتجز دونكم سراً إلا في حرب، ولا أطوي دونكم أمراً إلّا في حكم، ولا أؤخر لكم حقاً عن محله، ولا أقف به دون مقطعه، وأن تكونوا عندي في الحق سواء، فإذا فعلت ذلك وجبت لله عليكم النعمة ولي عليكم الطاعة، وألّا تنكصوا عن دعوة ولا تفرطوا في

---

(٩) المرجع السابق ص ٤١٢ جردت الأرض: اشارة الى الخيانة بتخريب الأراضي.

(١٠) المعور: الذي عجز عن حماية نفسه أثناء الحرب.

(١١) نهج البلاغة، وصيته (ع) رقم ١٤ ص ٣٧٣، د. صبحي الصالح.

صلاح وأن تخوضوا الغمرات إلى الحق. . .»[١٢].

وبالنظر للأهمية البالغة التي يحتلها جهاز جباية الأموال في الدولة الإسلامية حيث تشكل الحقوق العامة في ملكية الأفراد عنصراً هاماً من عناصر الاقتصاد الإسلامي، فإن حق الجماعة في الملكيات الخاصة يوفر ضمانة كبرى لمساعدة الدولة الإسلامية على تغطية نفقاتها الكبرى على الصعيد الاجتماعي والعسكري وغيرهما من جوانب الحياة العامة. . . أقول بالنظر لأهمية جهاز الجباية هذا فقد أولاه الإمام (ع) عناية فائقة لا من أجل أن يجمع اكبر نصيب من المال أبداً، وإنما من أجل أن ينخرط ـ ذلك الجهاز ـ في مسيرة العدالة الإسلامية المثلى التي جسدها الإمام (ع) في حياة الناس. فكان الإمام حريصاً على أن يلتزم موظفو ذلك الجهاز بأقصى درجات العدل والفضيلة والنبل، والشعور بالمسؤولية، فليست مهمتهم في نظر الإمام (ع) أن يجمعوا المال من أجل المال، وإنما ينبغي عليهم أن يلتزموا الحق في تعاملهم مع الأمة وأن يعكسوا عدالة الإسلام لمن يلتقون بهم من الناس؛ فلا ينبغي أن يغضبوا أحداً من الناس، ولا يسيؤوا معاملة أحد، ولا يضربوا إنساناً من أجل درهم مثلاً، ولا يجوز أن يعتدوا على مال امرىء من المسلمين أو من غيرهم ممن يتمتع بحق التابعية للدولة الإسلامية.

كما لا يجوز أبداً أن يبيعوا كسوة إنسان أو دابته من أجل استيفاء المال، ولا يحق لأحد الجباة أن يردع أحداً أو يستوفي أكثر من حق الله في ماله، ولا ينبغي أن يستعلي على الناس أو يبخل عليهم بالتحية أو اللطف والمرونة في معاملتهم إلى غير ذلك من وصاياه وبرامجه العظيمة البناءة.

وهذه صور من مناهجه في هذا المضمار:

«. . . **فإنكم خزان الرعية ووكلاء الأمة، وسفراء الأئمة ولا تحشموا أحداً عن حاجته ولا تحبسوه عن طلبته، ولا تبيعُنَّ للناس في الخراج كسوة شتاء ولا صيف ولا دابة يعتملون عليها ولا عبداً، ولا تضربُنَّ أحداً سوطاً**

---

(١٢) نفس المصدر من كتاب له الى أمراء جيشه رقم ٥٠ ص ٤٢٤.

لمكان درهم ولا تمسنَّ مال أحدٍ من الناس مصلٍّ ولا معاهد...»[١٣].

«... انطلق على تقوى الله وحده لا شريك له، ولا تروّعَنَّ مسلماً ولا تجتازن عليه كارهاً، ولا تأخذن منه أكثر من حق الله في ماله، فإذا قدمت على الحي فانزل بمائهم من غير أن تخالط أبياتهم، ثم امض إليهم بالسكينة والوقار حتى تقوم بينهم فتسلم عليهم، ولا تخدج[١٤] بالتحية لهم. ثم تقول: عباد الله، ارسلني اليكم ولي الله وخليفته لآخذ منكم حق الله في أموالكم، فهل لله في أموالكم من حق فتؤدوه إلى وليه....؟»[١٥].

ثانياً ـ تجسيد المخطط الإسلامي للعدالة الاجتماعية بأجلى صوره وأدق تفصيلاته:

إذا كانت جميع جوانب الجهاز الحكومي في الدولة الإسلامية قد تناولتها يد الإصلاح، فحققت أرقى النماذج التي يصبو إليها الإنسان، فإن الإمام (ع) قد خطا في سبيل تحقيق أفضل صورة للعدالة الإجتماعية وفقاً للتصورات الإسلامية التفصيلية.

فقد شهد المجتمع الإسلامي بجميع قطاعاته وقواه عدالة رائدة كالتي شهدها أيام رسول الله (ص) في منطلقاتها وأبعادها.

وفيما يلي شواهد من تلك التجربة التاريخية المشعة التي تفيأت الأمة ظلالها:

أ ـ رفق وتعاهد:

فقد شهدت قطاعات الأمة جميعاً صوراً من التعاهد لأمرها والرفق بها ورعاية شؤونها، والتسوية في العطاء بين جميع حملة التابعية للدولة الإسلامية التي تجسدها هذه النصوص: «**المال مال الله يقسم بينكم بالسوية لا فضل**

---

(١٣) نهج البلاغة من كتاب له الى عماله على الخراج رقم ٥١ تبويب د. صبحي الصالح.

(١٤) لا تخدج بالتحية = لا تبخل بالسلام عليهم والسؤال عن أحوالهم.

(١٥) نهج البلاغة كتاب لمن يستعمله على الصدقات رقم ٢٥.

لاحد على أحد».

«وايم الله لانصفن المظلوم من ظالمه، ولاقودن الظالم بخزامته حتى أورده منهل الحق وان كان كارهاً»[16].

أقول إلى جانب هذا وذاك، شهدت الأمة التي قادها أمير المؤمنين (ع) بمختلف قطاعاتها من الوان التدبير لشؤونها، والرعاية لأمورها، والحدب عليها ما حقق لها الكرامة والسعادة والحرية وهذه صور منها:

عن الحَكَم قال:

شهدت علياً، وقد أتي له بزقاق من عسل، فدعا اليتامى وقال: **ذوقوا، والعقوا**، حتى تمنيت أني يتيم، فقسمه بين الناس وبقي منه زق، فأمر أن يسقاه أهل المسجد»[17].

وعن هارون بن عنترة عن زاذان قال: انطلقت مع قنبر غلام علي (ع) فإذا هو يقول: قم يا أمير المؤمنين فقد خبأت لك خبيئاً.

قال (ع): **وما هو، ويحك!!**

قال: قم معي...

فقام فانطلق به الى بيته، وإذا بغرارة مملوءة من جامات ذهباً وفضة. فقال: يا أمير المؤمنين، رأيتك لا تترك شيئاً إلا قسمته فادخرت لك هذا من بيت المال.

فقال علي (ع): **ويحك يا قنبر، لقد أحببت أن تدخل بيتي ناراً عظيمة**، ثم سلَّ سيفه، وضربها ضربات كثيرة، فانتثرت... ثم دعا بالناس، فقال: **اقسموه بالحصص**، ثم قام الى بيت المال، فقسم ما وجد فيه، ثم رأى في البيت ابراً ومسال فقال: **ولتقسموا هذا...**»[18].

---

(١٦) روائع نهج البلاغة ـ جورج جرداق ص ١٦٣

الحزامة = حلقة من شعر توضع في وترة أنف البعير يشد بها زمامه ويسهل قياده.

(١٧) أنساب الأشراف للبلاذري جـ ٢ ص ١٣٦

(١٨) شرح النهج لابن ابي الحديد تحقيق/ محمد ابو الفضل ابراهيم ط/١٣٧٨ هـ جـ ٢، ص ١٩٨ و ١٩٩.

وعن الحَكَم قال: إن علياً قسم فيهم الرمّان حتى اصاب مسجدهم سبع رمانات، وقال: **أيها الناس إنه يأتينا أشياء نستكثرها إذا رأيناها، ونستقلها إذا قسمناها، وإنا قد قسمنا كل شيء أتانا.**

قال: وأتته صفائح فضة فكسرها، وقسمها بيننا.

وعن علي بن ربيعة قال: جاء ابن التياح الى علي بن أبي طالب (ع) فقال: يا أمير المؤمنين امتلأ بيت المال من صفراء وبيضاء.

فقال علي (ع): **الله أكبر**، ثم قام متوكئاً على يد ابن التياح، فدخل بيت المال وهو يقول:

هـذا جنـاي وخيـاره فيـه وكـل جـان يـده الى فيـه[19]

ثم نودي في الناس، فأعطى ـ علي ـ جميع ما في بيت المال وهو يقول: «**يا بيضاء، ويا صفراء، غري غيري**».

حتى لم يبقَ فيه درهم ولا دينار، ثم أمر بنضحه، فصلى فيه ركعتين (ع).

وكان لشدة حرص الإمام (ع) على مصلحة الأمة لرفع غائلة الفقر والظلم عنها أنه التزم السير ـ عبر أيام خلافته عليها ـ وفقاً للنهج الآتي: «**... ولو شئت لاهتديت الطريق الى مصفى هذا العسل، ولباب هذا القمح، ونسائج هذا القز، ولكن هيهات أن يغلبني هواي، ويقودني جشعي الى تخير الأطعمة، ولعل بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص، ولا عهد له بالشبع. أو أبيت مبطاناً، وحولي بطون غرثى، وأكباد حرى.؟**

أأقنع من نفسي بأن يقال هذا: أمير المؤمنين، ولا أشاركهم في مكاره الدهر أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش؟»[20].

---

(١٩) مثل يضرب. أراد به الإمام (ع) أنه لم يصب شيئاً من مال المسلمين بل وضعه في مواضعه. تذكرة الخواص: سبط ابن الجوزي ص ١١٧.

(٢٠) نهج البلاغة من كتاب له الى عثمان بن حنيف رقم ٤٥ ص ٤١٨

ب ـ رقابة دقيقة لوضع السوق:

ولقد كان الإمام علي (ع) حريصاً على تجسيد العدالة الاقتصادية في مرافق الحياة الإنسانية كافة، ومن أجل ذلك فقد التزم خطة لمراقبة السوق من ناحية البيع والشراء وطبيعة ما يعرض للبيع، للحيلولة دون التطفيف في المكاييل والتلاعب بالأسعار أو الغش، فعن الإمام الباقر (ع) قال: «**كان أمير المؤمنين (ع) كل بكرة يطوف في أسواق الكوفة سوقاً سوقاً، ومعه الدرّة على عاتقه، وكان لها طرفان، وكانت تسمى السبيبة، فيقف على سوق فينادي:**

يا معشر التجار قدموا الاستخارة، وتبركوا بالسهولة، واقتربوا من المبتاعين، وتزينوا بالحلم، وتناهوا عن الكذب، واليمين، وتجافوا عن الظلم، وانصفوا المظلومين، ولا تقربوا الربا و ﴿أوفوا المكيال والميزان بالقسط، ولا تبخسوا الناس أشياءهم، ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾[21].

وعن أبي النوار قال:

رأيت علياً (ع) وقف على خياط، فقال له: **يا خياط صلّب الخيط، ودقق الدرز، وقارب الغرز، فأني سمعت رسول الله (ص) يقول «يؤتى يوم القيامة بالخياط الخائن وعليه قميص ورداء مما خاطه، وخان فيه، فيفتضح على رؤوس الأشهاد».**

ثم قال: «**يا خياط إياك والفضلات والسقطات فإن صاحب الثوب أحق بها...**»[22].

هكذا جسد الإمام أمير المؤمنين (ع) المخطط الإسلامي للعدالة الإجتماعية بأدق صورها، وهكذا عامل الأمة بالرفق والحب فعايش آمالها وآلامها حتى قطفت أروع ثمرات العدل في تاريخها كما كانت في عهد

---

(٢١) من سورة هود/٨٥، راجع بحار الأنوار ج ٤١ ص ١٠٤/من أمالي الصدوق وتذكرة الخواص ص ١٣٤ وأنساب الأشراف للبلاذري ج ٢ ص ١٢٩ مع اختلاف يسير في الألفاظ

(٢٢) تذكرة الخواص لسبط بن الجوزي ص ١٢٥

رسول الله (ص) سواء بسواء.

ج - تبني الإمام علي (ع) سياسة نكران الذات لصالح الأمة:

وذلك بالزهد الصادق بكل ما يطمع به الطامعون من مال وملذات وزخرف، فلقد عاش أمير المؤمنين في بيت متواضع لا يختلف عما يسكنه فقراء الأمة، وكان يأكل الشعير تطحنه امرأته أو يطحنه بيده سواء في ذلك قبل خلافته، وبعدها.

وكان يلبس أخشن لباس وأبسطه وكان مبدؤه الثابت في هذا المضمار:

«... **ألا، وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه ومن طعمه بقرصيه**»، «**فوالله، ما كنزت من دنياكم تبراً، ولا ادخرت من غنائمها وفراً، ولا أعددت لبالي ثوبي طمراً، ولا حزت من أرضها شبراً، ولا أخذت منه كقوت أتان دبرة، ولهي في عيني أوهن من عفصة مقرة**»[٢٣].

وبمقدورنا أن نلمس سياسة الإمام (ع) هذه مع نفسه من خلال المصاديق التالية:

عن هارون بن عنترة عن أبيه قال:

«دخلت على علي بالخورنق، وهو في فصل شتاء، وعليه خلق قطيفة.

فقلت: يا أمير المؤمنين إن الله قد جعل لك ولأهلك في هذا المال نصيباً، وأنت تفعل هذا بنفسك!!

فقال (ع): **والله ما أرزؤكم - أنقصكم - شيئاً، وما هي إلاّ قطيفتي التي أخرجتها من المدينة**»[٢٤].

وقد خاطبه عاصم بن زياد يوماً بقوله «يا أمير المؤمنين هذا أنت في خشونة ملبسك وجشوبة مأكلك!».

---

(٢٣) كتابه لعثمان بن حنيف - نهج البلاغة رقم النص ٤٥.
التبر: فتات الذهب والفضة قبل الصياغة. الوفر: المال.
الطمر: الثوب الخلق البالي. اتان دبرة = التي عقر ظهرها فقل اكلها.

(٢٤) تذكرة الخواص لسبط بن الجوزي ص ١٢١ وعبقرية الإمام للعقاد ص ١٦ ط. بيروت ١٩٦٧.

فاجابه علي (ع):

«ويحك إني لست كانت. إن الله تعالى فرض على أئمة العدل أن يقدروا أنفسهم بضعفة الناس كيلا يتبيَّغ بالفقير فقره»[٢٥].

وعن سويد بن غفلة قال: دخلت على علي (ع) يوماً وليس في داره سوى حصير رث وهو جالس عليه.

فقلت: يا أمير المؤمنين أنت ملك المسلمين والحاكم عليهم وعلى بيت المال، وتأتيك الوفود وليس في بيتك سوى هذا الحصير؟ قال (ع): **يا سويد إن البيت لا يتأثث في دار النقلة وأمامنا دار المقامة، وقد نقلنا اليها متاعنا، ونحن منقلبون إليها عن قريب**[٢٦].

وها هو علي يخرج سيفه ليبيعه في السوق كي يشتري بثمنه ازاراً، وهو أمير المؤمنين وزعيم الأمة الإسلامية الذي تجبى إليه الأموال من جميع بقاع العالم الإسلامي.

فعن ابي رجاء قال: اخرج علي (ع) سيفاً إلى السوق فقال: **«من يشتري مني هذا؟ فوالذي نفس علي بيده لو كان عندي ثمن إزار ما بعته»!!!**

فقلت له: أنا أبيعك إزاراً وأنسؤك ثمنه الى عطائك، فدفعت إليه إزاراً إلى عطائه، فلما قبض عطاءه دفع إليَّ ثمن الإزار[٢٧].

إنه (ع) لا يأخذ من فيئهم شيئاً، وإن قدَّر له الخروج من الكوفة، فلا يخرج إلّا بالذي جاء به من المدينة المنورة: راحلته ورحله وغلامه:

فعن بكر بن عيسى قال: كان علي (ع) يقول: **«يا أهل الكوفة، إذا أنا خرجت من عندكم بغير راحلتي، ورحلي وغلامي فلان، فأنا خائن»**.

فكانت نفقته تأتيه من غلته بالمدينة بينبع، وكان يطعم الناس منها الخبز

---

(٢٥) نهج البلاغة تبويب د. صبحي الصالح رقم ٢٠٩ ص ٣٢٤.
يتبيغ = يشتد به ألم الفقر.

(٢٦) تذكرة الخواص ص ٦٨.

(٢٧) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ٢ ص ٢٠٠.

واللحم، ويأكل هو الثريد بالزيت.

ولشدة حرصه (ع) على سلوك سبيل رسول الله (ص) في عدله وزهده أشار عقبة بن علقمة قال: دخلت على علي (ع) فإذا بين يديه لبن حامض، آذتني حموضته، وكسر يابس.

فقلت: يا أمير المؤمنين، أتأكل مثل هذا؟

فقال لي: **يا أبا الجنوب، كان رسول الله يأكل أيبس من هذا، ويلبس أخشن من هذا، وأشار إلى ثيابه؛ فإن أنا لم آخذ بما أخذ به خفت ألاّ ألحق به**[٢٨].

ولعظيم إيثاره للأمة على نفسه ما رواه عبد الله بن الحسين بن الحسن (ع) قال: أعتق علي (ع) في حياة رسول الله (ص) ألف مملوك مما عملت يداه، وعرق جبينه.

ولقد ولي الخلافة، وأتته الأموال فما كان حلواه إلاّ التمر ولا ثيابه إلاّ الكرابيس[٢٩].

وعن سفيان الثوري عن عمر بن قيس قال: رؤي على علي (ع) إزار مرقوع، فعوتب في ذلك، فقال:

«**يخشع له القلب، ويقتدي به المؤمن**»[٣٠].

ولقد بلغ في شدة زهده (ع) ونكرانه لذاته ابتغاء لوجه الله تعالى ما يتجلى عبر عبارته «... **والله لقد رقّعت مدرعتي هذه حتى استحييت من راقعها، ولقد قيل لي: ألا تستبدل بها غيرها؟ فقلت للقائل: وبحك اعزب، فعند الصباح يحمد القوم السرى**»[٣١].

هذه بعض بنود منهاج علي (ع) مع نفسه وهي تمثل احد روافد العدالة الإسلامية العظمى التي جسدها الإمام (ع) في دنيا الناس أسوة برسول الله (ص).

(٢٨ و ٢٩) المرجع السابق ص ٢٠١ وص ٢٠٢.

(٣٠) تذكرة الخواص ص ١٢١.

(٣١) المرجع السابق ص ١٢٥. المدرعة: ثوب صوفي غليظ.

د ـ مساواة أهل بيته بسائر الناس:

اما منهاج أمير المؤمنين (ع) الذي سلكه في أهل بيته وقرابته فلم يكن بعيداً عن منهاجه مع نفسه إلّا من حيث الدرجة، فقد كان مبنياً على أساس مساواتهم بالأمة في الحقوق والواجبات، بل إن الذي يتحملونه من مهام من أجل حماية الرسالة والمسيرة الاسلامية أكثر بكثير مما ينالون من حقوق...

فقد كان الإمام (ع) حريصاً على معاملة ذويه في مسألة الحقوق كما لو كانوا من عامة الناس، فلا يفضلهم بعطاء، ولا يميزهم بحق، فلقد سلك معهم أسلوب التدريب والاعداد للعمل بمنهاجه معهم، بل كان يبدو شديداً مع بعضهم من أجل أن ينتهج الخط الذي رسمه الإمام (ع) لمتعلقيه وأهل قرابته.

وهاك صوراً من منهاجه ذلك:

قال مسلم صاحب الحنا:

«لما فرغ علي (ع) من أهل الجمل أتى الكوفة، ودخل بيت المال، ثم قال: **يا مال غرّ غيري**، ثم قسمه بيننا، ثم جاءت ابنة للحسن أو للحسين (ع) فتناولت منه شيئاً، فسعى وراءها ففك يدها ونزعه منها، فقلنا: يا أمير المؤمنين إن لها فيه حقاً، قال (ع): **إذا أخذ أبوها حقه فليعطها ما شاء**»[٣٢].

وروى هارون بن سعيد قال: قال عبد الله بن جعفر بن أبي طالب لعلي (ع): يا أمير المؤمنين، لو أمرت لي بمعونة أو نفقة؛ فوالله ما لي نفقة إلّا أن أبيع دابتي!!

فقال الإمام (ع): **لا والله، ما أجد لك شيئاً إلّا أن تأمر عمك أن يسرق فيعطيك**...[٣٣].

وقد جاءه أخوه عقيل ـ وكان ضريراً ـ يوماً يطلب صاعاً من القمح من

---

(٣٢) أنساب الأشراف ج ٢ ص ١٣٢

(٣٣) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج ٢ ص ٢٠٠.

بيت مال المسلمين - زيادة على حقه - وظل يكرر طلبه على علي (ع)، فما كان من الإمام أمير المؤمنين إلا وأحمى له حديدة على النار وأدناها منه، ففزع منها عقيل. ثم وعظه: «**يا عقيل أتئن من حديدة أحماها إنسانها للعبه وتجرني الى نار سجرها جبارها لغضبه، أتئن من الأذى ولا أئن من لظى**...»[٣٤].

وعن أبي صادق عن علي (ع): أنه تزوج ليلى، فجعلت له حجلة، فهتكها، وقال:

حسب آل علي ما هم فيه[٣٥].

وعن الحسن بن صالح بن حي قال:

- بلغني أن علياً (ع) تزوج امرأة فتجّدت - زيّنت - له بيتاً، فأبى أن يدخله[٣٦].

وعن كلاب بن علي العامري قال:

زفت عمتي الى علي (ع) على حمار بأكاف تحتها قطيفة، وخلفها قفة معلقة[٣٧]!!

هكذا كان منهاج علي (ع) مع أهل بيته وذوي قرابته لا يفرط من أجلهم بحق من حقوق المسلمين أبداً، بل يعمل كل ما من شأنه على رفع مستواهم باتجاه مبادئه في الزهد، ونكران الذات في سبيل الله تعالى، ولصالح مجموع الأمة.

ولقد كان منهجه واضحاً كل الوضوح لا لبس فيه ولا غموض ولا يخضع لعاطفة أو مساومة أبداً «... **والله لئن أبيت على حسك السعدان مسهداً أو أجر في الأغلال مصفداً أحب إلي من أن القى الله ورسوله يوم القيامة ظالماً**

---

(٣٤) بحار الأنوار ج ٤٠ باب ٩٨ ومناقب آل أبي طالب ج ١ في المسابقة بالزهد.

(٣٥) نفس المصدر والصفحة.

حجلة: ستر يضرب للعروس في الليل.

(٣٦) البحار نفس الصفحة.

(٣٧) نفس المصدر ج ٤٠ باب ٩٨ ومناقب آل أبي طالب ج ١ في المسابقة بالزهد

أكاف = كساء يوضع على ظهر الدابة القفة = اناء من خوص النخل

لبعض العباد، وغاصباً لشيء من الحطام. وكيف أظلم أحداً لنفسٍ يسرع الى البلى تفولها، ويطول في الثرى حلولها. . .»[٣٨].

وهذا السبيل الذي اختاره الإمام (ع) إنما يمثل أحد مصاديق العدل الاجتماعي الشامل الذي حرص أمير المؤمنين (ع) على تجسيده واقعاً حياً في دنيا الناس.

---

(٣٨) نهج البلاغة رقم النص ٢٢٤

سياسة رد الفعل

وبسبب ما ألفه رجالات قريش من اثرة وامتيازات لا حصر لها فقد كبر عليهم أن ينهج الإمام (ع) نهج التسوية في الحقوق ـ كما أمر الله سبحانه ـ وغيره من مبادىء العدالة الاجتماعية التي تبناها بقوة وحرص حرصاً شديداً على تنفيذها في دنيا الناس.

فقد أنكر الزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله على الإمام (ع) سياسته تلك واعتبراها مخالفة للنهج الذي ألفه الناس.

فقال لهماالإمام (ع): **ما الذي كرهتما من أمري حتى رأيتما خلافي؟**

قالا: إنك جعلت حقنا في القَسْم كحق غيرنا، وسويت بيننا وبين من لا يماثلنا فيما أفاء الله علينا بأسيافنا ورماحنا وأوجفنا عليه بخيلنا ورجلنا وظهرت عليه دعوتنا، وأخذناه قسراً قهراً ممن لا يرى الإسلام إلّا كرهاً[٣٩].

فقال الإمام (ع) لهما: «**لقد نقمتما يسيراً وأرجأتما كثيراً ألا تخبراني أي شيء كان لكما فيه حق دفعتكما عنه؟ أم أي قسم استأثرت عليكما به؟ أم أي حق رفعه إليّ أحد من المسلمين ضعفت عنه أم جهلته، أم أخطأت بابه؟**

والله ما كانت لي في الخلافة رغبة، ولا في الولاية اربة، ولكنكم دعوتموني اليها، وحملتموني عليها، فلما أفضت إليَّ نظرت الى كتاب الله، وما وضع لنا، وأمرنا بالحكم به، فاتبعته، وما استنَّ النبي صلّى الله عليه وآله وسلم، فاقتديته، فلم أحتج في ذلك الى رأيكما، ولا رأي غيركما ولا

---

(٣٩) علي بن أبي طالب ـ نظرة عصرية جديدة/ تأليف د. محمد أحمد خلف الله وعدد من الكتاب ص ٣٢.

وقع حكم جهلته فاستشيركما واخواني من المسلمين، ولو كان ذلك لم أرغب عنكما، ولا عن غيركما.

وأما ما ذكرتما من أمر الأسوة - التسوية في العطاء - فإن ذلك أمر لم أحكم أنا فيه برأيي، ولا وليته هوىً مني، بل وجدت أنا وأنتما ما جاء به رسول الله - صلّى الله عليه وآله وسلم - قد فرغ منه، فلم أحتج اليكما فيما قد فرغ الله من قسمه، وأمضى فيه حكمه، فليس لكما، والله، عندي ولا لغيركما في هذا عتبى، أخذ الله بقلوبنا وقلوبكم إلى الحق، وألهمنا وإياكم الصبر... رحم الله رجلاً رأى حقاً فأعان عليه، أو رأى جوراً فرده، وكان عوناً بالحق على صاحبه...»[٤٠].

وهكذا تختلف المنطلقات والمفاهيم، ينطلق علي (ع) مما يأمر به الله تعالى ورسوله (ص) بينما تنطلق «المعارضة» مما توحي به مصالحها.

وشتان بين منطلق يرمي الى تحقيق متطلبات الرسالة ومصلحة مجموع الأمة، ومنطلق مادي لا يرى غير المصلحة الذاتية المحدوده!

موقف معاوية:

وما أن تناقلت الأنباء أمر استخلاف الإمام علي (ع) ونهوضه بأعباء قيادة الأمة إلّا وفزع معاوية بن أبي سفيان معلناً معارضته ورفضه.

وفي الأثناء ورد عليه كتاب من ابن العاص يطلعه على حقيقة الموقف في عاصمة رسول الله (ص):

«من عمرو بن العاص الى معاوية بن أبي سفيان: أما بعد، ما كنت صانعاً فاصنع، إذ قشرك ابن أبي طالب من كل ما تملكه كما تقشر عن العصا لحاها...»[٤١].

وها هو الإمام (ع) يكتب لمعاوية كتاباً يستقدمه فيه، بيد أنه لم يستجب

---

(٤٠) نهج البلاغة رقم النص ٢٠٥ تبويب د. صبحي الصالح ط ١ بيروت ١٩٦٧.
(٤١) الإمام علي وفضائله ص ١٧٥، دار مكتبة الحياة/ بيروت.

للإمام (ع) بل ولم يرد على كتابه[٤٢].

وبعد مضي ثلاثة شهور على مقتل عثمان، وقيام الإمام علي (ع) بالأمر يشهر معاوية سلاح المطالبة بدم عثمان، متخذاً منه ذريعة للخروج على إمام زمانه.

وقد بدأت معارضته بنشر ثوب عثمان الدامي في مسجد دمشق وشعيرات من لحيته، وقد جمد عليها الدم، وراح يستثير أهل الشام للنهوض من أجل عثمان والانتقام ممن قتله، ومن ثم أرسل رسولاً إلى الإمام (ع) حتى إذا وصل الرسول إلى المدينة المنورة جعل يسير في دروبها، وهو يحمل صحيفة مختومة مكتوباً عليها من «معاوية الى علي» وهو عنوان يثير الدهشة لدى الناس فهو خال من كل لياقة وكياسة، كما يشير الى أن مرسله لا يحمل الى زعيم المسلمين أي شعور بالاحترام والتقدير.

وفض الإمام (ع) صحيفة معاوية، فوجدها بيضاء لا حرف فيها فسأل رسول معاوية: **ما وراءك؟**

قال بعد أن استأمن الإمام (ع): إني تركت ورائي أقواماً يقولون لا نرضى إلاّ بالقود.

قال الإمام (ع): ممن؟

قال: يقولون من خيط رقبة علي، وتركت ستين ألف شيخ يبكون تحت قميص عثمان، وهو منصوب لهم قد البسوه منبر مسجد دمشق، وأصابع زوجته نائلة معلقة فيه.

فقال الإمام: **أمنيّ يطلبون دم عثمان، اللهم إني أبرأ اليك من دم عثمان...**[٤٣].

ثم أمر الإمام (ع) رسول الشام أن يغادر بعد أن منحه الأمان.

---

(٤٢) الفصول المهمة/لابن الصباغ المالكي ص ٥٠ ويراجع نص كتاب الإمام (ع) في نهج البلاغة رقم ٧٥ تبويب د. صبحي الصالح «باب الكتب» ص ٤٦٤.

(٤٣) الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص ٥١.

ومنذ ذلك التاريخ بادر الإمام (ع) بتجهيز جيشه لاخماد حركة البغاة التي قادها معاوية في الشام.

خلفيات المطالبة بدم عثمان:

ولنا أن نتساءل قبل أن نمضي في حديثنا قدماً، هل كانت الأطراف في كل من الشام والبصرة صادقة في ادعاء المطالبة بدم الخليفة الثالث؟

وللإجابة على هذا السؤال الذي يفرض نفسه على الكاتب والقارىء معاً في هذه المسألة: لا بد من الرجوع الى مواقف تلك الأطراف جميعاً أيام الثورة التي تمخض عنها مقتل عثمان.

فقد كان معاوية يعلم بتفاصيل ما يجري للخليفة في المدينة، وقد استغاث به الخليفة أيام الحصار فلم يغثه بشيء حتى أرسل معاوية جيشاً إلى المدينة بقيادة يزيد بن أسد القسري وقال له: «إذا أتيت ذا خُشُب ـ منطقة خارج المدينة ـ فأقم بها ولا تتجاوزها، ولا تقل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب فانني أنا الشاهد وأنت الغائب»[٤٤].

فأقام القسري بجيشه في المكان الذي حدده معاوية، فلما قتل عثمان استدعى معاوية الجيش وقائده الى الشام.

هذه بعض مواقف معاوية؛ من عثمان بن عفان أيام حكمه ومحنته ومن هنا فان شعار المطالبة بدم الخليفة القتيل من قبله كان مجرد وسيلة لاستدرار العطف وتجميع الأنصار. فدوافعه الحقيقية إنما تكمن في نقمته على سياسة علي (ع) الإصلاحية والتي كانت تمسّ مصالح المترفين على حساب المجتمع بشكل أو بآخر.

وقد أفصح الإمام (ع) عن موقفه ازاء مقتل الخليفة عثمان بقوله: «**اللهم إني ابرأ اليك من دم عثمان، ما نجا والله قتلة عثمان إلا أن يشاء الله، فإنه إذا**

---

(٤٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٦ ص ١٥٤ «شرح كتاب الإمام (ع)» الى معاوية رقم ٣٧.

أراد أمراً بلغه»[45].

ويتضح موقف الإمام (ع) كذلك من كتاب له الى معاوية حيث جاء فيه: **«وقد أكثرت في قتلة عثمان، فادخل فيما دخل فيه الناس ثم حاكم القوم إليّ أحملك وإياهم على كتاب الله، فأما تلك التي تريدها فخدعة...»**[46].

موقف الإمام علي (ع) أيام الأزمة:

ومن الضروري جداً أن نشير ولو بشكل مقتضب الى موقف الإمام (ع) أيام الأزمة التي تعرضت لها الخلافة في عهد عثمان:

فحين هاج الناس في عهد عثمان حاول الإمام (ع) أن يقنع الخليفة بضرورة الاصلاح، وجرت بينهما احاديث بهذا الشأن، ومما نصح به الإمام (ع) الخليفة قوله:

«... وإني أنشدك الله ألا تكون إمام هذه الأمة المقتول فإنه كان يقال: يقتل في هذه الأمة إمام يفتح عليها القتل والقتال الى يوم القيامة، ويلبس أمورها عليها، ويبث الفتن فيها، فلا يبصرون الحق من الباطل، يموجون فيها موجاً ويمرجون فيها مرجاً، فلا تكونَنَّ لمروان سيِّقة يسوقك حيث يشاء بعد جلال السن وتقضي العمر...»[47].

فقال له عثمان: «كلّم الناس في أن يؤجلوني حتى أخرج اليهم من مظالمهم»[48].

فقال الإمام (ع): **«ما كان بالمدينة، فلا أجل فيه، وما غاب فأجله وصول أمرك إليه»**[49].

قال الخليفة: نعم ولكن أجلني فيما بالمدينة ثلاثة أيام.

---

(٤٥) الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص ٥١.
(٤٦) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٧٥ تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم.
(٤٧) نهج البلاغة /تبويب د. صبحي الصالح ص ٢٣٥ رقم ١٦٤.
(٤٨) المرجع السابق نفس الصفحة.
(٤٩) المصدر السابق أيضاً.

فخرج الإمام الى الناس، وأخبرهم بما وعد به الخليفة، وكتب بينهم وبين عثمان كتاباً وأشهد عليه قوماً من وجوه المهاجرين والأنصار[٥٠].

وحيث لم يتيسر لعثمان أن يبر بوعده للناس تأزم الموقف مجدداً...

وقد زاد في حراجة الموقف عثور المصريين الثوار على بريد من عثمان الى عامله بمصر يأمره بمعاقبة قادة الثائرين بالقتل[٥١] ومعاقبة كل متظلم بالسجن ونحو ذلك...

فحوصر الخليفة من قبل المهاجمين والطامعين في الخلافة معاً حتى قطع عنه الماء ـ كما قدمنا ـ فاستنجد بالإمام علي (ع) فأسرع لإنقاذه وأرغم طلحة وسواه، وأدخل إليه الماء[٥٢].

وبعد أن طال حصار الخليفة ـ أربعين يوماً ـ طلب بعض الناس من علي (ع) أن يصلي بهم، فأبى.

فتولى طلحة إمامة الصلاة...!

هذه بعض مواقف الإمام (ع) من أجل عثمان... وبالرغم من تلك المواقف النبيلة التي وقفها الإمام (ع) من أجل الخليفة فإنه لا يعني بحال أن الإمام كان راضياً عن سياسة الخليفة في المال والإدارة[٥٣].

بيد أنَ الإمام (ع) كان يرى في قتل عثمان خطراً يتهدد الأمة بالنظر لما يعقبه من تمزق في الصف الإسلامي، وتجرؤ من قبل المتربصين بالإسلام والمسلمين.

الأمر الذي وقع فعلاً بعد مقتل الخليفة المذكور مباشرة.

---

(٥٠) الطبري وابن الأثير وغيرهما «نقلاً عن أحاديث أم المؤمنين عائشة للسيد العسكري ص ٩٨».

(٥١) الطبري وأنساب الأشراف والمعارف لابن قتيبة وسواهم «نقلاً عن المصدر السابق ص ٩٩».

(٥٢) تاريخ الطبري وأنساب الأشراف للبلاذري «نقلاً عن المصدر السابق ص ١١٣».

(٥٣) شرح نهج البلاغة ج ٩ ص ٥ ـ ٦.

حرب البصرة

على الرغم من أن طلحة والزبير كانا من أشد الناقمين على سياسة عثمان ومع أنهما سبقا الناس في البيعة للإمام علي (ع) بعد قتل عثمان، فإن الحركة الإصلاحية التي قادها الإمام (ع) في الحياة الإسلامية لم تجد هوى في نفسيهما فبدآ في العمل للخروج على الإمام (ع) واثارة المسلمين عليه، فكانت حصيلة ذلك فتنة كبدت الأمة خسارة فادحة، حيث اقنعا عائشة بنت أبي بكر بالخروج معهما الى البصرة لقيادة عملية المعارضة ضد علي (ع).

وقد بذل الإمام (ع) جهداً كبيراً لتحاشي هذه الفتنة فلم يأل جهداً في بذل النصح لهم وتحميلهم مغبة ما سيكون إذا نشبت الحرب، وهذه نصيحته (ع) لهما:

(أما بعد يا طلحة، ويا زبير، فقد علمتما إني لم أرد الناس حتى أرادوني، ولم أبايعهم حتى أكرهوني، وأنتما أول من بادر الى بيعتي، ولم تدخلا في هذا الأمر، بسلطان غالب، ولا لعرض حاضر، وأنت يا زبير، ففارس قريش، وأنت يا طلحة فشيخ المهاجرين، ودفعكما هذا الأمر قبل أن تدخلا فيه كان أوسع لكما من خروجكما منه بعد اقراركما، ألا وهؤلاء بنو عثمان هم أولياؤه المطالبون بدمه، وانتما رجلان من المهاجرين، وقد أخرجتما أمكما من بيتها الذي أمرها الله تعالى أن تقر فيه، والله حسبكما...)[٥٤].

وفي البصرة استمر الإمام (ع) يبذل نصحه من أجل حقن الدماء، فأرسل للناكثين رسولاً يدعوهم للصلح ورأب الصدع...

---

(٥٤) الفصول المهمة ص ٥٥ لابن الصباغ المالكي.

كما التقى بالزبير وذكره بأمور جرت لهما في عهد رسول الله (ص) منها قوله: **ما حملك على ما صنعت يا زبير؟**

قال: حملني على ذلك الطلب بدم عثمان!

فقال الإمام (ع): **إن أنصفت نفسك، أنت وأصحابك قتلتموه، ولكني أنشدك الله يا زبير أما تذكر، قال لك رسول الله (ص): يا زبير أتحب علياً، فقلت، وما يمنعني من حبه وهو ابن خالي.**

فقال لك: أما أنك تخرج عليه وأنت له ظالم!

فقال الزبير: اللهم بلى، قد كان ذلك.

فقال الإمام: «**أنشدك الله أتذكر يوم جاء رسول الله (ص) من عند بني عوف، وأنت معه، وهو آخذ بيدك فاستقبلته، فسلمتَ عليه، فضحك في وجهي، وضحكت إليه. فقلت أنت: لا يدع ابن أبي طالب زهوه، فقال (ص) لك: مهلاً يا زبير ليس بعلي زهو، ولتخرجن عليه يوماً وأنت ظالم له؟**

قال الزبير: اللهم بلى، ولكني قد نسيت ذلك، وبعد أن ذكرتنيه لأنصرفنّ»[٥٥].

وقد عزم الزبير على اعتزال الناس، غير أن ابنه عبد الله وصفه بالجبن إن هو أقدم على ذلك...

وهكذا تفجّر الموقف واندلع القتال بين المعسكرين...

الموقف الإنساني:

غير أن الإمام ظل ملتزماً بالصبر والأناة وبما امتاز به من الروح الإنسانية الرفيعة، فها هو يخاطب جيشه ـ بعد اندلاع القتال، وبعد أن ذهبت كل محاولاته لاصلاح الموقف سدىً ـ ملزماً أصحابه بارفع الأخلاق التي يريد الله سبحانه من المسلم الالتزام بها في ساحة الحرب «**أيها الناس أنشدكم الله أن**

---

(٥٥) الفصول المهمة في معرفة الائمة /ابن الصباغ المالكي ص ٦٣ وتذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي ص ٧٧، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢ ص ١٦٧.

لا تقتلوا مدبراً، ولا تجهزوا على جريح، ولا تستحلوا سبياً، ولا تأخذوا سلاحاً، ولا متاعاً»[٥٦]. موضحاً بذلك أحكام شريعة الله تعالى في البغاة.

ثم دعا ربه الأعلى سبحانه مستجيراً من الفتنة التي فجرها الناكثون معلناً براءته منها أمام الله الكبير المتعال.

فبعد أن رفع يديه الى السماء قال: «**اللهم ان طلحة والزبير أعطياني صفقة أيديهما طائعين، ثم نصبا لي الحرب ظاهرين، اللهم: فأكفنيهما بما شئت وكيف شئت...**»[٥٧].

وحين أسفرت المعركة عن انتصار ساحق لمعسكر الإمام (ع) على خصومه أعلن الإمام العفو العام عن جميع المشتركين في حربه:

«**ألا لا يجهز على جريح، ولا يتبع مول، ولا يطعن في وجه مدبر، ومن القى السلاح فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن، ولا يستحلن فرج ولا مال، وانظروا ما حضر به الحرب من آنية فاقبضوه، وما كان سوى ذلك، فهو لورثته، ولا يطلبن عبد خارج من المعسكر، وما كان من دابة أو سلاح فهو لكم، وليس لكم أم ولد - الأمة استولدت ذكراً أو انثى - والمواريث على فريضة الله، وأي امرأة قتل زوجها، فلتعتد أربعة أشهر وعشراً**».

فقال بعض أصحابه: يا أمير المؤمنين تحل لنا دماؤهم ولا تحل لنا نساؤهم؟

فقال (ع): **كذلك السيرة في أهل القبلة**[٥٨].

بيد أن بعضاً من جيشه كانوا يرغبون في الحصول على مغانم أكبر مما حدده الإمام (ع).

فقام له رجل قائلاً: يا أمير المؤمنين، والله ما قسمت بالسوية ولا عدلت في الرعية!

---

(٥٦) الفصول المهمة/ للمالكي ص ٦٢ وتذكرة سبط ابن الجوزي.
(٥٧) الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص ٦٢، وتذكرة سبط ابن الجوزي.
(٥٨) أحاديث أم المؤمنين عائشة ق ١ ص ١٨١ نقلاً عن اليعقوبي وكنز العمال.

قال الإمام (ع): **ولم؟ ويحك!!**

قال: لأنك قسمت ما في المعسكر وتركت الأموال والنساء والذرية!!

فقال له الإمام (ع) موضحاً فلسفة ذلك الموقف الكريم الذي التزمه:

يا أخا بكر: إنك امرؤ ضعيف الرأي أو ما علمت أنا لا نأخذ الصغير بذنب الكبير، وأن الأموال كانت لهم قبل الفرقة وتزوجوا على رشد، وولدوا على الفطرة، وانما لكم ما حوى عسكرهم، وما كان في دورهم، فهو ميراث لذريتهم، فإن عدا علينا أحد منهم أخذناه بذنبه، وان كفّ لم نحمل عليه ذنب غيره.

يا أخا بكر: لقد حكمت فيهم بحكم رسول الله (ص) في أهل مكة: قسّم ما حوى العسكر، ولم يعرض لما سوى ذلك وانما اتبعت أثره...

يا أخا بكر: أما علمت أن دار الحرب يحلّ ما فيها؟

وأن دار الهجرة يحرم ما فيها إلا بحق...»[59].

هذه بعض مصاديق الموقف الإنساني الفريد الموافق لأمر الله والمطابق لشريعته الغراء الذي التزم به الإمام (ع) في معاملة المنهزمين من خصومه... إنه موقف لا ترى فيه للعاطفة والاندفاع والتشفي أثراً... إنه موقف جسد فيه الإمام حكم الله تعالى.

وهل غير علي (ع) جدير بتجسيد حكم شريعة الله فيما شجر بين الناس بعد رسول الله (ص)؟!

وواصل الإمام (ع) خطواته الانسانية إزاء الناكثين بعد ذلك حيث أعاد عائشة الى المدينة المنورة معززة مكرمة رغم موقفها المشين.

وهكذا حسم الموقف لصالح الإمام (ع) في فتنة البصرة فأبدى الإمام (ع) خلاله وبعده أنبل المشاعر وأصدقها نحو المغرر بهم محاولاً بذلك رأب الصدع وجمع الشمل واعزاز الأمة...

---

(٥٩) نفس المصدر ص ١٨٢ نقلا عن كنز العمال ومنتخب الكنز.

حرب صفين

بعد أن تم لعلي (ع) النصر عاد بجيشه الى الكوفة، وبعد أن عزز الجيش عزم على التوجه إلى الشام لتصفية المعارضة الباغية التي يقودها معاوية بن أبي سفيان هناك...

وسار الإمام (ع) على رأس جيشه، غير أن أنباء مسير الإمام (ع) نحو الشام قد بلغت القاسطين هناك، فقرروا ملاقاة الزحف الإسلامي فتلاقى الجيشان عند نهر الفرات...

وبدأ الإمام (ع) ببذل مساعيه لاصلاح الموقف بالوسائل السلمية، فأرسل وفداً ثلاثياً الى معاوية، يدعوه الى تقوى الله والحفاظ على وحدة الصف والدخول في اجماع الأمة «... **اذهبوا الى هذا الرجل ـ معاوية ـ وادعوه الى الله تعالى، والى الطاعة والجماعة، لعلّ الله تعالى أن يهديه، ويلتئم شمل هذه الأمة**»[٦٠].

والتقى الوفد بقائد البغاة، وأبلغوه بنوايا الإمام (ع) ووضعوه أمام الله تعالى وحذروه مغبة ما يقدم عليه، غير أن معاوية أبدى اصراراً، وقد ختم رده على الوفد «انصرفوا عني فليس عندي إلاّ السيف»[٦١].

على أن الموقف الأموي ذاك لم يصرف الإمام (ع) عن التسلح بالصبر والاناة ولم يثر فيه روح التعجيل بالمواجهة الصارمة حقناً للدماء، وحفاظاً على نفوس الأمة...

بيد أن الموقف الإنساني الذي التزمه الإمام (ع) لم يزد القوى الباغية إلاّ

(٦٠ و ٦١) الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص ٧٠ وص ٧١.

إصراراً، فعملوا من جانبهم على الحيلولة دون حصول جيش الإمام (ع) على الماء، حيث سبق أن تحرك فيلق لهم واتخذ مواقعه عند ماء الفرات ليمنع جند الإمام من الماء...

وبالنظر لأهمية الماء في الاستراتيجية العسكرية ولعدم توفر مصدر آخر لجيش الإمام غير الفرات؛ فإن الإمام (ع) قد التزم الأناة أيضاً في معالجة الموقف.

فأرسل رسولاً الى معاوية ليبلغه: «**ان الذي جئنا له غير الماء، ولو سبقناك إليه لم نمنعك عنه**».

فرد عليهم معاوية بقوله: «لا والله ولا قطرة حتى تموت ظمأ»[٦٢]!!.

الأمر الذي اضطر الإمام (ع) الى استعمال العنف في الحصول على الماء لجيشه. حيث لا بديل للعنف...

وهكذا حرك الإمام (ع) فرقة من جيشه لانهاء الحصار المضروب عليهم، فانهزم فيلق معاوية شر هزيمة...

وبعد أن صار الماء في نطاق نفوذ جيش الإمام (ع) أذن للباغين بالتزود منه متى شاءوا، مجسداً بذلك نبذاً من أخلاق الإسلام العظيمة في هذا المضمار.

فأعظم بعلي من محارب نبيل، وأكرم به من صاحب قلب كبير...

وحيث ان همّ الإمام (ع) أن يحقن دماء المسلمين ويصونهم من التمزق، ويدرأ التصدع عن صفهم؛ فقد طلب من معاوية أن ينازله إلى ميدان القتال فيتقاتلان دون الناس لكي تكون إمامة الأمة لمن يغلب: «يا معاوية علام يقتتل الناس؟ برز إليّ ودع الناس، فيكون الأمر لمن غلب»[٦٣].

إلا أن معاوية قد رفض خوفاً من بطش الإمام (ع)... وبالرغم من أن

---

(٦٢) شرح نهج البلاغة ج ١ ص ٢٣ لابن أبي الحديد، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ط ١٩٥٩ م دار احياء الكتب العربية.

(٦٣) الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي، وتذكرة خواص الامة لسبط بن الجوزي. بتلخيص وتقارب

الجيش الأموي قد بدأ القتال من جانبه، فإن الإمام (ع) قد التزم بضبط النفس كذلك وحاول أن يحصر القتال في حدود المبارزة المحدودة[٦٤].

ولما لم تلق محاولات الإمام (ع) لرأب الصدع ـ الذي خلفه معاوية في صف الأمة ـ استجابة، تفجر الموقف بحرب واسعة النطاق استمرت اسبوعين دون هوادة.

وقد لاحت تباشير النصر لصالح معسكر الإمام (ع) وأوشكت القوى الباغية على الانهزام، فدبروا «خدعة المصاحف» فرفعوا المصاحف على رؤوس الرماح والسيوف... مما نجم عن تلك الخطة الماكرة تغير جوهري في الموقف العام...

ولقد كان لرفع المصاحف من قبل معسكر معاوية صدىً عميق في معسكر الإمام (ع) إذ سرعان ما سارت كثرة كاثرة من جيشه مطالبة بإيقاف القتال... فكثر اللغط بين الصفوف وآثر الآلاف ترك الحرب...

ومع أن الإمام تصدى لكشف خلفيات رفع المصاحف واستعمل كل وسائله الاقناعية في البرهنة على كونها خدعة يراد بها عرقلة تحقيق النصر الذي بات وشيكاً لصالح جيش الإمام (ع). إلا أن المطالبين بإيقاف القتال لم يستجيبوا لنداءاته المتكررة في هذا المضمار، ولعل بعضهم استعمل لغة التهديد للإمام (ع)...[٦٥].

واضطروه أن يبعث الأشعث بن قيس الى معاوية للتعرف على ما يريد من وراء رفعه للمصاحف، فعاد يحمل رغبة معاوية في التحكيم... ثم تلى ذلك الفصل الثاني من المأساة، فاختارت الغوغاء أبا موسى الأشعري لتمثيل معسكر الإمام (ع) بينما اختار معاوية ابن العاص. على أن الإمام (ع) قد رفض فكرة تمثيل الأشعري لمعسكره باعتبار أن الأشعري كان معتزلاً للإمام (ع) ولم يكن يرى في الإمام أهلاً لتولي الخلافة بعد عثمان[٦٦] ـ وهو

---

(٦٤) المصدر السابق نفسه

(٦٥) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي ص ١٠٣.

(٦٦) راجع الفصول المهمة ص ٧٨ وتذكرة الخواص ص ١٠٣.

وآخرون ممن اعتزلوا الإمام (ع) - وكان يخذل الناس عن نصرة الإمام، مما حمل الإمام على عزله من ولاية الكوفة[٦٧]...

وقد رجح الإمام (ع) أن يكون الممثل لمعسكره في التحكيم عبد الله ابن عباس، غير أن الغوغاء أصروا على اختيار أبي موسى الأشعري بالرغم من تأكيد الإمام على ضعفه ووهن رأيه اضافة إلى مرتكزاته الفكرية وموقفه من حكومة الإمام (ع).

وها هو الإمام (ع) يخاطب المخدوعين بقوله: «**قد عصيتموني في أول الأمر** - يشير الى قبول التحكيم وإيقاف القتال - **فلا تعصوني الآن، لا أرى أن تولوا أبا موسى الحكومة فانه ضعيف عن عمرو ومكائده**»[٦٨].

إلا أنهم أصروا على اختيار الأشعري...

ومن هنا فإن الباحث البصير لا يمكن أن يركن الى الاعتقاد بأن تلك الأمور قد جرت بشكل عفوي أبداً... فإن سير الأحداث لا يدل على ذلك... اذ أن رفع المصاحف كان قد جرى بتوقيت وتنسيق بين معاوية وحركة موالية له في جيش الإمام (ع) لا بد أن يكون له اتصال معها...

فما أن ارتفعت المصاحف حتى استجاب أولئك لايقاف القتال مستفيدين من سأم الناس من القتال، فوسعوا قاعدتهم في صفوف معسكر الإمام (ع) وفرضوا عليه التحكيم، وممثل معسكره في التحكيم فيما بعد...

وهكذا فاني لا أعتقد بحال أن لا تكون حركة التمرد في جيش الإمام (ع) بذلك الشكل الذي ذكره المؤرخون لا تعتمد على تخطيط أموي مسبق أبداً...

وقد جاءت نتائج التحكيم - كما توقع الإمام (ع) - لصالح البغاة في الشام حيث بدأ الأمر يستتب لمعاوية شيئاً فشيئاً.

---

(٦٧) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي ص ٧٤

(٦٨) نفس المصدر ص ٧٩

حرب النهروان

بعد واقعة التحكيم عاد الإمام (ع) بجيشه الى الكوفة... ففوجيء بخروج طائفة من جيشه يبلغ تعدادها أربعة آلاف، معلنة تمردها على الإمام (ع) فلم تدخل معه الكوفة... وإنما سلكت سبيلها الى حروراء، فاتخذت مواقعها هناك...

ومن الجدير بالذكر أن الفئة التي خرجت على الإمام (ع) كان قوامها من الفئات التي أرغمته على التحكيم في حرب صفين[٦٩].

فعند تمرد تلك الفئة وخروجها من جيش الإمام (ع) أعلنت مبررات خروجها تحت شعار «لا حكم إلا لله، لا نرضى بأن تحكم الرجال في دين الله، قد أمضى الله حكمه في معاوية وأصحابه أن يقتلوا أو يدخلوا معنا في حكمنا عليهم، وقد كانت منا خطيئة وزلة حين رضينا بالحكمين، وقد تبنا الى ربنا، ورجعنا عن ذلك، فارجع ـ يقصدون الإمام (ع) ـ كما رجعنا، وإلاّ فنحن منك براء»[٧٠].

بيد أن الإمام (ع) أوضح لهم حينئذٍ أن الخلق الإسلامي يقتضي الوفاء بالعهد ـ الهدنة لمدة عام ـ الذي أبرم بين المعسكرين قائلاً: «**ويحكم، بعد الرضا والعهد والميثاق أرجع؟**».

أو ليس الله يقول ﴿وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم، ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها، وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً، إن الله يعلم ما تفعلون﴾[٧١].

---

(٦٩) يوليوس فلهوزن /الخوارج والشيعة ترجمة عبد الرحمن بدوي ط ٢، ١٩٧٦ الكويت ص ٣٢.

(٧٠) وقعة صفين/ نصر بن مزاحم ط ٢، ١٣٨٢ هـ ص ٥١٧.

(٧١) النحل/ ٩١ راجع وقعة صفين: نصر بن مزاحم ص ٥١٧.

إلا أن المعارضة المارقة لم تصغ إلى توجيهات الإمام (ع) واستمروا في غيهم، وتعاظم خطرهم بعد انضمام أعداد جديدة لمعسكرهم، وراحوا يعلنون القول بشرك المنتمين الى معسكر الإمام (ع) - بالإضافة للإمام - ورأوا استباحة دمائهم...

ولقد كان الإمام (ع) عازماً على عدم التعرض لهم ابتداءً ليمنحهم فرصة التكفير جدياً بما أقدموا عليه، عسى أن يعودوا إلى الرأي السديد، ولكي يتفرغ كلياً لاستئناف القتال مع البغاة في الشام، بعد فشل التحكيم بعد اللقاء الثاني بين الحكمين، حيث تمت خديعة عمرو بن العاص لأبي موسى الأشعري التي أدت الى عدم تحقيق التحكيم...

غير أنهم بدأوا يشكلون خطراً حقيقياً على دولة الإمام (ع) من الداخل... وبدأ خطرهم يتعاظم فقتلوا بعض الأبرياء، وهددوا الآمنين؛ فقتلوا الصحابي الجليل عبد الله بن خباب وبقروا بطن زوجه وهي حامل مقرب دون مبرر... وقتلوا نسوة من طي.

فلما بلغ أمرهم أمير المؤمنين (ع) أرسل اليهم الحارث بن مرة العبدي، ليتعرف على حقيقة الموقف، غير أنهم قتلوه كذلك[٧٢].

فلما علم الإمام (ع) بالأمر كرَّ راجعاً من الأنبار - حيث كان قد اتخذها مركزاً لتجميع قواته المتجهة نحو الشام - وعندما اقتربت قواته من المارقين بذل مساعيه من أجل اصلاح الموقف دون اراقة للدماء، فبعث اليهم أن يرسلوا اليه قتلة المؤمنين: عبد الله بن خباب والحارث العبدي وغيرهما وهو يكف عنهم، ولكنهم أجابوه: انهم كلهم قتلوه...

وبعث الإمام (ع) اليهم الصحابي الجليل قيس بن سعد فوعظهم، وحذرهم مغبة موقفهم الأحمق... وأهاب بهم للرجوع عما يرون من جواز سفك دماء المسلمين وتكفيرهم دون وجه حق...[٧٣].

---

(٧٢) الفصول المهمة /للمالكي ص ٩١

(٧٣) المصدر المتقدم ص ٩٢

وتابع الإمام (ع) موقفه الإنساني الرشيد، فارسل اليهم ابا ايوب الأنصاري (رض) وبعد أن وعظهم، رفع راية ونادى: من جاء هذه الراية ـ ممن لم يقتل ـ فهو آمن، ومن انصرف الى الكوفة أو المدائن فهو آمن لا حاجة لنا به بعد أن نصيب قتلة اخواننا[٧٤].

وقد نجحت المحاولة الى حد كبير حيث تفرقوا شيئاً بعد شيء حتى انخفض عددهم الى أربعة آلاف اذ كان آخر عدد لهم اثني عشر الفاً.

وقد بدأ الباقون منهم بالهجوم من جانبهم على جيش الإمام (ع) فامر أصحابه بالكف عنهم حتى يبدأوا بالقتال. فلما بدأ الخوارج القتال، طوقتهم قوات الإمام (ع) وتحقق الظفر لراية الحق.

وهكذا قضى الإمام (ع) في حرب النهروان على حركة الذين سبق لرسول الله (ص) أن سماهم بالمارقين حين أشار اليهم في حديث رواه أبو سعيد الخدري قال: «**سمعت رسول الله (ص) يقول يخرج في هذه الأمة قوم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية**»[٧٥].

---

(٧٤) أعيان الشيعة ج ٣، ص ٢٠ (عن الطبري) والفصول المهمة ص ٩٣.

(٧٥) أخرجه البخاري في صحيحه والفصول المهمة ص ٩٤ والبلاذري في أنساب الأشراف ج ٢، ص ٣٧٦ بلفظ آخر، وخصائص النسائي ص ٧١.

في ذمة الله

انهى الإمام (ع) مقاومة المارقين، فشمر عن ساعديه لاستئناف قتال القاسطين في الشام بعد أن فشل التحكيم عند اللقاء الثاني بين الحكمين.

وقد أمر الإمام (ع) بتعبئة جيشه، وأعلن حالة الحرب لتصفية قوى القاسطين البغاة التي يقودها معاوية، وجاء اعلان الحرب من خلال خطبة لأمير المؤمنين (ع) خطبها في الكوفة ـ عاصمة الدولة الإسلامية ـ فضمنها دعوته للجهاد.

«... **الجهاد، الجهاد عباد الله! ألا وإني معسكر في يومي هذا... فمن أراد الرواح الى الله، فليخرج!**»[٧٦].

ثم بادر الإمام (ع) الى عقد الوية الحرب، فعقد للحسين راية ولأبي أيوب الأنصاري أخرى، ولقيس بن سعد ثالثة.

وبينما كان أمير المؤمنين يواصل تعبئة قواته من أجل أن ينهي حركة البغي التي يقودها معاوية في بلاد الشام كان يجري في الخفاء تخطيط لئيم من أجل اغتيال الإمام (ع).

فقد كان جماعة من الخصوم قد عقدوا اجتماعاً في مكة المكرمة، وتداولوا في أمر حركتهم، التي انتهت إلى أوخم العواقب.

فخرجوا بقرارات كان أخطرها قرار اغتيال أمير المؤمنين (ع) وقد أوكل أمر تنفيذه للمجرم الأثيم (عبد الرحمن بن ملجم المرادي)، وفي ساعة من أحرج الساعات التي يمر بها الإسلام والمسيرة الإسلامية، وبينما كانت الأمة

---

(٧٦) نهج البلاغة رقم الخطبة ١٨٢

تتطلع الى النصر على عناصر البغي والفرقة التي يقودها معاوية بن أبي سفيان، امتدت يد الأثيم المرادي الى علي (ع) فضرب الإمام (ع) بسيفه وهو في سجوده عند صلاة الفجر، وفي مسجد الكوفة الشريف، وذلك في صبيحة اليوم التاسع عشر من شهر رمضان المبارك عام ٤٠ هجرية.

لقد اغتيل الإمام (ع) وهو في أفضل ساعة حيث يقوم بين يدي الله في صلاة خاشعة.

وفي أشرف الأيام إذ كان يؤدي صوم شهر رمضان.

ثم هو (ع) في أعظم تكليف اسلامي حيث كان في طريقه لخوض غمار حرب جهادية، كما كان في بقعة من أشرف بقاع الله وأطهرها «مسجد الكوفة».

فطوبى لعلي وحسن مآب.

لكن جريمة قتل علي (ع) تبقى أشرس جريمة وأكثرها فظاعة ووحشية، لأنها جريمة لم تستهدف رجلاً كباقي الرجال، إنما استهدفت القيادة الإسلامية الراشدة بعد رسول الله (ص).

واستهدفت كذلك اغتيال رسالة، وتاريخ، وحضارة، وأمة كلها تتمثل في شخص علي أمير المؤمنين (ع).

وبهذا خسرت الأمة الإسلامية مسيرة وحضارة، وأروع فرصة وأطهرها في حياتها بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله.

ولقد بقي الإمام (ع) يعاني من علته ثلاثة أيام، عهد خلالها بالإمامة الى ولده الحسن السبط (ع) ليمارس بعده مسؤولياته في قيادة الأمة الفكرية والاجتماعية.

وكان (ع) طوال الأيام الثلاثة ـ كما كان طول حياته ـ لهجاً بذكر الله، والثناء عليه والرضا بقضائه، والتسليم لأمره، كما كان يصدر الوصية تلو الوصية، والتوجيه الحكيم إثر التوجيه، مرشداً للخير، دالاً على المعروف، محدداً سبل الهدى، مبيناً طريق النجاة، داعياً لاقامة حدود الله تعالى وحفظها، محذراً من الهوى والنكوص عن حمل الرسالة الإلهية.

وهذه واحدة من وصاياه بهذا الشأن ـ مخاطباً بها الحسن والحسين سبطي رسول الله (ص) وأهل بيته وأجيال الأمة:

«أوصيكما بتقوى الله، وألاّ تبغيا الدنيا وإن بغتكما، ولا تأسفا على شيء منها زوي عنكما، وقولا بالحقّ، واعملا للأجر وكونا للظالم خصماً وللمظلوم عوناً.

أوصيكما، وجميع ولدي وأهلي ومن بلغه كتابي، بتقوى الله، ونظم أمركم، وصلاح ذات بينكم، فإني سمعت جدكما ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ يقول: «صلاحُ ذات البين أفضلُ من عامّة الصلاة والصيام».

الله الله في الأيتام، فلا تُغبُّوا أفواهَهُمْ، ولا يضيعوا بحضرتكم.

الله الله في جيرانكم، فإنهم وصية نبيكم. ما زال يوصي بهم، حتى ظننّا أنه سيورثهم.

الله الله في القرآن، لا يسبقكم بالعمل به غيركم.

الله الله في الصلاة، فإنها عمود دينكم.

الله الله في بيت ربكم، لا تخلوه ما بقيتم، فإنه إن ترك لم تناظروا.

الله الله في الجهاد بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم في سبيل الله.

وعليكم بالتواصل والتباذل، وإياكم والتدابر والتقاطع، لا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيولى عليكم شراركم، ثم تدعون فلا يستجابُ لكم.

ثم قال:

يا بني عبد المطلب، لا الفيّنكم تخوضون دماء المسلمين خوضاً، تقولون: «قتل أمير المؤمنين» ألا لا تَقْتُلُنَّ بي إلا قاتلي.

أنظروا إذا أنامتُ من ضربته هذه، فاضربوه ضربةً بضربة، ولا تمثلوا بالرجل، فإني سمعت رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلم ـ يقول: «إياكم والمثلةَ ولو بالكلب العقور»[٧٧].

---

(٧٧) نهج البلاغة /ترتيب د. صبحي الصالح، ص ٤٢١ رقم ٤٧.

وهكذا كانت النهاية المؤلمة لهذا الرجل العظيم...

فلقد كانت خسارة الرسالة والأمة بفقده من أفدح الخسائر التي أصيبت بها الأمة بعد رسول الله (ص).

فبموت علي (ع) فقدت الأمة:

بطولة غدت انشودة للزمان...

وشجاعة ما حلم التاريخ بمثلها...

وحكمة لا يعلم بعدها إلا الله...

وطهراً ما اكتسى به غير الأنبياء...

وزهداً في الدنيا ما بلغه إلّا المقربون..

وبلاغة كأنما هي رجع صدىً لكتاب الله.

وفقهاً وعلماً وتضلعاً بأحكام الرسالة رشحته لأن يكون باب مدينة علم الرسول (ص) ومرجعاً للأمة الإسلامية في جميع شؤونها.

فسلام على أمير المؤمنين علي يوم ولد ويوم قضى شهيداً في محرابه، ويوم يبعث حياً.

والحمد لله رب العالمين

الجزء الثالث

توطئة

كنا قد تناولنا في الجزء الأول من دراستنا لحياة أمير المؤمنين على بن أبي طالب (ع) دور رسول الله (ص) في اعداد شخصية الامام علي (ع) والاشراف المباشر على تشكيل عناصرها، منذ طفولته.. حتى صارت شخصية الامام (ع) صورة صادقة تعبر عن الرسول (ص) فكراً وعقيدة وسلوكاً فيما عدا الرسالة ومستلزماتها.

ولقد وصف الامام (ع) طبيعة خضوعه لذلك اللون من الاعداد الرسالي وصفاً دقيقاً بقوله: «وقد علمتم موضعي من رسول الله صلى الله عليه وآله بالقرابة القريبة، والمنزلة الخصيصة، وضعني في حجره، وأنا ولد، يضمني الى صدره، ويكنفني في فراشه، ويمسني جسده، ويشمني عرفه، وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه، وما وجد لي كذبة في قول ولا خطلة في فعل.

ولقد قرن الله به ـ صلى الله عليه وآله ـ من لدن ان كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته، يسلك به طريق المكارم، ومحاسن أخلاق العالم: ليله ونهاره.

ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل أثر أمه يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علما، ويأمرني بالاقتداء به، ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء، فأراه ولا يراه غيري، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الاسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله وخديجة، وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي، وأشم ريح النبوة.

ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه ـ صلى الله عليه وآله ـ.

فقلت: يا رسول الله ما هذه الرنة؟

فقال: هذا الشيطان قد أيس من عبادته، انك تسمع ما أسمع، وترى ما أرى، الا أنك لست بنبي، ولكنك لوزير وانك لعلى خير...»[1].

فهذا النص الكريم اضافة الى ما حفظه لنا التاريخ من سيرة الامام (ع) يجسد لنا بعمق وقوة المدى الذي كان الامام (ع) قد حظي به في مضمار الاعداد الرسالي المخطط الذي خصه رسول الله (ص) به... تهيئة له للنهوض بأعباء المرجعية الفكرية والسياسية في الامة بعد رحيل قائده الرسول (ص).

وقد بدأ ذلك الاعداد الرسالي من لدن رسول الله (ص) لعلي (ع) منذ نعومة أظفاره فهو ربيبه الذي فتح عينيه في حجره، وهيأ له من فرص التفاعل معه وسلوك نهجه في الحياة ما لم يتوفر لأحد سواه.

وبالاضافة الى ما كان قد خص به الامام (ع) من لدن الرسول (ص) أيام الطفولة والصبا من رعاية وتبنٍّ وتربية، الأمر الذي ألمحنا اليه في الحلقة الاولى من هذه الدراسة فان الاعداد الرسالي للامام (ع) منذ الدعوة المباركة، وحتى آخر ساعة من حياة رسول الله (ص) قد اتسع مدارا وازداد شمولاً وأصبح اكثر تركيزاً

والشواهد من حياة رسول الله (ص) متظافرة في هذا المضمار: فضلاً عن حرص الامام (ع) على الاقتداء به بأقصى درجات الاقتداء وأصدقها واكثرها أمانة، فان رسول الله (ص) كان يخصه بفكر الرسالة وحقائقها ومتطلباتها، ويمده بالمزيد من الثقافة الالهية الخاصة.

وكان (ص) يخلي بالامام (ع) الساعات الكثيرة اناء الليل والنهار ليعمق وعيه لمفاهيم الرسالة ومشاكل المهمة التغييرية التي بدأها رسول الله في الواقع الانساني، وأساليب العمل من أجل اكمال ما بدأه الرسول (ص):

روى النسائي عن عبد الله بن عمرو بن هند الجملي عن علي (ع) قال:

---

(١) نهج البلاغة - تعريب صبحي الصالح خطبة رقم ١٩٢ «القاصعة».

«كنت اذا سألت رسول الله (ص) أعطيت، واذا سكت ابتدأني»[2].

وعن ابن عباس عن علي (ع) قال: **«كان لي من النبي (ص) مدخلان: مدخل بالليل، ومدخل بالنهار...»**.

وعن ابي سعيد الخدري قال: «كانت لعلي من رسول الله (ص) دخلة لم تكن لأحد من الناس».

وعن عبد الله بن يحيى عن علي (ع) قال: **«كنت أدخل على نبي الله (ص) كل ليلة، فان كان يصلي سبح، فدخلت، وان لم يكن يصلي اذن لي فدخلت»**[3].

وعن ام سلمة قالت: «والذي تحلف به أم سلمة إن أقرب الناس عهداً برسول الله (ص) علي (ع)... لما كان غدوة قبض رسول الله (ص) فأرسل اليه رسول الله (ص) ـ قالت ـ: «واظنه بعثه في حاجة» فجعل يقول: جاء علي؟ ـ ثلاث مرات ـ فجاء قبل طلوع الفجر فلما أن جاء عرفنا أن له اليه حاجة، فخرجنا من البيت وكنا عند رسول الله يومئذ في بيت عائشة، وكنت في آخر من خرج من البيت، ثم جلست من وراء الباب، فكنت أدناهم الى الباب، فاكب عليه علي (ع)، فكان آخر الناس به عهداً، فجعل يساره ويناجيه»[4].

ولقد كانت حصيلة ذلك الاعداد الرسالي الخاص من رسول الله (ص) لعلي (ع) أن رشحت الرسالة الالهية الامام عليا (ع) لاحتلال موقع المرجعية الفكرية والسياسية للأمة الاسلامية بعد الرسول (ص).

وقد عبر الاسلام الحنيف عن ذلك الترشيح بشتى الوسائل التعبيرية المباشرة، مجسداً مؤهلات علي (ع) لامامة الأمة المسلمة تارة، ومعلناً تارة

---

(٢) خصائص الامام علي بن أبي طالب ـ للنسائي ط ١ بيروت ١٩٧٥، وأنساب الأشراف للبلاذري ج ٢ ص ٩٨.

(٣) نفس المصدر ص ٤٨

(٤) نفس المصدر ص ٦٥ وأخرجه ايضا أحمد بن حنبل في مسنده والكنجي والمحب الطبري وغيرهم نقلا عن مقام أمير المؤمنين ص ٧٧ ـ ٧٨ مط الأعلمي كربلاء

أخرى اسناد الامامة له رسمياً.

فضائل علي من حديث رسول الله (ص):

وهذه بعض مؤهلات الامام (ع) كما تؤكدها النصوص الصحيحة:

١ ـ قال رسول الله (ص): «**مثل علي فيكم كمثل الكعبة**. . .»[٥]. فحيث توحد الكعبة وجهة الأمة عند ساعات الوقوف بين يدي الله تعالى في الصلاة أو أداء شعائر الحج والعمرة كذلك يفعل التزام علي (ع) والأخذ عنه في دنيا المسلمين.

٢ ـ والامام (ع) هو الصراط المستقيم الذي تستلهم الأمة منه العلم الالهي ومعارف التشريع بعد رسول الله (ص) دون سواه من الناس:

قال رسول الله (ص): «**علي باب علمي ومبين لأمتي ما أرسلت به من بعدي، حبه ايمان، وبغضه نفاق**. . .»[٦].

وقال (ص): «**أنا مدينة العلم وعلي بابها**. . .»[٧].

٣ ـ وإن علياً كرسول الله (ص) في اقامة العدل بين الناس فكفه ككفه (ص) قال رسول الله (ص): «**يا أبا بكر كفي وكف علي في العدل سواء**»[٨].

٤ ـ ويصف الرسول علياً (ع) بأنه كنفسه، فقد أخرج أحمد بن حنبل في مسنده عن عبد الله بن حنطب قال: قال رسول الله (ص) لوفد ثقيف ـ حين

---

(٥) جلال الدين السيوطي في تاريخ الخلفاء ج ١ ص ٩٦ وابن عساكر من حديث أبي بكر وعمار وعائشة وسواهم، وأخرج الحديث الكنجي الشافعي في الكفاية والخوارزمي في المناقب. ولمزيد من المصادر راجع مقام أمير المؤمنين ص ٦ ـ ص ٧ ط الأعلمي ـ كربلاء.

(٦) أخرجه أبو نعيم في الحلية ورواه الديلمي في فردوس الأخبار والحموئي في الفرائد وغيرهم نقلا عن المصدر السابق ص ٧.

(٧) أخرجه أحمد بن حنبل والترمذي في جامعه الصحيح. نقلا عن فتح الملك العلي بصحة حديث باب مدينة العلم علي للحافظ أحمد بن محمد الغماري ط ٢ ١٩٦٩.

(٨) أخرجه جلال الدين السيوطي في تاريخ الخلفاء وابن عساكر في تاريخه الكبير والمناقب للخطيب الخنفي نقلا عن مقام أمير المؤمنين ص ١٢

جاؤوه: «**لتسلمن أو لابعثن اليكم رجلاً كنفسي ليضربن أعناقكم وليسبين ذراريكم، وليأخذن أموالكم** ـ**فالتفت الى علي وأخذ بيده** ـ **فقال: هو هذا، هو هذا**»[٩].

٥ ـ وإن الامام عليه السلام أدرى المسلمين قاطبة بشؤون القضاء بعد رسول الله (ص)، فعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله (ص): «**أقضى أمتي علي**»[١٠].

وهو اشارة من الرسول (ص) الى أن الامام علياً (ع) أقدر من سواه على ادارة شؤون الأمة وحسم ما يشجر في حياتها العملية.

٦ ـ وقال المصطفى (ص): «**علي مع الحق والحق مع علي، ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض يوم القيامة**»[١١].

٧ ـ وحيث أن علياً (ع) صنو الحق الذي هدى الله عباده اليه، فلا يفترق أحدهما عن الآخر، فقد دعا رسول الله (ص) أمته لسلوك منهجه والاندماج بخطه لينقذها من الزيغ، ولكي لا تتبع السبل فتضل عن سبيل الله تعالى قال (ص):

«**ستكون من بعدي فتنة، فاذا كان ذلك، فالزموا علي بن أبي طالب، إنه أول من يراني، وأول من يصافحني يوم القيامة، وهو مني في السماء العليا، وهو الفاروق بين الحق والباطل**»[١٢].

---

(٩) وأخرجه ابن حنبل في المناقب أيضاً وأخرجه كذلك أبو نعيم في الحلية والترمذي وغيرهما، نقلاً عن علي والوصية ص ٣٤٦ ـ ٣٤٧ بألفاظ متشابهة.

(١٠) الرياض النضرة ج ٢ ص ١٩٨ والكنجي الشافعي في الكفاية والفصول المهمة ـ لابن الصباغ المالكي وأنساب الأشراف للبلاذري نقلاً عن مقام أمير المؤمنين ص ٣٢ ط الأعلمي.

(١١) الخطيب البغدادي في تاريخه الكبير ج ٤ ص ٣٢١ وابن قتيبة في الامامة والسياسة وكنز العمال والزمخشري في ربيع الأبرار والحموئي في فرائد السمطين وغيرهم، نقلاً عن علي والوصية ص ١١٣.

(١٢) الكنجي الشافعي في كفاية الطالب والحافظ في أماليه وغيرهما، ولبقية المصادر راجع علي والوصية للمرحوم الشيخ نجم الدين العسكري ١٦٧.

٨ ـ وحول ايمان علي (ع) ومداه يقول رسول الله (ص): **«لو أن السموات والأرض موضوعتان في كفة وايمان علي في كفة لرجح ايمان علي (ع)»**[١٣].

هذه بعض مؤهلات علي (ع) كما بينها رسول الله (ص).

اما النصوص التي تسند اليه أمر امامة الامة فكرياً وسياسياً ـ بعد الرسول (ص) ـ بشكل صريح فنذكر منها:

١ ـ آية الولاية:

﴿إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسولُهُ وَالَّذِينَ آمَنوا الَّذينَ يُقيمونَ الصلاةَ ويُؤتونَ الزَّكاةَ وَهُم راكِعون * وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ والَّذينَ آمَنوا فإنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الغالِبُونَ﴾. (المائدة/ ٥٥ ـ ٥٦)

فقد ذكر المفسرون أن آية الولاية هذه قد نزلت في علي بن ابي طالب (ع)، حيث تؤكد بلا أدنى شك أنه يجب على الأمة الإسلامية الالتزام به اماماً ومرجعاً فكرياً وسياسياً بعد رسول الله (ص).

فلقد نزلت هذه الآية الكريمة في علي (ع) كما روى ذلك جمع من الثقات من المحدثين والمفسرين ـ لحد الاستفاضة ـ وكان سبب نزول هذه الآية الكريمة أن سائلاً دخل مسجد رسول الله (ص) يسأل المسلمين المعونة فأشار الامام (ع) إلى أصبعه وهو راكع فانتزع السائل خاتم الإمام من اصبعه وتصدق الامام به وهو راكع فنزلت فيه هذه الآية[١٤].

---

(١٣) اخرجه الديلمي عن ابن عمر، براجع كنز العمال ج ٦ ص ١٥٦ والرياض النضرة ج ٢ ص ٢٢٦ أخرجه عن عمر بن الخطاب نقلاً عن مقام أمير المؤمنين ص ١٥ ط الاعلمي ـ كربلاء.

(١٤) راجع تفسير الآية في كل من تفسير البيضاوي ومجمع البيان للطبرسي، وابو اسحاق الثعلبي في تفسيره، والطبري في تفسيره، والواحدي في اسباب النزول، وابو البركات النسفي في تفسيره، والنيسابوري في تفسيره، والشبلنجي في نور الابصار وابن حجر في صواعقه المحرقة وغيرهم ولمزيد من التعرف على المصادر راجع فضائل الخمسة من الصحاح الستة للفيروزآبادي ج ١ واعيان الشيعة للسيد محسن الأمين ج ٣ ق ١ ص ١٣٠ وما بعدها

٢ ـ خطبة الغدير التي القاها رسول الله (ص) في حجة الوداع بعد اداته مراسيم الحج الأكبر:

فعن البراء بن عازب قال: أقبلنا مع رسول الله (ص) في سنته التي حج فيها، فنزل في بعض الطريق فأمر: **الصلاة جامعة**، فأخذ بيد علي، فقال: «**ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟**».

قالوا: بلى.

قال (ص): «**ألست أولى بكل مؤمن من نفسه؟**».

قالوا: بلى.

قال (ص): «**فهذا ولي من أنا مولاه، اللهم وال من والاه اللهم عادِ من عاداه**»[١٥].

وفي لفظ أحمد بن حنبل أن رسول الله (ص) قال: «**من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه**»[١٦].

٣ ـ وعن أم سلمة أم المؤمنين قالت: قال رسول الله (ص): «**إن الله اختار لكل نبي وصياً، وعلي وصيي في عترتي وأهل بيتي وأمتي بعدي**»[١٧].

هذه بعض النصوص الاسلامية الصحيحة التي أسندت أمر المرجعية الفكرية والسياسية بعد رسول الله (ص) لعلي بن أبي طالب (ع)، ولمن يهمه المزيد من تتبع نصوص الإمامة يمكنه مراجعة المصادر المختصة بالموضوع[١٨].

---

(١٥) لفظ صحيح ابن ماجة ص ١٢.

(١٦) مسند حمد بن حنبل ج ٤ ص ٢٨١ وقد نص على أن الحديث رواه ثلاثون صحابياً وقد أخرج الحديث غيره كالنسائي في الخصائص والطبراني عن زيد بن أرقم والفخر الرازي في تفسير آية ﴿**يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك**﴾ وكنز العمال ج ١ ص ٤٨ ومستدرك الصحيحين ولمزيد من المصادر راجع كتاب الغدير ج ١ للشيخ عبد الحسين الأميني (ره).

(١٧) الموفق بن أحمد الحنفي في مناقبه والحموئي الشافعي في فرائد السمطين وفي مسند أحمد بن حنبل حديث الوصية يشبهه وللثعلبي في الكشف والبيان وابن السمعاني مثله يراجع علي والوصية ص ٢٣٥

(١٨) تكتب «الغدير» للشيخ عبد الحسين الأميني و«دلائل الصدق» للشيخ محمد حسن المظفر و«احقاق الحق» للقاضي التستري و«عبقات الأنوار» للسيد مير حامد حسين و«المراجعات» للسيد عبد الحسين شرف الدين... وغيرها.

شخصية علي (ع)

من خلال عناصرها الاساسية

* علاقة الإمام علي بالله تعالى
* شواهد من عبادة أمير المؤمنين (ع)
* المنهج العبادي في خطوطه الأساسية

تمهيد:

اذا كانت حصيلة الاعداد الالهي المباشر لرسول الله (ص) أن صار خلقه (ص) القرآن بكل ما فيه من فضائل وقيم روحية رفيعة تجسيداً حيا في دنيا الواقع[١٩]، فان حصيلة الاعداد الرسالي من لدن رسول الله (ص) لعلي بن أبي طالب (ع) أن صار علي (ع) صورة للرسول (ص) فكراً وهديا وموقفاً..

ولقد قرأنا بين ثنايا النصوص الكريمة التي مرت بنا خلال هذه الدراسة[٢٠]: تلك النصوص التي تكشف بقوة ما لعلي (ع) من مكانة في دنيا الاسلام.

فهو: المطهر من الرجس، وهارون الامة، والذي كفه ككف النبي المصطفى، في العدل، وهو رفيق الحق لا ينفك أحدهما عن الآخر وهو باب مدينة العلم الإلهي، وفاروق الأمة[٢١] و... و... الخ.

وكل هذه الأوسمة التي زين بها الإسلام صدر علي (ع) كانت ذات مداليل عملية في دنيا الواقع في حياة علي (ع).

فهذه الصفات السامية جاءت ترجمة لواقع صار اليه الامام (ع) كثمرة للاعداد الرسولي له منذ نعومة أظفاره حتى آخر يوم من أيام المصطفى (ص).

ولعلنا لا ندرك أهمية تلك الأوسمة التي زين بها صدر الامام (ع) ما لم نسلط بعضاً من الضوء على المقومات العامة لشخصيته سلام الله عليه في هذه الصفحات:

---

(١٩) تراجع الحلقة الثالثة من دراستنا «محمد رسول الله (ص)».

(٢٠) راجع الحلقة الاولى من دراستنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب.

(٢١) فاروق الأمة رواه عن رسول الله (ص) الطبراني والبيهقي وكنز العمال وسواهم راجع المراجعات لشرف الدين ص ١٧٠.

علاقة الإمام علي بالله تعالى

سبق أن أشرنا في حديثنا عن شخصية رسول الله (ص) الى أن علاقة المسلم بالله تبارك وتعالى، ليست محدودة في احدى زوايا حياته أبداً، وانما هي كما حدد الله سبحانه أبعادها لعباده من خلال شريعته التي ارتضى لهم: تجرد كامل للعزيز المتعال عز وجل بكل خلجات النفس، وبكل حركة في الحياة: في الصلاة والصيام والحج والاعتكاف، بشعائر التعبد وبالعلاقات الأسرية والاجتماعية عامة. بالحكم والقضاء بالمحيا والممات وما بعد الموت[٢٢].

وقد جسد القرآن الكريم حجم العلاقة بين العبد وربه الأعلى بقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لله رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.
(الانعام/ ١٦١)

على أن شعائر الاسلام الكبرى: كالصلاة والصوم والحج وسواها وان كانت جزءاً من هيكل العبودية لله تعالى التي تشمل الحياة الانسانية كلها. الا ان هذه الشعائر تختص بسمات خاصة «توقيفية» ككيفية الأداء والوقت والعدد، فهي في هذه المجالات محددة من قبل الله تبارك وتعالى فلا مجال فيها لتبديل أو تحوير أو نقص أو زيادة.

ثم انها تمتاز في كونها وقفات خالصة لله سبحانه ليس فيها غايات أخرى غير رضوان الله والاستجابة لأمره، ومن أجل ذلك تفقد هذه الفرائض طابعها العبادي اذا دخل اطارها رياء أو نحوه.

---

(٢٢) الحلقة الثالثة من كتابنا «محمد رسول الله (ص)».

وهي ميزة لا تتحقق في أمور الحياة الانسانية الأخرى وان كانت سابحة في اطار من العبودية لله تعالى.

فالزواج والنشاط الاقتصادي مثلاً ونحوهما من العقود وان كانت شريعة الله تعالى تضعها في مسار العبودية لله، والمرء من خلالها يؤدي عبادة اذا هو التزم بأحكام الشريعة الاسلامية في تحديد وجهتها وأبعادها ومستلزماتها الا أنها تبقى حاملة لأغراض أخرى فالزواج مثلاً وان كان يحقق غاية اسلامية من ناحية تحصين الفرد المسلم عن الوقوع في المحرم، حتى أن الاسلام يعتبر عملية الزواج من قبل المسلم احرازاً لنصف الدين ـ كما في الحديث الشريف ـ كما أن الالتزام بأحكام الشريعة الخاصة في حقول التعامل بين الزوجين ونحوها يعتبر أمراً مفروضاً على المؤمنين..

أقول الى جانب هذه الأمور التي ترافق عملية الزواج، فان الميل للجنس يبقى خلفية أساسية من خلفيات حمل الفرد على تعاطيه.

وهكذا تظهر خلفيات أخرى غير الخلفية العبادية في مثل هذه الأمور.

ومن هنا نرى أن أمر الزواج والنشاطات الاقتصادية في مثالنا أمور توجد في كل مجتمع في الماضي والحاضر، قبل عصر التنزيل وبعده بالنظر لارتكازها على حاجات طبيعية لدى الكائن الانساني، ومهمة شريعة الله تعالى ترتكز على اضفاء الصبغة الشرعية عليها بعد تهذيبها وتحديد مسارها ووضع مخطط اسلامي لصوغها وفقاً لمتطلبات الفطرة البشرية.

وبناء على هذا التحديد لطبيعة علاقة المسلم بالله تبارك وتعالى فسنستعرض علاقة الامام علي بن أبي طالب (ع) بالله تعالى من خلال الفرائض والسنن الإسلامية.

شواهد من عبادة أمير المؤمنين (ع)

كحصيلة للاعداد المميّز الذي حظي به الامام (ع) من لدن أستاذه الرسول (ص) ـ الأمر الذي تناولناه في مدخل هذه الرسالة ـ فقد طبعت شخصية الامام (ع) بشخصية المصطفى (ص) في جميع مقوماتها: عبادة وفكراً ومواقف.

يسلك سبيله، يقتفي سنته ويقفو اثره، ومن أجدر بتجسيد سنة الرسول (ص) كاملة في دنيا الواقع سوى علي (ع)؟ الذي صنع رسول الله (ص) شخصيته وشكل جميع عناصرها وطبعها بالطابع الالهي منذ نعومة أظفاره..

واذ نعقد هذا الفصل للحديث عن عبادة الامام (ع) ووسائل تعلقه بالله سبحانه، فسنعرض شواهد منها، لندرك السمو الشاهق الذي بلغه الامام (ع) في مضمار الانشداد الى الله واستلهام منهج الرسول (ص) المطهر في هذا المضمار:

صلاة وضراعة:

فلكثرة تعاهده لأمر الصلاة والتضرع الى الله تعالى يشير عروة بن الزبير في حديث له عن أبي الدرداء:

قال: «شهدت علي بن أبي طالب بشويحطات[٢٣] النجار، وقد اعتزل عن مواليه، واختفى ممن يليه، واستتر بمعيلات[٢٤] النخل، فافتقدته، وبعد

---

(٢٣) الشويحط شجر ينحت منه القسي

(٢٤) المعيلات النخل الوارف الظلال.

عن مكانه، فقلت: الحق بمنزله، فإذا أنا بصوت حزين ونغم شجي، وهو يقول: «**الهي كم من موبقة حلمتَ عن مقابلتها بنقمتك، وكم من جريرة تكرمت عن كشفها بكرمك.**

الهي ان طال في عصيانك عمري، وعظم في الصحف ذنبي، فما أنا مؤمل غير غفرانك، ولا أنا براجٍ غير رضوانك».

فشغلني الصوت، واقتفيت الأثر، فإذا هو علي بن أبي طالب (ع) بعينه، فاستترت له وأخملت الحركة، فركع ركعات في جوف الليل الغامر، ثم فرغ الى الدعاء والبكاء، والبث والشكوى، فكان مما ناجى به الله تعالى أن قال:

«**الهي أفكر في عفوك، فتهون علي خطيئتي، ثم أذكر العظيم من أخذك، فتعظم علي بليتي**».

ثم قال: «**آه ان أنا قرأت في الصحف سيئة أنا ناسيها، وأنت محصيها، فتقول: خذوه، فيا له من مأخوذ لا تنجيه عشيرته، ولا تنفعه قبيلته ولا يرحمه الملأ اذا أذن فيه بالنداء**».

ثم قال: «**آه من نار تنضج الأكباد والكلى، آه من نار نزاعة للشوى، آه من لهبات لظى**».

قال أبو الدرداء، ثم أمعن في البكاء، فلم اسمع له حساً، ولا حركة.

فقلت: غلب عليه النوم لطول السهر، أوقظه لصلاة الفجر، فأتيته، فإذا هو كالخشبة الملقاة، فحركته، فلم يتحرك، وزويته فلم ينزو.

فقلت: انا لله وانا اليه راجعون مات والله علي بن أبي طالب، فأتيت منزله مبادراً أنعاه اليهم.

فقالت فاطمة (ع): يا أبا الدرداء ما كان من شأنه ومن قصته؟

فأخبرتها الخبر.

فقالت: «**هي والله ـ يا أبا الدرداء ـ الغشية التي تأخذه من خشية الله**».

ثم أتوه بماء فنضحوه على وجهه، فأفاق، ونظر الي وأنا أبكي فقال: **مما بكاؤك يا أبا الدرداء؟**

فقلت: مما أراه تنزله بنفسك.

فقال: **يا أبا الدرداء، فكيف لو رأيتني، ودعي بي الى الحساب، وأيقن أهل الجرائم بالعذاب، واحتوشتني ملائكة غلاظ وزبانية فظاظ، فوقفت بين يدي الملك الجبار، قد أسلمني الاحباء ورفضني أهل الدنيا، لكنت أشد رحمة لي بين يدي من لا تخفى عليه خافية**».

فقال أبو الدرداء: «فوالله ما رأيت ذلك لأحد من أصحاب رسول الله (ص)»[٢٥].

هذا شاهد من شواهد تعلق الامام (ع) بالله تعالى وشدة انشداده اليه ورهبته منه.

ويبدو أن هذا ديدن علي (ع) كما يتجلى من قول الزهراء (ع) لأبي الدرداء: «**هي والله الغشية التي تأخذه من خشية الله**».

وهذه مزيته عند التوجه الى الله تعالى في صلاته وضراعته، الأمر الذي الفه أهل البيت (ع) في علي (ع).

ومن اجل ذلك لم يفزعوا حين أنبأهم أبو الدرداء بموته ـ كما ظن هو ـ بل استعسروا عما رأى، فأعلمته الصديقة (ع) أن ما رآه هو المألوف من علي (ع) كل آن حين تأخذه الغشية لله تبارك وتعالى أثناء قيام الليل.

ولكثرة قيامه للعبادة ليلا يحدثنا عبد الأعلى عن نوف البكالي...

قال: «بت ليلة عند أمير المؤمنين (ع) فكان يصلي الليل كله، ويخرج ساعة بعد ساعة، فينظر الى السماء، ويتلو القرآن، فمر بي بعد هدوء من الليل فقال: **يا نوف أراقد أنت أم رامق؟**

قلت: بل رامق أرمقك ببصري يا أمير المؤمنين.

قال: **يا نوف طوبى للزاهدين في الدنيا، الراغبين في الآخرة، أولئك الذين اتخذوا الأرض بساطاً، وترابها فراشاً، وماءها طيباً، والقرآن دثاراً،**

---

(٢٥) بحار الأنوار ج ٤١ ص ١١ ـ ١٢ والأنوار العلوية للشيخ جعفر النقدي ط ٢ ص ١١٥ ومناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب السارندراني ج ١ ط ١ مط العلمية قم ص ٣٨٩

والدعاء شعاراً، وقرضوا من الدنيا تقريضاً على منهاج عيسى بن مريم. . . »[٢٦].

وهكذا كان علي (ع) في شدة تعلقه بالله، وعظيم تمسكه بمنهج الأنبياء (ع) إنه ترجمة صادقة لعبادة محمد رسول الله (ص) وزهد المسيح (ع).

أرأيت كيف يندك وجوده على عتبة الخضوع لله والاستكانة له وطلب رضوانه؟

وحول التزامه بقيام صلاة الليل طول عمره الشريف يروي لنا أبو يعلى ـ في المسند ـ عنه (ع) قال: «**ما تركت صلاة الليل منذ سمعت قول النبي صلى الله عليه وآله: صلاة الليل نور**».

فقال ابن الكواء: ولا ليلة الهرير!؟ قال (ع): **ولا ليلة الهرير**[٢٧].

توجه ورهبة:

ولعظيم اقباله على الله تعالى يشير القشيري في تفسيره:

إنه كان (ع) اذا حضر وقت الصلاة تلون وتزلزل. فقيل له: ما لك؟

فيقول: **جاء وقت أمانة عرضها الله تعالى على السموات والأرض والجبال، فأبين أن يحملنها وحملها الانسان على ضعفه، فلا أدري أحسن اذا حملت أم لا**[٢٨].

ولع بالصلاة:

فعن سليمان بن المغيرة عن أمه قالت: سألت أم سعيد سرية علي (ع) عن صلاة علي (ع) في شهر رمضان.

---

(٢٦) نفس المصدر ص ١٦ عن الخصال للصدوق ونهج البلاغة باب الحكم رقم ١٠٤ مع اختلاف يسير في الألفاظ.

(٢٧) البحار ج ٤١ ص ١٧. ليلة الهرير = من ليالي صفين الحاسمة التي اشتبك الفريقان فيها طوال الليل دون هوادة.

(٢٨) نفس المصدر ص ١٧.

فقالت: رمضان وشوال سواء، يحيي الليل كله[29].

عبادة الشاكرين:

ولقد عظم المعبود عز وجل في نفس الامام (ع) فصارت عبادته تعبيراً عن الحب له والشوق اليه، واستشعار أهليته للعبادة دون سواه، ومن أجل ذلك كان علي (ع) لا يعبد الله خوفاً من عذابه، ولا طمعاً في جنته ولا فيما أعده من نعيم للمتقين، وانما سما الامام (ع) في علاقته بالله تعالى الى أعلى الدرجات أسوة بأستاذه الرسول (ص)...

وقد كشف الامام (ع) عن جوهر علاقته بالله تعالى وطبيعتها بقوله: **«الهي ما عبدتك خوفاً من عقابك ولا طمعاً في ثوابك ولكن وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك»**[30].

فأعظم به من يقين، وأكرم به من ايمان!!

ولقد حدد الامام (ع) ألوان العبادة في كلمة خالدة:

«إن قوماً عبدوا الله رغبة، فتلك عبادة التجار، وإن قوماً عبدوا الله رهبة، فتلك عبادة العبيد، وإن قوماً عبدوا الله شكراً، فتلك عبادة الأحرار»[31].

وكانت عبادته (ع) من النوع الأخير، حيث تصدر كحصيلة للشعور بأهلية المعبود واستحقاقه لها.

أما ايقاف العبادة على حصول الثواب فحسب، فهي عبادة من وصفهم الامام (ع) بالتجار، الذين يبتغون الثمن وينتظرون التعويض... وشتان بين هدف الشاكرين، وهدف التجار في ميزان الله تعالى وحسابه.

صلاة الرسول (ص):

ولقد كانت صلاة علي (ع) - أسوة بسائر نشاطاته - كصلاة

---

(٢٩) نفس المصدر ص ١٧

(٣٠) بحار الأنوار ج ٤١ ص ١٤ وتذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي ص ١٤٤.

(٣١) المصدر المتقدم

رسول الله (ص) في كيفية الأداء والخشوع والانشداد والتعلق بالله تعالى فعن مطرف بن عبد الله قال: «صليت أنا وعمران بن حصين خلف علي بن أبي طالب... فلما انصرفنا أخذ عمران بيدي فقال: لقد صلى صلاة محمد، ولقد ذكرني صلاة محمد (ص)[٣١]».

تعاهدوا أمر الصلاة:

والى جانب تعاهد الامام (ع) لأمر الصلاة فقد كان كثيراً ما يوصي أتباعه بتعاهد أمرها، وأدائها في أوقاتها وتعريفهم بأهميتها وأثرها في شخصية المسلم فها هو يدعو المؤمنين من اصحابه: «**تعاهدوا امر الصلاة، وحافظوا عليها، واستكثروا منها، وتقربوا بها فانها ﴿كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً﴾ الا تسمعون الى جواب أهل النار حين سئلوا ﴿ما سلككم في سقر؟ قالوا: لم نك من المصلين﴾**.

وانها لتحت الذنوب حت[٣٢] الورق، وتطلقها اطلاق الربق[٣٣]. وشبهها رسول الله صلى الله عليه وآله بالحمة[٣٤]، تكون على باب الرجل، فهو يغتسل منها في اليوم والليلة خمس مرات، فما عسى أن يبقى عليه من درن[٣٥]؟!.

وقد عرف حقها رجال من المؤمنين الذين لا تشغلهم عنها زينة متاع، ولا قرة عين من ولد ولا مال.

يقول الله سبحانه:

﴿رِجالٌ لا تُلهيهِمْ تِجارةٌ ولا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ الله وَاقامِ الصَّلاةِ وايتاء الزَّكاة...﴾.

(النور/٣٧)

---

(٣٢) أنساب الأشراف ج ٢ ص ١٨٠ وفضائل الخمسة من الصحاح الستة ج ١ نقلاً عن البخاري ومسلم والنسائي وغيرهم.

(٣٣) حت الورق عن الشجر: قشره.

(٣٤) الربق: حبل فيه عدة عرى كل واحدة ربقة.

(٣٥) الحمة: عين ماء حار يستشفى فيها من المرض.

(*) الدرن: الوسخ.

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله نَصِباً[٣٦] بالصلاة بعد التبشير له بالجنة لقول الله سبحانه: ﴿وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها﴾.

فكان يأمر بها أهله ويصبر عليها نفسه»[٣٧].

المنهج العبادي في خطوطه الأساسية:

والى منهجه العبادي الملتَزمَ أشار الإمام الباقر (ع) بقوله:

«... وما ورد عليه أمران قط كلاهما لله رضى الا أخذ بأشدهما على بدنه»[٣٨].

وقد ورد عن الامام علي (ع) ذاته: **«... وانما هي نفسي أروضها بالتقوى لتأتي آمنة يوم الخوف الأكبر»[٣٩].**

وفي حديث ضرار بن ضمرة لمعاوية بن أبي سفيان حول شخصية الامام (ع) تجسيد لهذه الحقيقة، فمما جاء في حديثه «... كان والله صواما بالنهار وقواما بالليل...».

توكل صادق ويقين راسخ:

وحيث أن التوكل على الله تعالى زاد المتقين، واليقين بالله شعار المؤمنين الصادقين يملأ قلوبهم بالثقة والاطمئنان والعزة والارتفاع على جميع عقبات الحياة.

فقد كان أمير المؤمنين (ع) قائداً لاهل اليقين بعد رسول الله (ص) ويعسوباً للمتوكلين.

وهذه سيرته العطرة تتحفنا بالعديد من الشواهد في هذا المضمار:

فعن الامام الصادق (ع) قال: **كان لعلي (ع) غلام اسمه قنبر، وكان**

---

(٣٦) نصبا: نصب في الامر: جد واجتهد فيه.

(٣٧) نهج البلاغة تبويب صبحي الصالح ١٩٩

(٣٨) مناقب آل ابي طالب لابن شهر آشوب المازندراني ج ١ مط العلمية/ قم.

(٣٩) نهج البلاغة من كتاب له الى عثمان بن حنيف عامله على البصرة رقم ٤٥ ص ٤١٦.

يحب علياً حباً شديداً، فاذا خرج علي (ع) خرج على أثره بالسيف فرآه ذات ليلة، فقال له: يا قنبر مالك؟

قال: جئت لأمشي خلفك، فان الناس كما تراهم يا أمير المؤمنين فخفت عليك.

قال: ويحك أمن أهل السماء تحرسني أم من أهل الأرض؟

قال: لا بل من أهل الأرض.

قال (ع): ان أهل الأرض لا يستطيعون بي شيئاً الا باذن الله عز وجل فارجع. فرجع[٤٠].

وعن أبي عبد الله (ع) قال: «ان أمير المؤمنين (ع) جلس الى حائط يقضي بين الناس.

فقال بعضهم: لا تقعد تحت هذا الحائط فانه معور.

فقال أمير المؤمنين: حرس امرأ أجله.

فلما قام أمير المؤمنين (ع) سقط الحائط.

وكان أمير المؤمنين (ع) مما يفعل هذا وأشباهه، وهذا اليقين»[٤١].

وعن سعيد بن قيس الحمداني قال: «نظرت يوماً في الحرب الى رجل عليه ثوبان، فحركت فرسي فإذا هو أمير المؤمنين (ع).

فقلت: يا أمير المؤمنين في مثل هذا الموضع؟

فقال: نعم يا سعد بن قيس، انه ليس من عبد الا وله من الله عز وجل حافظ وواقية، معه ملكان يحفظانه من أن يسقط من رأس جبل أو يقع في بئر، فإذا نزل القضاء خليا بينه وبين كل شيء»[٤٢].

هذا هو علي (ع) في قوة يقينه بالله تعالى وشدة توكله عليه سبحانه.

---

(٤٠) بحار الأنوار ج ٤١ ص ١.

(٤١) نفس المصدر ص ٦ نقلاً عن أصول الكافي.

(٤٢) نفس المصدر ص ٦ نقلاً عن أصول الكافي.

مصاديق من زهد الامام (ع):

ولقد كان الزهد معلماً بارزاً من معالم شخصية الامام علي (ع)، وسمة مميزة زيّنه الله تعالى به فعن عمار بن ياسر (رض) قال: قال رسول الله (ص) لعلي: «**إن الله قد زينك بزينة لم يزين العباد بزينة أحب منها، هي زينة الأبرار عند الله: الزهد في الدنيا، فجعلك لا ترزأ ـ تعيب ـ من الدنيا ولا ترزأ الدنيا منك شيئاً، ووهبك حب المساكين، فجعلك ترضى بهم أتباعاً، ويرضون بك اماماً**»[٤٣].

وقد كان من شواهد تلك الصفة التي حباه الله تعالى بها:

ان زهد الامام (ع) عن كل لذاذات الحياة وزينتها وتوجّه بكل وجوده نحو الآخرة، وعاش عيشة المساكين وأهل المتربة من رعيته.

لقد زهد الامام (ع) بالدنيا وزخرفها زهداً تاماً وصادقاً:

زهد في المال والسلطان، وكل ما يطمع به الطامعون.

فلقد عاش في بيت متواضع لا يختلف عما يسكنه الفقراء من الأمة، وكان يأكل الشعير، وتطحنه امرأته أو يطحنه بنفسه، قبل خلافته، وبعدها حيث كانت تجبى الأموال الى خزانة الدولة التي كان يضطلع بقيادتها من شرق الأرض وغربها. وكان يلبس أبسط أنواع الثياب، فكان ثمن قميصه ثلاثة دراهم.

ولقد بقي ملتزماً بخطه في الزهد طوال حياته، فقد رفض أن يسكن القصر الذي كان معدا له في الكوفة حرصاً منه على التأسي بالمساكين[٤٤].

وهذه بعض المصاديق كما ترويها سيرته العطرة:

فعن الامام الصادق (ع) يقول: «**كان أمير المؤمنين أشبه الناس طعمة برسول الله (ص) يأكل الخبز والخل والزيت ويطعم الناس الخبز واللحم**»[٤٥].

---

(٤٣) مناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٩٤ ط ١ المطبعة العلمية قم.

(٤٤) علي وحقوق الانسان ـ جورج جرداق ص ٧٥ ط ١٩٧٠ بيروت.

(٤٥) بحار الأنوار ج ٤٠ ص ٣٣٠ عن المحاسن.

وعن الباقر (ع) قال: «**ولقد ولي خمس سنين وما وضع آجرة على آجرة ولا لبنة على لبنة، ولا أقطع قطيعاً ولا أورث بيضاً ولا حمراً**»(٤٦).

وعن عمر بن عبد العزيز قال: «ما علمنا أن أحداً كان في هذه الامة بعد رسول الله (ص) أزهد من علي بن أبي طالب، ما وضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة»(٤٧).

وعن الأحنف بن قيس قال: «دخلت على معاوية، فقدم الي من الحلو والحامض، ما كثر تعجبي منه، ثم قال: قدموا ذاك اللون، فقدموا لوناً ما أدري ما هو...!

فقلت: ما هذا؟

فقال: مصارين البط محشوة بالمخ ودهن الفستق قد ذر عليه السكر!!.

قال الأحنف: فبكيت.

فقال معاوية: ما يبكيك؟

فقلت: لله در ابن أبي طالب، لقد جاد من نفسه بما لم تسمع به أنت ولا غيرك!.

قال معاوية: وكيف؟

قلت: دخلت عليه ليلة عند افطاره.

فقال لي: **قم فتعش مع الحسن والحسين**، ثم قام الى الصلاة، فلما فرغ دعا بجراب مختوم بخاتمه، فأخرج منه شعيراً مطحوناً، ثم ختمه.

فقلت: يا أمير المؤمنين لم أعهدك بخيلاً، فكيف ختمت على هذا الشعير.

فقال: **لم أختمه بخلا، ولكن خفت أن يبثّه الحسن والحسين بسمن أو إهالة!**.

فقلت: أحرام هو؟

قال: **لا، ولكن على أئمة الحق أن يتأسوا بأضعف رعيتهم في الأكل**

---

(٤٦) مناقب ابن شهر آشوب ج ١ ص ٣٦.

(٤٧) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي ص ١١٧.

واللباس، ولا يتميزون عليهم بشيء لا يقدرون عليه ليراهم الفقير، فيرضى عن الله تعالى بما هو فيه، ويراهم الغني فيزداد شكراً وتواضعا»[48].

وعن سويد بن غفلة قال: دخلت على علي (ع) بالكوفة، وبين يديه رغيف من شعير، وقدح من لبن، والرغيف يابس. فشق عليَّ ذلك.

فقلت لجارية له يقال لها فضة: ألا ترحمين هذا الشيخ، وتنخلين له هذا الشعير.

فقالت: . . انه عهد الينا ألا ننخل له طعاماً قط . . . !

فالتفت الامام اليَّ وقال:

ما تقول لها يا ابن غفلة، فأخبرته . . .

وقلت: يا أمير المؤمنين ارفق بنفسك.

فقال لي: **ويحك يا سويد؟ ما شبع رسول الله (ص) وأهله من خبز بُرٍّ ثلاثا تباعا حتى لقي الله، ولا نخل له طعام قط . . .»**[49].

وعن سفيان الثوري عن عمرو بن قيس قال: رؤي على علي (ع) إزار مرقوع، فعوتب في ذلك؟

فقال: **يخشع له القلب ويقتدي به المؤمن**[50].

عن الغزالي يقول: «كان علي بن أبي طالب يمتنع من بيت المال حتى ببيع سيفه، ولا يكون له الا قميص واحد في وقت الغسل ولا يجد غيره»[51].

هذا هو علي في شدة زهده وزعبته عن الدنيا وزخارفها، وفي عظيم اقتدائه برسول الله (ص) وفي مواساته لأهل المتربة من أمته (ص)، فهل حدثك التاريخ عن زعيم كعلي (ع)؟ تجبى اليه الأموال من الشرق والغرب، وعاصمته الكوفة - تقع في أخصب أرض الله وأكثرها عمى يومذاك، بيد أنه

---

(٤٨) نفس المصدر ص ١٨٨ يحسه: تقيم عليه الحسى، والاهالة الشحم او ما اذيب منه وبحوهما من إدام

(٤٩) تذكرة الخواص ص ١٢٠، والبر الحنطة، ثلاث تبعا: ثلاثة ايام متتالية

(٥٠) نفس المصدر والامام علي بن أبي طالب - محمد رضا ص ١٢

(٥١) مسند ابن شهر آشوب ج ١ ص ٣٦٦ عن الاحياء للغزالي

يعايش أبسط عيش مواسياً لأقل الناس حظاً في العيش في هذه الحياة... يأكل خبز الشعير دون أن يخرج نخالته.. ويكتفي بقميص واحد لا يجد غيره عند الغسل... ويُحرم على نفسه الأكل من بيت المال... ويرقع مدرعته حتى يستحي من راقعها[٥٢] مجسداً بذلك أرفع شعار للزاهدين: «.. **فوالله ما كنزت من دنيا كم تبراً، ولا ادخرت من غنائمها وفرا، ولا أعددت لبالي ثوب طمرا، ولا حزت من أرضها شبرا، ولا أخذت منه كقوت أتان دبرة، ولهي في عيني أوهى وأوهن من عفصة مقرة**»[٥٣].

صدقة الامام (ع):

ولا نريد أن نذهب بعيداً في ذكر الشواهد على تعاهد الامام علي (ع) لأمر الصدقة، قبل أن نستقي من القرآن الكريم نماذج من صدقة الامام (ع) عطرتها آيات الله تعالى بالثناء الجميل، ورسمت أبعاد الثواب الالهي العظيم الذي لا يعلم مداه غير الله الذي أعده تبارك وتعالى لأمير المؤمنين (ع):

ففي حادثة اطعام علي (ع) وأهل بيته (ع) للمسكين واليتيم والأسير على مدى ثلاثة أيام وايثارهم لهم على أنفسهم، واكتفائهم بالماء وهم في أيام صوم متتالية... تنزلت آيات الله تعالى مسجلة أعظم مآثر علي (ع) في ضمير الوجود حيث ستبقى ترددها الآفاق والألسنة وصفحات المجد ما شاء الله تعالى:

﴿وَيُطْعِمونَ الطَّعامَ عَلى حُبِّهِ مِسْكيناً وَيَتيماً وَأسيراً * إِنَّما نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ الله لا نُريدُ مِنكُم جَزاءً وَلا شُكُوراً * إِنّا نَخافُ مِنْ رَبِّنا يَوماً عَبوساً

---

(٥٢) للاستزادة من شواهد زهد الامام (ع) راجع بحار الأنوار ج ٤٠ وتذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي، ومناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب المازندراني ج ١ وغيرها.

(٥٣) كتابه إلى عثمان بن حنيف رقم النص في نهج البلاغة ٤٥ باب الرسائل التبر: فتات الذهب والفضة قبل الصياغة.

الوفر: المال. الطمر: الثوب الخلق البالي. اتان دبرة: التي عقر ظهرها فقل أكلها. عفصة مقرة: العفص، هي شجرة البلوط وثمرها. ومقرة، أي مرة.

قَمْطريراً * فوقاهُمُ الله شَرَّ ذلك اليوم ولَقّاهُمْ نَضْرةً وسُروراً * وجَزاهُمْ بما صَبروا جَنَّةً وحريرا﴾.

(الانسان/ ٨ - ١٢)

وليس المهم في الأمر حجم ما قدمه الامام (ع) لأولئك المحتاجين، فان الكثير من الناس يبذلون أضعاف ذلك.

ولكن شتان بين من ينفق لوجه الله خالصاً دون شائبة، وبين من ينفق من أجل غرض دنيوي أو جاه أو ذكر يشاع بين الناس. كما أنه شتان بين من ينفق كل ما لديه وهو أحوج ما يكون اليه وبين من ينفق بعض ما لديه...

وهكذا يختلف التقويم عند الله تعالى بين ذا وذاك!

وفي حادثة تصدق علي (ع) بخاتمه على مسكين استبدت به الحاجة، فطاف على الناس فلم يجد من يسد خلته، فأشار اليه علي (ع) وهو يصلي في مسجد رسول الله (ص) ووهبه خاتماً في يده.

فنزل القرآن الكريم على رسول الله (ص) مبيناً فضل ما أقدم عليه الامام (ع) واستعمل القرآن المناسبة لارشاد الأمة الى أن علياً (ع) مرجعها الفكري والعملي بعد رسول الله (ص):

﴿انّما وليُّكُمُ الله ورسولُهُ والّذين آمنوا الّذين يُقيمونَ الصلاةَ ويُؤتونَ الزّكاةَ وهُم راكعون * ومن يتولَّ الله ورسُولَهُ والذّينَ آمنوا فإنَّ حِزْبَ الله هُمُ الغالبون﴾.

(المائدة/ ٥٥ - ٥٦)

وهذه الاية الكريمة من أكثر النصوص دلالة على أن العمل الصالح في منظور الله تبارك وتعالى انما هو بدوافعه لا بحجم منافعه.

فليس المهم أن تعطي كثيراً، ولكن الأساس في الأمر نية العطاء فالتقييم الرباني انما يدور مدار النية حيث تدور، فكلما اقتربت من الله تعالى وابتغيت رضوانه كان ثوابك أعظم وأجل.

ومن المناسب أن نطرح اضافة الى ذلك مصاديق من سيرة الإمام (ع)

في هذا المضمار مما روته كتب التاريخ:

فعن أبي عبد الله الصادق (ع) قال: «كان أمير المؤمنين يضرب بالمر ـ المسحاة ـ ويستخرج الأرضين، وأنه أعتق ألف مملوك من كدّ يده»[٥٤].

وعن أيوب بن عطية الحذاء قال: سمعت أبا عبد الله (ع) يقول: «قسم نبي الله الفيء، فأصاب عليا أرضا، فاحتفر فيها عينا، فخرج ماء ينبع كهيئة عنق البعير، فسماها ينبع، فجاء البشير يبشر. فقال (ع): بشر الوارث هي صدقة بتة بتلاء في حجيج بيت الله، وعابري سبيل الله لا تباع، ولا توهب ولا تورث فمن باعها أو وهبها فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ولا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا»[٥٥].

وعن أحمد بن حنبل في الفضائل: أنه كانت غلة علي أربعين ألف دينار فجعلها صدقة[٥٦].

والحديث عن حرص الامام (ع) على تعاهد أمر الصدقة في سبيل الله تعالى يذكرنا بالنفس السخية التي يمتاز بها أمير المؤمنين (ع).

فكثرة أدائه للصدقة وشدة بذله لها وان كان يعكس صورة صادقة عن وجود الامام (ع) وسخائه، الا أن سيرته العطرة تكشف الى جانب ذلك وجهاً آخر من شخصية الامام العظيم.

فقد كان عليه السلام أسخى من الغيث على الامة التي عايشها لا نقصد بهذا جوده بنفسه من أجل حفظ الرسالة ومسيرة الاسلام التاريخية، ذاك الذي يتجلى عبر البطولات التي أبداها (ع) في حروب الاسلام كلها، فحديث كهذا.. يتطلب بمفرده سفراً كاملاً[٥٧]، وانما نقصد ما يتعلق بالسخاء بالمال.

فلقد اعترف بجود الامام (ع) وسخائه أشد الناس عداوة له: معاوية بن

---

(٥٤) البحار ج ٤١ ص ٣٧ عن الكافي ح ٥.

(٥٥) نفس المصدر ص ٤٠ عن الكافي ج ٧.

(٥٦) المناقب ـ لابن شهر آشوب ج ٢ ص ٣٤٦ والبحار ج ٤١ ص ٤٣ عن كشف السحجة لابن طاووس الحلي (رض).

(٥٧) مررنا مروراً عابراً ببعض مواقف الامام وبطولاته العسكرية في الحلقة الأولى فراجع.

أبي سفيان الذي ما برح ينسج الأكاذيب والافتراءات لتشويه سمعة الامام (ع) غير انه لم يستطع أن ينكر فضيلة الجود عند علي (ع) فقد قال له يوماً مخفى بن أبي مخفى الضبي: جئتك من عند أبخل الناس فقال ابن أبي سفيان: ويحك كيف تقول إنه أبخل الناس، لو ملك بيتاً من تبر ـ ذهب ـ وبيتاً من تبن لأنفد تبره قبل تبنه[٥٨].

ويقول الشعبي يصف الامام (ع): كان أسخى الناس، كان على الخلق الذي يحبه الله: السخاء والجود، ما قال لا لسائل قط[٥٩].

الجهاد في سبيل الله:

وحياة علي امير المؤمنين (ع) كلها جهاد في سبيل الله تعالى في مرحلة الدعوة، وبعد قيام الدولة الاسلامية، واذا كان قد وقى الرسول (ص) بنفسه وفداه بوجوده وتعرض لأخطر تآمر جاهلي على حياة رسول الله (ص) عند مبيته على فراشه في ليلة الهجرة المباركة، من أجل أن يصرف عنه شر عتاة الجاهلية. فإن عليا قد تحولت حياته بعد الهجرة الى المدينة المنورة الى حلقات متسلسلة من ذلك النوع الجهادي العظيم، فقد كان حامل لواء الزحف الاسلامي في كل غزوات أخيه رسول الله (ص) وطليعة المجاهدين في ساحات الجهاد، وكلما حربت الأمور وحمي الوطيس انتدبه رسول الله (ص) لكشف زحف العدو عن حياض المسلمين...

وكانت كل مواقفه الجهادية من النوع المصيري الذي يحمي الرسالة ويكشف عنها خطر التصفية المحقق والانهيار الخطير على وجودها، تجلى ذلك في بدر الكبرى حيث صفى الكثير من رؤوس الوثنيين وملأ بهم ساحة المعركة.

وفي «أحد» حين أطبق جيش الضلال على معسكر الايمان وكانت الغلبة للعدو، بهض الامام (ع) بدور عرقلة تقدمهم حيث بادر الى تصفية حملة الالوية من بني عبد الدار واحدا تلو الآخر.

(٥٨ و ٥٩) شرح النهج ج ١ ص ٢٢

وفي غزوة الأحزاب حين بلغت القلوب الحناجر وبلغ الضيق والهلع بالمسلمين كل مبلغ نهض الامام (ع) بالأمر وأرهب العدو وأعاد للمسلمين الثقة بالنفس حين قتل أبرز قوادهم عمرو بن عبد ود العامري.

حيث كان قتل العامري حدا فاصلاً بين المعسكرين إذ تلاه انهزام جيش الأحزاب مع ما امتاز به من ضخامة في العدد والعدة...

وعلي (ع) هو الذي اقتحم حصون خيبر ودخل عليهم عنوة، ففتح الله على يديه حصون اليهود الرهيبة.

وكم أسطر لك من بطولات علي (ع) وصفحات جهاده المشرقة التي تشع بالمجد والعزة والاخلاص؟[٦٠].

فدونك تاريخ الاسلام في عصره الأول: في عهد رسول الله (ص) فأنعم النظر في صفحاته كي تحدثك بفضل علي (ع) على الاسلام رسالة، وأمة، وتاريخاً.

على أن الجانب المعنوي في جهاد علي (عليه السلام) ليس مجسداً في حجم البطولات وعدد المعارك التي خاض غمارها فحسب وانما في صدق النية وحجم الاخلاص الذي امتلأ به قلب علي (ع) وهو يخوض تلك الحروب ببسالة فائقة وشجاعة نادرة وصمود لا يرد.

ومن أجل ذلك كان القرآن الكريم يثني على تلك الروح التي كان يحملها أمير المؤمنين عبر كفاحه من أجل اعلاء كلمة الله في الأرض.

فها هو القرآن الكريم يثني على علي (ع) يوم فدى بنفسه رسول الله (ص):

﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله﴾.

(البقرة/ ٢٠٧)

---

(٦٠) راجع الحلقة الأولى من دراستنا أمير المؤمنين (ع) فصل بأس في الحرب.

ويكشف بعمق عن صدق نية الامام (ع)[٦١].

وها هو كتاب الله العزيز يقطع بأن جهاد علي (ع) وبطولاته وتضحياته كانت من أجل الله واعلاء كلمته في دنيا الناس، ولا يمكن أن تقرن بأي لون من ألوان العمل الآخر. فبسبب الثمن الباهظ الذي يتطلبه الجهاد، وبسبب الدافع الايماني المخلص الذي لا تشوبه شائبة راحت آيات الله تعالى تحدد الموقع الرفيع الذي يحتله علي (ع) في دنيا المتقين:

﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الحَاجِّ وَعِمارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللهِ لَا يَسْتَوونَ عِنْدَ اللهِ وَاللهُ لَا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمينَ﴾.

(التوبة/ ١٩)

فعلى أثر حوار تفاخري بين طلحة بن شيبة والعباس بن عبد المطلب، قال فيه طلحة: أنا أولى الناس بالبيت لأن المفتاح بيدي.

فقال العباس: أنا أولى، أنا صاحب السقاية والقائم عليها!

وفيما كانا يتفاخران مر الامام (ع) فافتخر عليهما بقوله: «**لقد صليت قبل الناس وأنا صاحب الجهاد**».

فنزل قول الله تعالى في ذلك كاشفاً عن المستوى العظيم الذي يتبوأه علي (ع) من ناحية عمله الاسلامي: ضخامة واخلاصاً[٦٢]، بعداً وجوهراً.

---

(٦١) راجع تفسير الآية في الكشاف للزمخشري والواحدي في أسباب النزول وابن الأثير في أسد الغابة ـ يشري = يبيع.

(٦٢) تفسير الطبري عن أنس ج ١٠ ص ٥٩ وأسباب النزول للواحدي ص ١٨٢ والقرطبي في تفسيره ج ٨ ص ٩١ والرازي في تفسيره والسفي والسيوطي وسواهم.

الأخلاق الاجتماعية

١ ـ إشاعة العدل الاجتماعي بين الناس.
٢ ـ تواضع الامام.
٣ ـ حلم الإمام.
٤ ـ التورع عن البغي.
٥ ـ شواهد من صبر الامام.

بمقدور المتتبع أن يتخذ من وصف ضرار بن ضمرة لأمير المؤمنين (ع) منطلقاً للدخول في عالمه الرحيب، حيث ان الرجل المذكور كان من اصحاب الامام (ع) والمطلعين على شؤونه.

فقد دخل ضرار على معاوية ـ أيام استكان الناس وأسلموا لمعاوية القيادة ـ فالح على الرجل أن يصف له عليا (ع) فتردد ضرار كثيراً، فلما مضى معاوية في اصراره قال ضرار:

أما إذا لا بد: «فكان والله بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلاً، ويحكم عدلاً يتفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل وظلمته.

كان والله غزير الدمعة، كثير الفكرة، يقلب كفه ويخاطب نفسه، يعجبه من اللباس ما خشن، ومن الطعام ما جشب.

كان والله كأحدنا، يجيبنا اذا سألناه، ويبتدئنا اذا أتيناه، ويأتينا اذا دعوناه.

ونحن والله مع قربه منا، ودنوه الينا لا نكلمه هيبة له، ولا نبتديه لعظمته، فان تبسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم.

يُعظّم أهل الدين، ويحب المساكين، لا يطمع القوي في باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله.

فأشهد بالله لقد رأيته في بعض مواقفه ليلة، وقد أرخى الليل سدوله، وغارت نجومه، وقد مثل قائماً في محرابه قابضاً على لحيته يتململ تململ السليم، ويبكي بكاء الحزين، وكأني أسمعه وهو يقول:

يا دنيا غري غيري أبي تعرضت أم الي تشوقت، هيهات، هيهات!! قد أبتك ثلاثا لا رجعة لي فيك، فعمرك قصير وعيشك حقير وخطرك كبير...

آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق»[٦٣].

وهذا الوصف للامام (ع) علىٰ وجازته يكشف بعمق عن الاطار العام لشخصية الامام (ع) في شتى ملامحها: في الحقل الروحي والاجتماعي، في علاقته بربه، وعلاقته مع نفسه، وكيفية تعامله مع الناس من حوله.

وحيث قد عقدنا هذا الفصل للحديث عن الأخلاق الاجتماعية التي التزم بها (ع) في حياته العملية، فان حديث ضرار يضع في أيدينا رأس الخيط الذي يوصلنا الى طبيعة العلاقات الاجتماعية التي سلكها أمير المؤمنين في حياته (كان والله كأحدنا يجيبنا اذا سألناه ويبتدئنا اذا أتيناه، ويأتينا اذا دعوناه، ونحن والله مع قربه منا ودنوه الينا لا نكلمه هيبة له، ولا نبتديه لعظمته... يعظم أهل الدين، ويحب المساكين، لا يطمع القوي في باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله...».

ويبدو أن هذا اللون من علاقة أمير المؤمنين مع قومه انما كان في أيام حكمه، مما يطرح بين أيدينا تصوراً ناضجاً عن عظمة أمير المؤمنين (ع) وبلوغه القمة في مدارج الكمال والفضيلة، فمع أن الامام (ع) كان يحتل موقع القيادة في دنيا الناس، وبيده أزمة حياتهم الفكرية والاجتماعية، نراه كواحد من عامة الناس، وكأنَّ موقعه ليس في أعلى مركز قيادي فهو يلغي الحواجز والألقاب، ويعامل الأمة كما لو كان واحداً من عامتها بقلب حان، ونفس متواضعة، وحب صادق عميق... وهي روح لم يألفها التاريخ الانساني منذ الآماد الموغلة في القدم حتى اليوم في قيادة غير قيادة رسول الله (ص) ووصية علي (ع)...

وقد وفق الامام (ع) توفيقاً عظيماً في قيادة الواعين لأهمية قيادته في دنيا المسلمين على الأقل.

فقد كانت قيادته مبنية على الحب والاجلال معاً، فبقدر ما كان يبذل من

---

(٦٣) تذكرة الخواص ص ١٢٧ ـ ١٢٨ والامام علي بن ابي طالب ـ محمد رضا ص ١٢.
تشوقت = تزينت. أبتك: طلقتك.

دفء وده للأمة. كان أتباعه يمنحونه الكثير من الود والتعظيم...

الأمر الذي يذكرنا بسياسة رسول الله (ص) ويطرحها واقعاً حياً في دنيا الناس[٦٤]. فالتجربة واحدة في هذا المضمار وسواه، وان تغير الموقع التاريخي... ورحم الله صعصعة بن صوحان حيث يقول في وصفه للامام (ع) «كان فينا كأحدنا لين جانب، وشدة تواضع، وسهولة قياد، وكنا نهابه، مهابة الأسير المربوط للسياف الواقف على رأسه»[٦٥]. وتتجلى عظمة الامام (ع) في أخلاقه الاجتماعية من خلال المبادىء الآتية:

أولاً ـ اشاعة العدل الاجتماعي بين الناس:

جاءت الخلافة للامام (ع) في ظروف بالغة الخطورة والتعقيد، فذوو النفوذ من الناس قد ألفوا الاستئثار واستراحوا اليه، وليس يسيراً أبداً أن يذعنوا لأية محاولة اصلاحية تضر بمصالحهم الذاتية.

ثم ان المطامع قد تنبهت لدى الكثير من الرجال، بعد أن تحولت الخلافة مغنماً لا مسؤولية لحماية الشريعة والأمة، ولقد كان الامام (ع) مدركاً لحقيقة الموقف بدقائقه وخفاياه بشكل جعله يعتذر عن قبول الخلافة حين اجمعت الأمة على بيعته بعد مقتل الخليفة عثمان قائلاً: «دعوني والتمسوا غيري فانا مستقبلون أمراً له وجوه وألوان، لا تقوم له القلوب، ولا تثبت عليه العقول، وان الافاق قد أغامت والمحجة تنكرت...»[٦٦]. ولكن جماهير المدينة المنورة، وجماهير الثوار من العراق ومصر أصروا على استخلافه عليهم، فنزل الامام عند رغبتهم، ولكن وفقاً لشروطه الخاصة ـ هو: «**واعلموا**

---

(٦٤) راجع الحلقة الثالثة من محمد رسول الله (ص) فصل «علاقة الرسول بالامة».

(٦٥) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١ ص ٢٥ ط ١ ١٩٥٩ م دار احياء الكتب العربية

(٦٦) نهج البلاغة ص ١٣٦ تعليق صبحي الصالح ـ المحجة = الطريق

أني ان أجبتكم ركبت بكم ما أعلم، ولم أصغ الى قول القائل وعتب العاتب»[٦٧].

ولقد كانت أولى مهام الامام (ع) أن يجسد العدالة الاجتماعية في دنيا الناس ويمنح المنهج الاسلامي فرصة البناء والتغيير على شتى الأصعدة، فدشن (ع) خططه الاصلاحية، بالغاء السياسة المالية والاجتماعية والادارية التي كان معمولاً بها ليوفر الجو المناسب لتطبيق المخطط الاسلامي في العدالة الاجتماعية، فمن بنود خططه الاصلاحية:

أ ـ استرجاع الأموال التي تصرَّف بها بنو أمية من بيت مال المسلمين.

ب ـ واستغنى عن كثير من الولاة الذين أساؤوا التصرف، وخالفوا أمر الله تعالى، وتخطوا منهجه الأقوم الذي ارتضاه لعباده..

جـ ـ ثم بادر الى تبني سياسة المساواة في توزيع المال والحقوق، منهياً بذلك دور الطبقية والتمييز والأثرة:

«المال مال الله، يقسم بينكم بالسوية لا فضل فيه لأحد على أحد»[٦٨].

«الا لا يقولن رجال منكم غدا قد غمرتهم الدنيا فامتلكوا العقار، وفجروا الأنهار، وركبوا الخيل، واتخذوا الوصائف المرققة، اذا منعتهم ما كانوا يخوضون فيه، وأصرتهم الى حقوقهم التي يعلمون، حرمنا ابن أبي طالب حقوقنا!»[٦٩].

وقد تبنى الإمام سياسة العدل الشامل:

ـ في معاملة أفراد الامة.

ـ وفي منهج الحقوق.

ـ وفي توزيع المسؤوليات.

---

(٦٧) نفس المصدر.
تنكرت = تغيرت علائمها وأصبحت مجهولة.

(٦٨) نفس المصدر.

(٦٩) نفس المصدر.

وكان منهج الامام (ع) في العدل لا يناظره الا منهج رسول الله (ص) ان لم نقل أنه منهج الرسول (ص) بالذات.

فهلم نصغ الى منهاجه المتبنى في سياسة الأمة بالعدل من خلال حديثه (ع): «.. والله لئن أبيت على حسك السعدان مسهداً، وأجر في الأغلال مصفدا، أحب الي من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالما لبعض العباد، وغاصبا لشيء من الحطام.. والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلت، وإن دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة تقضمها. ما لعلي، ونعيم يفنى ولذة لا تبقى، نعوذ بالله من سبات العقل وقبح الزلل وبه نستعين»[٧٠].

«الذليل عندي عزيز حتى آخذ الحق له»[٧١].

«..وايم الله لأنصفن المظلوم من ظالمه، ولأقودن الظالم بخزامته حتى أورده منهل الحق وان كان كارهاً...»[٧٢].

ولم تكن هذه المبادىء التي يتحدث عنها الامام (ع) ذاته، أمنيات، وأفكاراً طرحها في دنيا المبادىء والأفكار، وانما جسدها واقعاً حياً قبل أن يطرحها فكراً...

وهي خصيصة من خصائص علي (ع) فالقول عنده يعقب العمل أو يجري من طبيعته.

ومن أجل ذلك ملأ الامام (ع) دنيا المسلمين قسطاً وعدلاً وحقق انقلاباً في واقع المسلمين على الصعيد الاجتماعي والاقتصادي والسياسي وفقاً لمقتضيات العدل الالهي فأعاد بذلك أيام رسول الله (ص) في صفائها واشراقها وعدلها الشامل...

---

(٧٠) نهج البلاغة تحقيق د. صبحي الصالح رقم النص ٢٢٤.
حسك = شوك والسعدان = نبت شائك ترعاه الابل
(٧١) روائع من نهج البلاغة ص ١٢٣
(٧٢) نهج البلاغة رقم النص ١٣٦

فحسبك أن أمير المؤمنين (ع) كان يرتدي القميص المرقوع[٧٣] ويبالغ في رقع مدرعته كلما تمزق جانب منها حتى يبلغ الأمر بالامام (ع) أن يستحي من راقعها[٧٤].

وكان يخرج الى السوق ليبيع سيفه كي يشتري بثمنه إزارا[٧٥] وهو هو في علو شأنه وعظمة مركزه الذي يحتل في دنيا المسلمين حيث تجبى اليه الأموال من أقاليم الدولة الاسلامية جميعها، وثروات الدولة تحت تصرفه...

وكان يأكل خبز الشعير بنخالته وكان غالب إدامه اللبن أو الملح والماء...

ولم يكن للامام (ع) غير قميص واحد لا يجد غيره عند غسله[٧٦].

ومع شدة زهد الامام (ع) في الدنيا، فقد كان حريصاً على توفير الرفاه الاقتصادي للامة التي اضطلع بقيادتها، فكان يقسم الذهب والفضة بين الناس، ويطعمهم اللحم والخبز[٧٧] ويعمل كل ما في وسعه لرفع غائلة الفقر عنهم...

- وكان بيت المال لا يكاد ترد اليه الأموال حتى يبادر الامام (ع) الى توزيعها على الناس، لاعطاء كل ذي حق حقه.

- وكان منهاجه في توزيع المال التزام أقصى درجات العدالة...

فها هو يخاطب الزبير وطلحة حينما كبر عليهما منهاج المساواة في العطاء: «... **فوالله ما أنا واجيري هذا الا بمنزلة واحدة**»[٧٨].

وها هو سهل بن حنيف يخاطبه: «يا أمير المؤمنين قد أعتقت هذا الغلام، فأعطاه ثلاثة دنانير مثل ما أعطى سهل بن حنيف»[٧٩].

ويأتيه عاصم بن ميثم - وكان الامام (ع) يقسم أموالاً فقال:

(٧٣ و ٧٤) تذكرة الخواص ص ١٢٥.

(٧٥) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٠٠.

(٧٦) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب المازندراني ج ٢ ص ٩٧.

(٧٧) من حديث للامام الصادق (ع) البحار ج ٤٠ ص ٣٣٠.

(٧٨ و ٧٩) مناقب ابن شهر آشوب ج ١ ص ٣٧٨.

ـ يا أمير المؤمنين اني شيخ مثقل.

فقال الامام (ع):

والله ما هي بكد يدي ولا بتراثي عن والدي، ولكنها أمانة أوعيتها[٨٠].

وجاءه عبد الله بن زمعة ـ وهو من شيعته ـ يطلب منه مالا فقال له الامام (ع):

ـ ان هذا المال ليس لي ولا لك، وانما هو فيء للمسلمين وجلب أسيافهم، فان شركتهم في حربهم كان لك مثل حظهم، والا فجناة أيديهم لا تكون لغير أفواههم[٨١].

ويدخل عليه عمرو بن العاص ليلة وهو في بيت المال يتولى بعض شؤون المسلمين، فأطفأ الامام (ع) السراج وجلس في ضوء القمر[٨٢] فالسراج ملك الأمة، فلا يصح أن يستضيء به ابن العاص، وهو في زيارة خاصة للامام (ع)!

حرص فريد على أموال الأمة، وسهر دائم على مصلحتها وعمل دائب من أجل اسعادها وهدايتها واصلاح شأنها.

على أن تعاهد أمر الأمة من لدن علي (ع) ليس محصوراً في اطار المال وتوزيعه وانما يمتد لكي يشعر الانسان بكرامته ويعيد وعيه بحقه في الحياة الحرة الكريمة، ويعلمه أن يتمرد على الظلم والكبت وسلب الارادة:

ـ «لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرا».

ـ «أنه لا ينبغي أن يكون الوالي على الفروج والدماء والمغانم والاحكام وامامة المسلمين البخيل، فتكون في أموالهم نهمته، ولا الجاهل فيضلهم بجهله ولا الجافي فيقطعهم بجفائه، ولا الحائف للدول، فيتخذ قوما دون قوم، ولا المرتشي في الحكم، فيذهب بالحقوق، ويقف بها دون المقاطع،

---

(٨٠) نفس المصدر ص ٣٧٧.

(٨١) البحار ج ٤١ ص ١١٥ ونهج البلاغة رقم النص ٢٣٢.

(٨٢) مناقب ابن شهر اشوب ج ١ ص ٣٧٧

ولا المعطل للسنة فيهلك الأمة»[٨٣].

- «فلا تكلموني بما تكلم به الجبابرة، ولا تتحفظوا مني بما يتحفظ به عند أهل البادرة، ولا تخالطوني بالمصانعة، ولا تظنوا بي استثقالا في حق قيل لي، فانه من استثقل الحق أن يقال له أو العدل أن يعرض عليه كان العمل بهما أثقل عليه! فلا تكفوا عن مقالة بحق أو مشورة بعدل»[٨٤].

وتمتد ظلال العدالة في عهد أمير المؤمنين (ع) فيرعى أسواقهم من ناحية المكاييل والمعروض من السلع وطبيعة المعاملات فيها، فيخرج كل يوم يتفقد أسواق المسلمين بنفسه فيرشد الضال، ويهدي المقصر إلى طريق الحق، ويأمر بكل معروف، وينهى عن كل المنكر...[٨٥].

ولشدة حرص الامام (ع) على تطبيق العدالة الاسلامية بأروع صورها في دنيا الناس، وعلى شتى الأصعدة أنه وجد درعه عند رجل نصراني، فوقف معه أمام القاضي ليقاضيه في الأمر.

فقال الامام (ع): انها درعي، ولم أبع، ولم أهب.

فسأل القاضي الرجل النصراني: ما تقول فيما يقول أمير المؤمنين؟

قال الرجل: ما الدرع الا درعي وما أمير المؤمنين عندي بكاذب.

فالتفت القاضي للامام (ع): طالباً بينة تشهد أن له الدرع.

فضحك الامام (ع) معلناً أنه لا يملك بينة من ذلك النوع. فقضى القاضي بأن الدرع للنصراني، فأخذها ومضى، والامام ينظر اليه.

الا أن الرجل عاد وهو يقول: أما أنا فأشهد أن هذه أحكام أنبياء، أمير المؤمنين يدينني الى قاض يقضي عليه..

- الدرع - والله - درعك يا أمير المؤمنين، وقد كنت كاذباً فيما ادعيت[٨٦].

---

(٨٣) نهج البلاغة رقم النص ١٣١.

(٨٤) نهج البلاغة رقم النص ٢١٦. البادرة = الغضب

(٨٥) راجع الخراج ٤١ ص ١٠٤ للاطلاع على منهجه في مراقبة حالة السوق

(٨٦) علي وحقوق الانسان - جورج جرداق ط بيروت ١٩٧٠ ص ٨٧.

وحصيلة الأمر أن يعلن الرجل اسلامه ويخلص في الوقوف تحت راية الامام (ع) مؤمناً مجاهداً ذائداً عن رسالة الهدى..

وبقدر ما كان الامام (ع) حريصاً على تجسيد روح العدالة التي صدع بها رسول الله (ص) لاخراج الانسان من ظلام الظلم والقهر والكبت، كان حريصاً كذلك على الزام ولاته وقضاته وقادة جيوشه، وجباة الأموال بالتزام العدل في معاملة الناس، وتحري الحق في الحكم والقضاء واعطاء الحقوق، وفي جمع المال حتى في حالات الحرب وسواها...

وصاياه للولاة:

وهذه بعض وصاياه في هذا المضمار:

«سع الناس بوجهك ومجلسك وحكمك، واياك والغضب فانه طيرة من الشيطان، واعلم أن ما قربك من الله يباعدك من النار، وما باعدك من الله يقربك من النار»[٨٧].

«أنصف الله، وانصف الناس من نفسك، ومن خاصة أهلك، ومن لك فيه هوى من رعيتك، فانك الا تفعل تظلم، ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده...»[٨٨].

ومن توجيهاته (ع) لجباة الأموال:

«... انطلق على تقوى الله وحده لا شريك له، ولا تروعن مسلما، ولا تجتازنّ عليه كارها، ولا تأخذن منه أكثر من حق الله في ماله، فإذا قدمت على الحي فانزل بمائهم من غير أن تخالط أبياتهم، ثم امضِ - بالسكينة والوقار حتى تقوم بينهم، فتسلم عليهم، ولا تخدج بالتحية لهم، ثم تقول: عباد الله، أرسلني اليكم ولي الله، وخليفته لآخذ منكم حق الله في

---

(٨٧) وصيته لعبد الله بن عباس حين ولاه البصرة رقم النص ٧٦/ نهج البلاغة

(٨٨) نفس المصدر - عهد الامام (ع) لمالك الأشتر حين ولاه مصر

طيرة = حدة وطيش

أموالكم، فهل لله في أموالكم من حق فتؤدوه الى وليه...»[٨٩].

«اياك أن تضرب مسلماً أو يهودياً أو نصرانياً في درهم خراج، أو تبيع دابة عمل في درهم، فانما أمرنا أن نأخذ منهم العفو»[٩٠].

ومن تعليماته لجيوشه:

ولقد كان (ع) يوصي جنوده في حالات الحرب **بألا يبدأوا بقتال العدو، حتى يبدأهم بالحرب، ولا يقتلوا من ولّى دبره عن قتالهم، ولا يقتلوا الجريح، ومن عجز عن حماية نفسه أثناء الحرب، ولا يؤذوا النساء بشيء حتى وان بدأن بسب أو شتم**[٩١].

ونحو ذلك من وصاياه (ع).

أرأيت عدلا رفيعا كهذا العدل؟

بل هل حدثك التاريخ الانساني عن رجل يحب الخير حتى لخصومه الذين ناصبوه العداء؟

انه علي (ع) صاحب القلب الكبير، الذي شمل الناس بحب غامر، فبسط لهم العدل في حياتهم، وأشعرهم بحقيقة الكرامة الانسانية ووفر لهم غطاء من الأمن والاستقرار في جو الشعور بالمساواة والحياة الحرة الكريمة.

ثانياً ـ تواضع الامام:

خلق التواضع في معاملة الناس، بقدر ما يكون عبادة اسلامية يندب الشرع الالهي اليها، كذلك يعبر عن احدى صيغ التعامل الفاضل بين أبناء الأمة، فهو من وسائل توحيد الكلمة وجمع الشمل، واشاعة المودة والغاء التفاوت الطبقي.

ولقد كان الامام علي (ع) مثلا أعلى في تواضعه كما كان

---

(٨٩) نهج البلاغة رقم النص ٢٥ باب الرسائل ـ لا تخدج بالتحية = لا تبخل بها عليهم.

(٩٠) من وصيته لصاحب الخراج على القادسية وسواد الكوفة أنظر بحار الأنوار ج ٤١ ص ١٢٨ والعفو = الفاضل عن النفقة.

(٩١) راجع نهج البلاغة رقم النص ١٤ باب الرسائل وغيره.

رسول الله (ص) من قبل.

وسيرته العطرة تطرح المزيد من الشواهد على ذلك الخلق الاسلامي الرفيع:

فعن الامام الصادق (ع) يقول: «**كان أمير المؤمنين يحطب ويستقي ويكنس، وكانت فاطمة تطحن وتعجن وتخبز**»[٩٢].

وكان الامام (ع) يشتري حاجته وحاجة اسرته الكريمة من السوق بنفسه، ويحملها بيده، وهو أمير المؤمنين، الذي يحظى باحتلال أرفع مركز في حياة المسلمين، ولقد كان الناس يسرعون اليه لحمل أشيائه حين يرون ذلك منه، ولكنه يأبى عليهم ويقول: رب **العيال أحق بحمله**[٩٣].

وكان (ع) يسير في الأسواق وحده، لا يصحبه حشم ولا خدم، ولا جند، فيرشد الضال، ويعين الضعيف، ويمر بالبقالين والتجار ويأمرهم بالتواضع وحسن المعاملة ويتلو عليهم قوله تعالى: ﴿**تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين**»[٩٤].

(القصص/٨٣)

ومن عظيم تواضعه (ع) أنه خرج يوماً على أصحابه، وهو راكب، فمشوا خلفه، فالتفت اليهم فقال:

ـ ألكم حاجة؟ قالوا:

ـ لا يا أمير المؤمنين، ولكنا نحب أن نمشي معك.

فقال لهم:

ـ «**انصرفوا فان مشي الماشي مع الراكب مفسدة للراكب ومذلة للماشي**»[٩٥].

وقد استقبله زعماء الأنصار وترجّلوا وأسندوا بين يديه فقال (ع):

---

(٩٢) مناقب ابن أبي طالب لابن شهر آشوب ج ١ ص ٣٧٢

(٩٣) نفس المصدر نقلاً عن فضائل ابن حنبل

(٩٤) المناقب ص ٣٧٢ وبحار الأنوار ج ٤١ ص ٤٠

(٩٥) البحار ص ٤٠ عن المحاسن والكافي عن الصادق (ع).

ـ ما هذا الذي صنعتموه؟ قالوا:

ـ خلق منا نعظم به امراءنا.

فقال (ع):

ـ «والله ما ينتفع بهذا امراؤكم، وانكم لتَشْقُونَ به على أنفسكم، وتَشْقَون به في آخرتكم، وما أخسر المشقة وراءها العقاب، وما أربح الراحة معها الأمان من النار»[٩٦].

ومن تواضعه الجم أكله خبز الشعير واللبن، ولبسه أبسط أنواع اللباس، وترقيعه لثوبه البالي، وبساطته في مسكنه[٩٧]، ووقوفه بين يدي القاضي مع رجل من عامة الشعب الذي يضطلع الامام (ع) بقيادته[٩٨].

ومن أدبه الكامل تسليمه على النساء[٩٩] من قومه، ومشيه مع المرأة لقضاء شأن من شؤونها حتى وان جلب له الأمر مشقة، فعن الامام الباقر (ع) قال:

«رجع الامام (ع) الى داره في وقت القيظ، فإذا امرأة قائمة تقول:

ـ ان زوجي ظلمني، وأخافني، وتعدى عليَّ..

فقال الامام:

ـ يا أمة الله اصبري حتى يبرد النهار ثم أذهب معك ان شاء الله،

فقالت:

ـ يشتد غضبه عليَّ.

فطأطأ الامام (ع) رأسه ثم رفعه وهو يقول:

ـ لا والله أو يؤخذ للمظلوم حقه غير متعتع! أين منزلك؟

ووقف الامام (ع) على باب المنزل فقال:

ـ السلام عليكم، فخرج شاب.

---

(٩٦) مناقب ابن شهر آشوب ج ١ ص ٣٧٢. والبحار ج ٤١ ص ٥٥.

(٩٧) للتفاصيل راجع الحلقة الثانية من هذه الدراسة وبعضاً من فصول هذه الحلقة: كزهد الامام (ع) واقرار العدل.

(٩٨) بحار الأنوار ج ٤١ ص ٥٦ وعلي وحقوق الانسان ـ جرداق ص ٨٧.

(٩٩) الكافي ج ٥ باب التسليم على النساء حديث رقم ٣.

فقال له الامام (ع):

ـ يا عبد الله اتق الله، فانك قد أخفتها وأخرجتها!

فقال الفتى: وما أنت وذاك؟ فقال أمير المؤمنين:

ـ آمرك بالمعروف، وانهاك عن المنكر تستقبلني بالمنكر وتنكر المعروف؟

فأقبل الناس يلقون التحية على الامام (ع):

ـ سلام عليكم يا أمير المؤمنين!

فأسف الشاب على ما كان منه وهو يقول:

ـ يا أمير المؤمنين أقلني عثرتي، فوالله لأكونَنَّ لها أرضاً تطؤني.

فالتفت الامام الى المرأة قائلاً:

ـ يا أمة الله ادخلي منزلك ولا تلجئي زوجك الى مثل هذا وشبهه»[١٠٠].

وكان الامام (ع) قريباً سهلاً هيناً يلقى أبعد الناس وأقربهم بلا تصنع ولا تكلف، ولم يُحطْ نفسه بالألقاب ولا زخرفة الملك، بل كان يتعامل مع الأمة كفرد منها، يعايش مشاكل الضعفاء، ويحب المساكين، ويتودد للفقراء، ويعظّم أهل التقوى من الناس.

ولقد كان من شواهد رفقه بالامة وتواضعه في المعاملة وسهولته، ومرونته: مقابلته لمن يلقاه بالبشر وطلاقة المحيا والابتسامة الحلوة وبشر الوجه، الغاء منه للحواجز والرسميات بين القيادة والامة، وانهاء لدور الزخرفة والألقاب التي يحيط بها الأمراء والقادة أنفسهم عبر تعاملهم مع الناس.

ولاشتهاره بتلك الروح الاجتماعية السمحة بين عامة الناس حاول اعداؤه أن يشوهوا تلك الميزة في الامام (ع) ويحولوها الى عيب ينبزونه فيه امعاناً منهم في تشويه واقع خطه وسياسته وجميل صفاته الشخصية والاجتماعية.

فعمرو بن العاص يحدث أهل الشام عن علي (ع) فيقول: انه ذو دعابة شديدة محاولاً الانتقاص من شأن الامام (ع) والامعان في تغطية فضائله،

---

(١٠٠) مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ٣٧٤

والعمل على كل ما من شأنه تضليل الناس هناك لكي يحال بينهم وبين التطلع لواقع الامام (ع) وحقيقته.

حتى أن الامام (ع) حين بلغه افتراء ابن العاص قال:

«عجبا لابن النابغة يزعم لأهل الشام أن فيَّ دعابة واني امرؤ تلعابة»[١٠١].

ولقد كان معاوية بن أبي سفيان يشيع ما يشيعه ابن العاص كذلك في مناسبة وأخرى.

وما يضير أمير المؤمنين (ع) اذا عابه معاوية وابن العاص، فلقد كان عليه السلام يقتفي أثر رسول الله (ص) في سماحة أخلاقه وطلاقة محياه سواء بسواء.

وكان (ع) يعمل على الالتصاق بالناس للتعرف على ما يعانون حتى أنه كان يمشي في الأسواق ويتابع الحركة التجارية من ناحية الوزن والأسعار ونوعية المعروض من السلع ـ كما ألمحنا اليه قبل قليل.

وكان الامام (ع) حريصاً على متابعة تصرفات الولاة في البلدان، والقادة وجباة الأموال، ويأمرهم بالرفق والتواضع في معاملة الناس.

وما أروع روح التواضع عند علي (ع) كما يصفها ضرار بن ضمرة في حديثه لمعاوية ـ الذي افتتحنا به هذا الفصل ـ: «يعجبه من اللباس ما خشن، ومن الطعام ما جشب... كان والله كأحدنا يجيبنا اذا سألناه، ويبتدئنا اذا أتيناه، ويأتينا اذا دعوناه... يعظم أهل الدين، ويحب المساكين»[١٠٢].

ثالثاً ـ حلم الامام:

ولقد كان الامام (ع) قمة في حلمه وعفوه عمن يسيء الأدب معه، فهو لا يعرف الغضب الا حين تنتهك للحق حرمته أو تتعدى حدود الله تعالى، أو يعتدى على حقوق الأمة وتضر مصلحتها.

---

(١٠١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١ ص ٢٥. تلعابة = كثير المرح واللعب.
(١٠٢) مناقب ابن شهر آشوب ج ١ ص ٣٨١.

وخلق الامام (ع) في الحلم والصفح عن المسيء ظل هو هو لم يتغير، فعلي (ع) في صفحه وحلمه قبل خلافته، كعلي في صفحه وعفوه أيام قيادته المباشرة للأمة، على أن عظمة الامام (ع) تزداد قوة وجلاء حين يظل يصفح ويمعن في عفوه حتى عن أشد خصومه في وقت يمتلك القدرة على العقاب والارهاب والقتل.

فهو في أيام خلافته في مركز يؤهله أن يقتص من خصومه، فهو رئيس الدولة، والمطاع الأول بين أتباعه غير أنه مع هذا وذاك ظل يحمل نفس الروح من العفو والتجاوز كما كان رسول الله (ص) قبله سواء بسواء.

وهذه نماذج من عفوه:

ـ أسر مالك الأشتر (رض) مروان بن الحكم يوم الجمل فلما مثل مروان بين يدي الامام (ع) لم يستقبله بسوء قط، وانما عاتبه على موقفه الخياني اللئيم فحسب[103] ثم أطلق سراحه ومروان هو هو في حقده على الإسلام والإمام (ع)، وهو هو في دسائسه ومكره، ودوره الخبيث في تأجيج الفتن في وجه الامام (ع) أشهر من أن نذكره، فهو الذي عارض البيعة للامام (ع) وهرب من المدينة المنورة بعد البيعة مباشرة، وهو الذي ساهم في فتنة البصرة، والهب الناكثين وأغراهم بالتعجيل بها... الى غير ذلك من مواقفه الخسيسة.

ـ ولقد عفا الإمام (ع) كذلك عن عبد الله بن الزبير[104] بعد أسره يوم الجمل، وعبد الله بن الزبير هو الذي كان يقود الفتنة في حرب الجمل.

ـ وجيء بموسى بن طلحة بن عبيد الله، وكان طرفاً في فتنة الجمل فلما وقف بين يدي الامام (ع) خلى سبيله، ولم يعنفه عن دوره في الفتنة، وانما طلب منه أن يستغفر الله ويتوب اليه ثم قال:

(اذهب حيث شئت، وما وجدت لك في عسكرنا من سلاح أو كراع فخذه، واتق الله فيما تستقبله من أمرك واجلس في بيتك)[105].

---

(١٠٣) نفس المصدر ج ١ ص ٣٨ ونهج البلاغة نفس ٧٣

(١٠٤) شرح نهج البلاغة ج ١ ص ٢٢.

(١٠٥) بحار الأنوار ج ٤١ ص ٥٠ نقلاً عن النهاية. الكراع = جمع الخيل.

ومن عظيم عفوه ما رواه الامام الباقر (ع) قال: «**كان علي (ع) اذا أخذ أسيراً في حروب الشام أخذ سلاحه ودابته واستحلفه أن لا يعين عليه**»[١٠٦].

أرأيت موقفاً انسانياً كهذا الموقف؟

لقد كان الامام (ع) مدركاً أن الذين يقاتلونه من أهل الشام انما يقاتلونه وهم عن حقيقته غافلون، فقد أغراهم معاوية بالمال، وسد عليهم منافذ التفكير والوعي على الحقائق بما استخدمه من وعاظ سوء وواضعي حديث ممن باعوا ضمائرهم للانحراف صوب الجاهلية.

وبناء على هذا الوعي العلوي لحقيقة مقاتليه ممن أغراهم معاوية وغرر بهم، فقد سبق حلم الامام (ع) عدله في معاملتهم فلم يعاقب من اتخذ منهم أسيراً، وانما يجرده من أداة الشر، ويضعه أمام الله والضمير كي لا يعود لقتال معسكر الحق الذي يقوده الامام (ع).

ويذكرنا هذا الموقف الكريم بموقف معاوية وعمرو بن العاص اللذين كانا يصران على قتل الأشراف من جيش الامام (ع)، بيد أنهما خشيا الفضيحة اذا أقدما على ذلك بعد أن خلى الامام (ع) عن اسراهم ابتداء فعدل معاوية وصاحبه عن موقفهما لا لطيب خلق منهما، وانما خشية نقمة الرأي العام الاسلامي[١٠٧].

ولِمَ نذهب بعيداً وتلك معركة صفين تحمل أحداثها الكثير الكثير من مواقف الصفح العلوي... فحين سبق جيش معاوية الى ماء الفرات أصر على منع الماء عن جيش علي (ع)... فأوفد الامام (ع) لمعاوية وفدا كي يغير موقفه. ولكنه مضى في اصراره وموقفه اللاأخلاقي...

فاضطر الامام (ع) لتحريك قوة من جيشه لفك الحصار. وكانت النتيجة أن سيطر جيش الامام (ع) على الماء... ولكن علياً حمله حلمه الرفيع وكرم نفسه على بذل الماء لخصمه قائلاً لجنوده:

---

(١٠٦) مناقب ابن شهر آشوب ج ١ ص ٣٨١ عن ابن بطة والسجستاني.

(١٠٧) الامام علي بن أبي طالب ـ محمد رضا ص ٢٢٣.

«خذوا من الماء حاجتكم وارجعوا الى عسكركم. وخلوا عنهم فان الله عز وجل قد نصركم عليهم بظلمهم وبغيهم»[١٠٨].

ولقد كان مقدراً للامام (ع) أن يذيقهم الهزيمة الشاملة لو أنه منعهم الماء، وحال بينهم وبينه، ولكنها الأخلاق الالهية التي يتمسك بها ويجسدها حية في دنيا الناس تأبى عليه ذلك اللون من المواقف... حتى يقع التمييز بين منهج الهدى والصراط المستقيم في الفكر والعمل والذي يمثله علي (ع) وبين سبيل الانحراف والالتواء واللاأخلاق التي يجسدها معاوية بن أبي سفيان...

ولنا أن نعرض شواهد من حلم الامام (ع) وعظيم صفحه في حياته الخاصة كذلك:

ـ «دعا الامام (ع) غلاماً له مراراً فلم يجبه، فخرج فوجده على باب البيت فقال:

ما حملك على ترك اجابتي؟ قال:

ـ كسلت عن اجابتك، وأمنت عقوبتك. فقال (ع):[١٠٩]

الحمدلله الذي جعلني ممن يؤمن خلقه، امضِ فأنت حر لوجه الله».

ـ وقد خاطبه رجل من الخوارج بقوله: «... قاتله الله كافرا ما افقهه!».

فوثب أصحاب الامام (ع) ليقتلوه.. فقال الامام (ع):

رويداً انما هو سب بسب أو عفو عن ذنب[١١٠].

وهكذا شمل الرجل بعفوه، وحال بين القوم وبين معاقبته.

هذا وفي سيرة الامام (ع) الكثير من مثل هذه المواقف التي تعبر عن خلق الهي كريم أطرّت به شخصية علي (ع)، على أننا لو غضضنا الطرف عن

---

(١٠٨) نفس المصدر ص ١٧٣.

(١٠٩) مناقب ابن شهر آشوب ج ١ ص ٣٧٩.

(١١٠) نفس المصدر ص ٢٨٠ وبحار الأنوار ج ٤١ ص ٤٩

مواقف الحلم كافة التي اصطبغت بها حياة علي (ع) بالنسبة الى المسيئين له أو أعدائه لكان في موقف الامام (ع) من قاتله ابن ملجم المرادي أعظم شاهد على تمتع الامام (ع) بنمط من الأخلاق السامية لم يتمتع بها سوى الأنبياء والمقربين الىٰ الله، فهل أنبأك التاريخ عن انسان عامل عدوه بنفس الروح التي عامل بها علي (ع) قاتله، لقد شدد الامام (ع) على أهل بيته أن يطعموا قاتله ويسقوه ويحسنوا اليه فعن الامام الباقر (ع) وهو بصدد ذكر احدى وصايا الامام أمير المؤمنين (ع) في آخر حياته يقول:

«**ان علي بن أبي طالب عليه السلام... قال للحسن والحسين (ع): احبسوا هذا الأسير** - يعني ابن ملجم المرادي - **وأطعموه واسقوه، وأحسنوا اساره فان عشت فأنا أولى بما صنع فيَّ، ان شئت استقدت وان شئت صالحت، وان مت فذلك اليكم، فان بدا لكم أن تقتلوه فلا تمثّلوا به**»[111].

رابعاً - التوّرع عَن البَغي:

والتورع عن البغي أصل من أصول نفسية الامام (ع) وخلق من أخلاقه الكريمة، وهو مظهر من مظاهر التقوى التي يمتاز بها، فهو يتحاشى البغي حتى على أشد الناس خصومة له وللحق الذي هو عليه، وحتى اذا بغي عليه يبقى مصراً على التزام خطه في النأي عما له صلة بأي لون من ألوان البغي...

ومن أجل ذلك كان الامام (ع) داعية السلم الأكبر، مع كثرة الشغب والفتن التي أثارها التفعيون والوصوليون في طريق مسيرته الاصلاحية:

- بذل كل ما في وسعه أن يجنب الامة المسلمة سفك الدماء وتمزق الصف، حين ألح على الزبير وطلحة أن يعدلوا عن موقفهم، سواء من خلال المراسلة، أم الوفود أم اللقاءات الشخصية المباشرة مع الزبير وطلحة[112].

ولقد بلغ الأمر بالامام (ع) حين التقى الجيشان في البصرة أن يدعو

---

(١١١) بحار الأنوار ج ٤١ ص ٢٠٦ باب ١٢٧.

(١١٢) تذكرة الخواص ص ٧٦.

الزبير فيخرج الامام (ع) بلا سلاح، ويعانقه طويلاً! وربما بكى علي (ع) في ذلك الموقف، ثم عاتب الزبير على خروجه لقتاله، وذكّره بعلائق المودّة القديمة بينهما كما ذكره بقول رسول الله (ص) فيهما: «**أنشدك الله يا زبير أما تذكر، قال لك رسول الله (ص) يا زبير أتحب عليا، فقلت: وما يمنعني من حبه، وهو ابن خالي؟**

فقال (ص): أما أنك ستخرج عليه وأنت له ظالم.

فقال الزبير: اللهم بلى، قد كان ذلك»[113].

وحين افلت الزمام وأصر الناكثون على اشعال نار الحرب بقي الامام (ع) عند موقفه الرافض للبغي والعدوان، فلنصغ اليه وهو يخاطب جنوده: «**أيها الناس أنشدكم الله أن لا تقتلوا مدبرا، ولا تجهزوا على جريح، ولا تستحلوا سبيا ولا تأخذوا سلاحا، ولا متاعا**»[114].

وحتى بعد انتهاء المعركة بقي الامام (ع) عند موقفه النائي عن العدوان فأعلن العفو العام عن جميع المشتركين في حربه: القيادات والقواعد على حد سواء[115].

ـ وذاك الخلق العلوي تجلى في حوادث صفين من بدايتها الى نهايتها: بقطع البغاة عنه طريق الوصول الى الماء وهو في حيويته لجيش مقاتل كبير مثل جيشه فلا يبادر لاستعمال العنف، بل يرسل الوفود، ويبذل المحاولات لتغيير الموقف بالتي هي أحسن.. لكي لا تراق للمسلمين دماء... ولكن البغي الأموي الحاقد الذي يجسده قولهم: «ولا قطرة حتى تموت ظمأ»[116] حمله على اصدار أوامره لقواته بالتحرك لكسر الحصار وهكذا كان... وحين امتلك الماء أباحه لجيش عدوه منذ الساعة الأولى من سيطرة قواته عليه.

---

(١١٣) الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص ٦١ وفي تذكرة الخواص رواية مشابهة وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢ ص ١٧٦ مثلها.

(١١٤) الفصول المهمة ص ٦٢ وتذكرة الخواص أيضا

(١١٥) راجع الحلقة الثانية من هذه الدراسة

(١١٦) بحار الأنوار ج ٤١ ص ١٤٥ وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٣

- ومع أصحاب النهروان بذل الامام (ع) كل مسعى لأجل ابعاد الناس عن القتال، ولكن اصرارهم على قتال الامام (ع) حال دون بلوغهم الصراط المستقيم فعاثوا في الأرض فسادا وقتلوا نفوساً بريئة، وأثاروا البلبلة في البلاد مما اضطر عليا (ع) الى قتالهم، ولكن بعد محاولات عديدة منه أيضاً لجمع الصف، ودعوات مستمرة لاقرار السلم والقاء السيف[١١٧].

وفي وصايا الامام (ع) لجيوشه وجباة المال والولاة مؤشرات أخرى على التزام علي (ع) لمنهاج اللابغي واللاعدوان على أحد كائناً من كان مما ذكرنا منه طرفا في الصفحات الماضية في هذا البحث.

- وما أعظم علياً أمير المؤمنين (ع) وهو ينص في عهده لمالك الأشتر على وجوب التزام الرفق بالناس، وعدم التعامل بأي لون من ألوان البغي والتعالي على الناس، وغمط حقوقهم المفروضة في شرع الله العظيم: «... **واشعر قلبك الرحمة للرعية، واللطف بهم، ولا تكونن عليهم سبعا ضاريا تغتنم أكلهم، فانهم صنفان: إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق... فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب وترضى أن يعطيك الله من عفوه وصفحه...**

أنصف الله، وأنصف الناس من نفسك، ومن خاصة أهلك، ومن لك هوى فيه من رعيتك، فانك الا تفعل تظلم، ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده، ومن خاصمه الله أدحض حجته، وكان لله حرباً حتى ينزع. أو يتوب»[١١٨].

ولم يكن منهاج علي (ع) هذا خاصاً بأهل مصر، وانما هو منهاجه الشامل لكل البلاد التي رفرفت راية دولته الكريمة عليها.

- ولقد كان الامام (ع) يعهد الى ولاته في الأمصار مثل الذي عهده الى

---

(١١٧) راجع الحلقة الثانية من هذا الكتاب.

(١١٨) عهد الامام (ع) الى مالك الأشتر حين ولاه مصر - نهج البلاغة رقم النص ٥٣ ص ٤٢٦.

مالك (رض) في وجوب اشاعة العدل، والرفق بالناس، وعدم البغي عليهم بحال من الأحوال أو معاملتهم بأي لون من ألوان الظلم...

ولقد ذكرنا بعضاً من وصاياه للولاة فيما مضى من حديث.

خامساً ـ شواهد من صَبر الامام:

وقوة الارادة والروح العالية في مواجهة مصاعب الحياة ركن أساسي في شخصية علي (ع) وقد لا نغالي اذا اعتبرناها قاعدة للكثير من مواقف الامام (ع) في حياته العملية، مما ذكرناه أو مما لم نذكره، فشدة تعلقه بالله وكثرة عبادته، وتورعه عن البغي وزهده في الحياة الدنيا، وصفحه عمن يسيء اليه وغيرها مؤشرات ضخمة على تسلح الامام (ع) بصبر لا يعرف الهزيمة ولا النكوص عن القصد بشكل جعل الامام (ع) وكأنه الصبر صار انسانا.

ومع أن تلك المواقف والممارسات تمنح الدليل تلو الدليل على حجم الصبر الذي يتمتع به الامام (ع) فانه من المناسب أن نذكر الى جانب ذلك مواقف وأحداثاً جرت في حياة علي (ع) وقد واجهها بالصبر ورباطة الجأش التي لا نظير لها نذكر منها:

١ ـ فحين أجمعت قريش في دار الندوة على قتل المصطفى (ص) من خلال عملية جماعية ينولاها من كل قبيلة شاب قوي ليذهب دم الرسول (ص) هدراً بزعمهم دون أن تستطيع بنو هاشم ـ عشيرة النبي ـ أن تطالب بدمه...

حين أجمع رؤوس الشرك على تدبير ذلك الجرم، أنبأ الله تعالى رسوله (ص) بأمرهم:

﴿وإذْ يَمْكُرُ بكَ الَّذينَ كَفَروا ليُثْبِتُوكَ أوْ يَقْتُلُوكَ أوْ يُخرِجوكَ ويَمْكُرونَ ويَمْكُرُ اللهُ واللهُ خَيْرُ الماكِرين﴾.

(الانفال/ ٣٠)

وأمره تعالى بوجوب الهجرة الى دار الاسلام «يثرب» فخرج (ص) مهاجراً بعد أن ترك علياً (ع) في فراشه ملتحفاً ببردته فقضى الامام (ع) ليلته في فراش رسول الله (ص) دون أن يكترث بما حوله من مكر مبيت. فلقد كان

محتملاً أن ينقض أولئك الأوغاد على الامام (ع) بسيوفهم دون رحمة، مدفوعين بالحقد الجاهلي الأسود البليد، دونما أقل اكتراث، ظناً منهم أنه الرسول (ص)، والامام (ع) كان يتوقع ذلك منهم، ولكن ارادة علي ورباطة جأشه المعروفة المستمدة من الثقة المطلقة بالله والايمان الكامل بقدره وقضائه تعالى وقوة صبر الامام (ع) على مواجهة المصاعب والأحداث قد حملته على أن يسخر بما يبيتون، حتى اذا طلع الصباح هجم القوم على حجرة الرسول (ص) وعلي (ع) فيها، وهم يظنون أنه رسول الله (ص)... فواجههم الامام (ع) بصلابة ارادته المعهودة:

ما شأنكم؟ قالوا:

أين محمد؟ قال:

أجعلتموني عليه رقيبا؟ ألستم قلتم نخرجه من بلادنا، فقد خرج عنكم!!

هكذا يخاطب الامام (ع) المتآمرين بمنتهى الصبر والاباء والصرامة ساخراً بأولئك الأوباش.

انه موقف شجاع تتصاغر أمامه ارادة الأبطال من الرجال!

وبتلك الارادة بقي الامام (ع) في مكة بعد هجرة رسول الله (ص) يواجه مسؤولياته في تنفيذ وصايا الرسول (ص) واداء المهمات المناطة به كافة.

٢ - وفي يوم هجرته خرج الامام (ع) جهارا يقود قافلة المهاجرات من أهل البيت: فاطمة الزهراء، وفاطمة بنت أسد وسواهما، فجرت محاولة من المشركين للحيلولة دون هجرته، ولكن ارادة علي (ع) وقوة تحمله للعقبات أفشلت المحاولة، فلم يعبأ بالفرسان الثمانية الذين أرسلوا لاعتراض سبيله، فواجههم بسيفه، وأهوى به على قائدهم بضربة قاضية، تحول الرجل بعدها الى جثة هامدة يخور بدمه في تلك الفلاة من الأرض، ففر الباقون مخلفين قائدهم المضرج في الميدان[١١٩].

---

(١١٩) الامام علي رجل الاسلام المجلد - عبد المجيد لطفي ص ٥٣ وأعيان الشيعة ج ٣ ق ١ ص ١٥٦ - ص ١٥٧.

٣ ـ وفي دار الهجرة واجه الامام (ع) مسؤولياته العظيمة كجندي من جنود الرسالة في الرعيل الأول، فأبدى (ع) من قوة الارادة ومضاء العزيمة والقدرة على مواجهة المصاعب ما يعد مفخرة يعتز بها انسان الاسلام بامتداد وجوده التاريخي، فالامام (ع) عبر المعارك الهجومية والدفاعية ـ التي خاضها رسول الله (ص) من أجل نشر الرسالة الالهية أو حماية وجودها العملي في حياة الناس ـ كان قطب رحاها الخائض المقدام لغمراتها الذي لا تأخذه في الله لومة لائم من أجل اخماد طغيان الشرك والمشركين واعداء الرسالة المتربصين كافة، فما من حرب تسعر وما من معركة تدور رحاها إلا دعي علي (ع) لاخماد فتنها وتكيس رايات الجاهلية فيها: في بدر، وأحد والأحزاب، وحنين، وخيبر... و... و...

وفي كثير من المواقف يسود الهلع في معسكر المسلمين، ويستبد الوهن والكوص عن مواجهة العدو، فيعيد سيف علي (ع) الثقة للنفوس ويجدد في معسكر الايمان روح القدرة على المواجهة وصد العدوان...

الأمر الذي يكتنف عما يتمتع به الامام (ع) من نفس كبيرة تعلو على كل وهن، وتسمو من كل ضعف، وترتفع فوق كل ذلة وهوان... انها قوة الارادة... ومضاء العزيمة وشدة الصبر على المكاره مقرونة باليقين العميق بالله تعالى، والاستمداد منه والتوكل عليه دون سواه.

٤ ـ وقد تولى الإمام (ع) الخلافة في ظروف صعبة دقيقة على مضض ـ وبعد محاولات عديدة من الرفض لها من قبله[١٢٠] ـ وما أن عقدت له البيعة حتى نكث قوم وقسط اخرون، ومرق غيرهم. كل ذلك من أجل أن يحال بين الامام (ع) وبين استئناف المسيرة الإسلامية التي بدأها رسول الله (ص).

ولقد تحمل أمير المؤمنين (ع) ما تحمل من الالام والمشقات في سبيل اخماد الفتن السوداء التي أثارها أصحاب المنافع الشخصية وأصحاب المصلحة من سياسة الانحراف، في طريق مسيرته الاصلاحية، فقابل كل ذلك

---

(١٢٠) تراجع الحلقة الثانية من هذه الكتاب

بالصبر الجميل، وبالتسليم لقضاء الله تعالى، حتى رحل الى ربه الأعلى شهيداً مثقلاً بالمتاعب والآلام.

٥ ـ واذا تركنا تلك الأمور جانباً وألقينا نظرة على جوانب أخرى من حياة الامام (ع) لنحدد مواقع الصبر والارادة الصلبة لما صح أن تفوتنا مواقف الصبر التي وقفها أمير المؤمنين (ع) حين يفارق أحبته ورفاق الدرب، وأولهم رسول الله (ص) الذي فاضت نفسه الشريفة في حجر الامام (ع)[١٢١] ووارراه الثرى بنفسه، وعايش مأساة فراقه بكل أبعادها، وها هو يخاطب رسول الله (ص) وهو يلي غسله وتجهيزه بكلمات حزينة تدمي القلب وتزرع الأسى: «**بأبي أنت وأمي يا رسول الله! لقد انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت غيرك من النبوة والأنباء وأخبار السماء. خصصت حتى صرت مسلياً عمن سواك؟ وعممت حتى صار الناس فيك سواء. ولولا أنك أمرت بالصبر، ونهيت عن الجزع، لانفدنا عليك ماء الشؤون، ولكان الداء مماطلاً، والكمد محالفاً، وقلاً لك، ولكنه ما لا يملك رده، ولا يستطاع دفعه! بأبي أنت وأمي، اذكرنا عند ربك، واجعلنا من بالك**»[١٢٢].

واذا أعدنا الى الأذهان ما يحظى به رسول الله (ص) من حب وتعظيم في نفس أمير المؤمنين (ع) لأدركنا حجم الأسى الذي صب على الامام (ع) بفقده (ص)، فعلي (ع) قد حظي بتربية الرسول (ع) ورعايته واعداده ومصاحبته منذ الصبا حتى فارق رسول الله (ص) الدنيا.

ولقد كانت تلك التربية وتلك الأخوة بينهما مليئة بضروب الود والحنان والوفاء والاخلاص مما ليس له نظير[١٢٣].

---

(١٢١) مسند احمد بن حنبل ج ٢ ص ٣٠٠ ومناقب الخوارزمي عن عائشة وللامام علي (ع) اشارة لهذه الحقيقة في نهج البلاغة رقم النص ٢٠١.

(١٢٢) نهج البلاغة من كلام له (ع) رقم ٢٣٥.

أنفدنا = أفنينا. ماء الشؤون = منابع الدمع. الداء مماطلاً = مما طلا بالشفاء. الكمد محالفاً = الحزن ملازماً. قلا = مخالفة الحزن ومماطلة الشفاء قليلان لك.

(١٢٣) راجع الحلقة الأولى من هذا الكتاب.

على أن الامام (ع) التزم جانب الصبر راضياً بقضاء الله المحتوم في رسول الله (ص).

٦ ـ وفي خضم الأحداث المريرة التي عايشها أمير المؤمنين (ع) في هذه الفترة، ألمت بالزهراء سيدة نساء العالمين العلة التي توفيت على أثرها فلحقت بالراحل العظيم أبيها حيث كان الامام (ع) طوال فترة المرض الذي عانت منه فاطمة (ع) يعايش ما تعاني بملء كيانه، فهي وديعة رسول الله (ص) ومدرسة الامامة التي خرّجت قادة الأمة الهداة (ع) وهي الصابرة المحتسبة وهي بعد ذلك زوجه الوفية التي عايشت معه آماله وآلامه طوال حياتها...

لقد رأى الامام (ع) زهراء الإسلام، بعد رسول الله (ص): وهي تعايش مرارة الأسى ثم وهي تستسلم لفراش المرض فيشحب لونها، وتتردى أوضاعها الصحية يوماً بعد يوم، ثم يراها وهي تفارق الدنيا، فيباشر تغسيلها وتجهيزها ودفنها عليها السلام، ثم يقف على شفير قبرها مودعاً بعبارات تذيب القلوب الحديدية: «السلام عليك يا رسول الله عني، وعن ابنتك النازلة في جوارك، والسريعة اللحاق بك! قلّ يا رسول الله عن صفيتك صبري، ورق عنها تجلدي، الاّ أن في التأسي لي بعظيم فرقتك، وفادح مصيبتك، موضع تعز، فلقد وسدتك في ملحودة قبرك، وفاضت بين نحري وصدري نفسك فانا لله وانا اليه راجعون، فلقد استرجعت الوديعة، وأخذت الرهينة! اما حزني فسرمد، وأما ليلي فمسهد الى أن يختار الله لي دارك التي أنت بها مقيم، وستنبئك ابنتك بتضافر امتك على هضمها فأحفها السؤال، واستخبرها الحال، هذا ولم يطل العهد، ولم يخل منك الذكر، والسلام عليكما سلام مودع، لا قال، ولا سئم، فان انصرف، فلا عن ملالة، وان اقم فلا عن سوء ظن بما وعد الله الصابرين»[١٢٤].

---

(١٢٤) نهج البلاغة رقم النص ٢٠٢

التأسي = الاعتبار المدمج = المثقل النعري = النصير ملحودة القبر = الجهة المستقوفة منه مسهد = المتقد به الارق هضم = ظلم احفه السؤال = الاستقصاء فيه لقالي = المتعقل السئم = الضجر

وهكذا استسلم الامام (ع) لقضاء الله تعالى واستعان على الأسى بجميل الصبر.

٧ ـ وكما صبر الامام (ع) لفقد رسول الله (ص) والصديقة الزهراء (ع) تجمل بالصبر كذلك لفقد اخوة له في الله، انقطعوا اليه في الوفاء وبذلوا أرواحهم وكل ما يملكون في سبيل رسالة الله تعالى، وقد تصدوا لهدم الباطل، وواجهوا الانحراف، فاستشهدوا في ساحات الجهاد كعمار بن ياسر ومالك بن التيهان، وذي الشهادتين خزيمة بن ثابت الأنصاري ومالك الأشتر، ومحمد بن أبي بكر وسواهم.

وها هو الامام (ع) يذكرهم قبل اغتياله بأيام في خطبه له جاء فيها: (. . . **اين اخواني الذين ركبوا الطريق ومضوا على الحق؟ أين عمار؟ وأين ابن التيهان؟ وأين ذو الشهادتين؟ وأين نظراؤهم من اخوانهم الذين تعاقدوا على المنية؟ وأبرد برؤوسهم الى الفجرة.**

«ثم أطال البكاء» وقال:

اوه على اخواني الذين تلوا القرآن فأحكموه، وتدبروا الفرض فأقاموه أحيوا السنة، وأماتوا البدعة، دُعوا للجهاد فأجابوا، ووثقوا بالقائد فاتبعوه. . .»[١٢٥].

٨ ـ ومن شواهد صبر الامام (ع) كذلك رفضه للدنيا ولذاتها وتحمله لأذى الجوع، والتقشف وزهده بالمال حتى يبلغ به الحال أحياناً أن يشد حجر المجاعة[١٢٦]، على بطنه، ولقد رأيت في حديثنا عن زهده وعدالته[١٢٧] ما يغنيك عن تعداد شواهد أخرى من قوة تحمله وارادته في مواجهة المشقات وعقبات الحياة.

---

(١٢٥) نهج البلاغة أواخر خطبة رقم ١٨٢.
أبرد برؤوسهم = أرسلت رؤوسهم بالبريد الى الطغاة للتشفي منهم.
أوه = كلمة توجع.
(١٢٦) شرح النهج ج ١ ص ٢٢.
(١٢٧) في الحلقة الثانية والثالثة من هذا الكتاب.

وهكذا عايش الامام (ع) حياة مليئة بالكدح والآلام، زاخرة بالرزايا، حافلة بالمحن، غير أنه واجهها جميعاً بقوة صبره، وعظيم ارادته التي لا تقهر.

* * *

في حقل المعرفة

* صور من فكر الإمام.
* مصنفات الإمام.
* طرف من مواعظ الإمام.
* قبس من حكم الإمام.

ان محاولة الحديث عن دنيا المعرفة عند علي (ع) مهما أعطيت من التوفيق يستحيل عليها أن تحد الفكر العلوي العظيم، وتحيط بأبعاد المعرفة التي تميز بها الامام (ع) وطرحها في ساحة الفكر الانساني، وحسبك أن كل مدرسة فكرية ظهرت في دنيا المسلمين، كل منها تعلن انتماءها فكرياً للامام (ع) حتى وان كانت مخالفة للواقع والحق، وكأن قولها بالاستمداد من علي (ع) يعطيها صفة الشرعية وحق الحياة، فالأشاعرة نسبوا أنفسهم له، والمعتزلة ادعوا الانتماء اليه، وزعمت مدرسة الرأي في الفقه انتماءها اليه، وذهب المتصوفة الى أن امامهم أمير المؤمنين فيما ذهبوا، وسوى هؤلاء كثير[١٢٨].

هذا فضلاً عن حملة مبادئه من الذين التزموا مذهب أهل البيت (ع) الثقل الثاني بعد القرآن الكريم، الذي ألزمت الشريعة بالتمسك بهما وسلوك دربهما على لسان رسول الله (ص) مبلغاً عن الله عز وجل:

«اني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبداً وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض»[١٢٩].

فادعاء جميع المدارس الفكرية والفقهية انتماءها للامام علي (ع) وانتهالها من فيض علمه مؤشر كبير على عظمة الامام (ع) وعلو شأنه في دنيا الفكر الاسلامي. الأمر الذي لم يكن لأحد من المسلمين بعد رسول الله (ص) طوال التاريخ الاسلامي.

---

(١٢٨) شرح نهج البلاغة ج ١ ص ١٧ وما بعدها ط ١. ١٩٥٩ ط دار احياء الكتب العربية

(١٢٩) روى هذا الحديث باختلاف يسير في اللفظ: مسلم في الصحيح، والحاكم في مستدرك الصحيحين واحمد في المسند، والمتقي في كنز العمال، وغيرهم

فعلي (ع) قد تنازعته كل الحركات الفكرية والفقهية التي ولدت في تاريخ المسلمين، بل قال بالانتساب اليه أصحاب النشاطات الفكرية والثقافية والعلمية من نحويين وأهل القراءات وعلماء التفسير وأهل الحديث والفقه وسواهم، على أن الانتساب لعلي (ع) في الحقل المعرفي أو ادعاء الانتساب اليه لم يأتِ عفوا أبدا، وانما هو شاهد قوي على أن عليا (ع) لم يترك حقلا من حقول المعرفة الصحيحة الا ووضع أسسه وحدد معالمه وترك الباب مفتوحاً لرواد المعرفة أن ينهلوا منه.

ولم يكن العطاء الفكري العظيم الذي أسداه الامام (ع) للانسان الا حصيلة طبيعية للاعداد الخاص الذي توفر للامام (ع) من لدن رسول الله (ص) منذ طفولة الامام (ع) حتى آخر ساعة من حياة الرسول (ص).

ولقد أشار الامام (ع) ذاته الى ذلك الاعداد الذي وفره له رسول الله (ص) وكشف عن أهميته وأبعاده في حياة الامام (ع) بقوله: «... **وقد علمتم موضعي من رسول الله صلى الله عليه وآله بالقرابة القريبة، والمنزلة الخصيصة، وضعني في حجره، وأنا ولد، يضمني الى صدره، ويكنفني في فراشه: ويمسني جسده، ويشمني عرفه، وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه، وما وجد لي كذبة في قول، ولا خطلة في فعل... ولقد كنت اتبعه اتباع الفصيل اثر أمه، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علما، ويأمرني بالاقتداء به، ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء، فأراه، ولا يراه غيري، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الاسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله وخديجة، وأنا ثالثهما. أرى نور الوحي والرسالة، واشم ريح النبوة**»[١٣٠].

ولاستمرارية ذلك الاعداد الخاص لعلي (ع) يشير أبو سعيد الخدري (رض) بقوله: «كانت لعلي من رسول الله (ص) دخلة لم تكن لأحد من الناس»[١٣١].

---

(١٣٠) نهج البلاغة/ الخطبة القاصعة. رقم النص ١٩٢.

(١٣١) أنساب الأشراف ج ٢ ص ٩٨ ـ البلاذري.

وعن ابن عباس «رض» عن علي (ع) قال:

«كان لي من النبي (ص) مدخلان: مدخل بالليل، ومدخل بالنهار»[١٣٢].

ولقد كان ذلك الاعداد الرسولي منصباً على جميع جوانب شخصية الامام (ع) من اجل تأهيله فكرياً ونفسياً لاحتلال موقع المرجعية الفكرية والسياسية للأمة الاسلامية بعد غياب رسول الله (ص) عن مسرح الحياة.

وحيث أن حديثنا هذا يهدف الى دراسة العطاء الفكري الثري الذي وهبه الامام (ع) للانسانية، فلا بد من أن نشير الى أن رسول الله (ص) حين أكمل بناء الجانب الفكري من شخصية الامام (ع) وأهله لخلافته في هذا المضمار، أخذ (ص) يبلغ الأمة بحقيقة ما وصل اليه الامام (ع) من مستوى عظيم في ميدان المعرفة:

قال (ص):

- **«أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأته من بابه»**[١٣٣].
- **«علي باب علمي ومبين لأمتي ما أرسلت به...»**[١٣٤].

وعن ابن مسعود قال: كنت عند النبي (ص) فسئل عن علم علي (ع)؟ فقال:

- **«قسمت الحكمة عشرة أجزاء، فأعطي علي تسعة أجزاء والناس جزءاً واحداً، وهو أعلم بالعشر الباقي»**[١٣٥].

وهناك أحاديث شريفة بهذا الشأن لا تكاد تحصى كثرة، وهي تهدف

---

(١٣٢) خصائص الامام علي بن أبي طالب - للنسائي ص ٤٩

(١٣٣) أخرجه الترمذي في صحيحه وأحمد بن حنبل والحاكم في المستدرك والحافظ أبو محمد السمرقندي في بحر الأسانيد وابن جرير في تهذيب الآثار والاربلي في كشف الغمة ويراجع فتح الملك العلي بصحة حديث باب مدينة العلم علي للحافظ أحمد بن محمد الصديق الغماري ط ٢، ١٩٦٩

(١٣٤) أبو نعيم في حلية الأولياء والديلمي في فردوس الأخبار وغيرهما ويراجع مقام أمير المؤمنين ط الأعلمي ص ٧

(١٣٥) أخرجه الخوارزمي وابن المغازلي الشافعي والمناقب لابن شهر آشوب ج ٢ ص ٣٠

جميعاً الى بيان المكانة التي يحتلها الامام (ع) في الجانب المعرفي، وتدعو الأمة صراحة الى وجوب أخذ معارف التشريع الإلهي عن طريقه[١٣٦]، فمنه تستمد الهدى، وهو الصراط المستقيم الموصل إلى الله تعالى بعد رسول الله (ص).

ولقد أدرك الكثير من معاصري الامام (ع) ما يحظى به الامام (ع) من علو شاهق في مجالات المعرفة بشتى حقولها وجوانبها، وما يتبوؤه من مقام رفيع في مسيرة الاسلام الخالدة:

فها هو ابن عباس (رض) يقول:

ـ أعطي علي بن أبي طالب تسعة أعشار العلم، وأنه لأعلمهم بالعشر الباقي[١٣٧].

وعطاء بن أبي رباح يقول ـ حين سئل هل تعلم أحداً بعد رسول الله (ص) أعلم من علي؟

ـ لا والله ما أعلمه.

وعمر بن الخطاب يقول:

ـ العلم ستة أسداس، لعلي من ذلك خمسة أسداس، وللناس سدس، ولقد شاركنا في السدس حتى لهو أعلم به منا[١٣٨].

ولكم كان الخلفاء الذين سبقوه تاريخيا يرجعون اليه في مسائل القضاء والحكم والادارة، حتى أن عمر بن الخطاب كان يردّدُ: «لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو الحسن» أو يقول: «أعوذ بالله من معضلة لا علي لها»[١٣٨].

وعائشة تقول:

«علي أعلم الناس بالسنة»[١٣٩].

---

(١٣٦) راجع مناقب آل أبي طالب ج ١ فصل في السابقة بالعلم، والبحار ج ٤١ باب ٩٣ وفضائل الخمسة من الصحاح الستة وغيرها.

(١٣٧) بحار الأنوار ج ٤٠ باب ٩٣ عن النقاش في تفسيره، ومناقب آل أبي طالب ج ١ فصل السابقة في العلم.

(١٣٨) راجع فصل في عهد الخلفاء في الحلقة الأولى من دراستنا عن أمير المؤمنين (ع).

(١٣٩) البحار ج ٤٠ باب ٩٣.

وغير هؤلاء كثير...

على أن امير المؤمنين (ع) قد أفصح مراراً وفي مناسبات شتى عما يحمل من علم شامل غزير.

فتراه يخاطب اصحابه بأن صدره يحمل علماً عظيماً تلقّاه من رسول الله (ص) ولو وجد له حملة أمناء يتصدون لحمله وتبليغه لأودع بعض علمه لديهم:

ـ «ان في صدري هذا لعلماً جماً، علّمنيه رسول الله (ص) ولو أجد له حفظة يرعونه حق رعايته، ويروونه عني كما يسمعونه مني، اذاً لأودعتهم بعضه...»[١٤٠].

ثم يكشف في مناسبة اخرى عن حجم ذلك العلم الذي يحمل ويبين أبعاده ومساحته:

فعن ابن نباتة قال:

ـ لما بويع امير المؤمنين (ع) بالخلافة خرج الى المسجد معتماً بعمامة رسول الله (ص) لابساً بردته، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ، وانذر، ثم جلس متمكناً، وشبك بين أصابعه، ووضعها أسفل سرته ثم قال:

ـ «يا معشر الناس سلوني قبل أن تفقدوني، سلوني فان عندي علم الأولين والآخرين، أما والله لو ثنيت لي الوسادة لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الانجيل بانجيلهم، وبين أهل الزبور، بزبورهم، وبين أهل الفرقان بفرقانهم، حتى ينهي كل كتاب من هذه الكتب ويقول: يا رب ان علياً قضى بقضائك، والله اني لأعلم بالقرآن وتأويله من كل مدع علمه...

ثم قال:... سلوني قبل أن تفقدوني، فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة لو سألتموني عن اية آية لأخبرتكم بوقت نزولها، وفيم نزلت، وأنباتكم بناسخها ومنسوخها، وخاصها من عامها، ومحكمها من متشابهها، ومكيها من مدنيها والله ما من فئة تضل أو تهدي إلا وأنا أعرف قائدها وسائقها وناعقها»[١٤١].

---

(١٤٠) المرجع السابق باب ٩٣ نقلاً عن الخصال.

(١٤١) الخارج ٤٠ باب ٩٣ وينظر في الارشاد للشيخ المفيد ص ١٩١.

«سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم، وسلوني عن كتاب الله، فوالله ما من آية الا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار أم في سهل أم في جبل»[١٤٢].

ولو قدر أن عليا (ع) لم يتسن له أن يساهم بما ساهم به من علم جم ـ الأمر الذي سنتناول خطوطه العريضة في هذا الفصل ـ في المجالات الفكرية، فإن نداءاته الملحة في مناسبة وأخرى: «**سلوني قبل أن تفقدوني**» آية جلية على قدراته الفائقة في حقول المعرفة بشتى ضروبها وامتداداتها. ولو قدر كذلك أن الرسول (ص) لم يكشف عما لعلي (ع) من سابقة في العلم وعلو شاهق في المعرفة، لكان اصرار علي (ع) على دعوة الناس بتلقي العلوم منه شاهداً قوياً لا يرد على ما له (ع) من علم غزير، فإن ثقته العالية بنفسه في مضمار العلم هي التي تدفعه دفعاً لتكرار ذلك النداء الفريد، الذي ما حدثنا التاريخ أن رجلاً قدم عليه قبل علي (ع) خوف الفضيحة والنكوص عن الاجابة!

ولقد تنبه الكثير من أصحاب العقول الى ما ينطوي عليه ذلك النداء العلوي: «**سلوني**» من أهمية بالغة، فقد قال سعيد بن المسيب:

«ما كان أحد من الناس يقول سلوني غير علي بن أبي طالب»[١٤٣].

وعن ابن شبرمة يقول: «ليس لأحد من الناس أن يقول على المنبر: سلوني الا علي بن أبي طالب»[١٤٤].

فالنداء المذكور بكثرة الحاحه وحرارته يحمل بين ثناياه دليلاً على ما حواه الامام (ع) من علم شمولي يمد الانسان بالغنى والخير والهدى والسداد.

---

(١٤٢) أعيان الشيعة ج ٣ ق ١ ص ٦٣ عن الاستيعاب ومثلها في الاصابة والاتقان وحلية الأولياء وفي صحيح مسلم ج ٦.

(١٤٣) المصدر السابق.

(١٤٤) المصدر السابق.

من أبعاد المعرفة

بمقدورنا بعد ايراد التوطئة المتعلقة بالحقل المعرفي عند أمير المؤمنين أن نقول إن تصوراً قد تكامل لدينا حول عمق المعرفة وشمولها عند الإمام (ع) فهو: وريث رسول الله (ص) والمبين للأمة ما بعث به، ومرجعها في كل تساؤلاتها الفكرية الملحة كل ذلك كان حصيلة لاعداد مسبق من لدن رسول الله (ص) أشرنا لبعض مصاديقه فيما مضى من حديث.

بقي أن نشير في هذا الفصل الى أبعاد المعرفة التي أسداها الامام (ع) للانسان: المسلم منه وغير المسلم.

ففكر علي (ع) وان كان رسالياً هادفاً الى خدمة الرسالة الالهية وحملتها وعاملاً على دفع عجلة مسيرة الاسلام التاريخية الى الأمام، فانه يبقى منهلا عذبا لتصيب منه الانسانية بشتى نحلها واتجاهاتها الفكرية، وهو كفيل بهدايتها الى الحق والى صراط مستقيم.

وقبل أن نعرض الخطوط العامة للجانب المعرفي عند الامام (ع) جدير بنا أن نشير الى أنه (ع) بالرغم مما طرحه في دنيا الفكر الانساني من أبواب المعرفة المتعددة فاننا نظل عند قناعتنا من أن الامام (ع) لم تسعفه الظروف الاجتماعية والسياسية على حد سواء في أن يسدي للانسان بالكثير مما عنده من معرفة

فاذا أهملنا أثر الظروف السياسية ـ التي ألمت بالامام (ع) ومنعته من اداء مهماته على الشكل المرجو من أجل مصلحة الرسالة والانسان، ـ فان الظروف الاجتماعية لا تقل خطرا عن تلك الظروف، فالمجتمع الذي عايشه الامام (ع) لم يكن في مستواه من ناحية وعيه الحضاري قادراً على ادراك

الامام وأهميته ودوره الرسالي الخطير في حياة الناس، ولعل أبلغ شاهد على ذلك ما كان يواجهه الامام (ع) من تساؤلات فجة واعتراضات تافهة حين يدعو قومه للافادة مما يحمل من علم جم تلقّاه من رسول الله (ص).

ونذكر بهذا الصدد بعض تلك المواقف التي تقطر سخفا وبلادة: ـ فقد خاطب الناس مرة بقوله: **سلوني قبل أن تفقدوني فوالله لا تسألوني عن فئة تُضِل مائة أو تهدي مائة الا نبأتكم بناعقها، وسائقها، ولو شئت لأخبرت كل واحد منكم بمخرجه ومدخله وجميع شأنه.**

فقام اليه سنان بن أنس النخعي قائلا:

أخبرني بما في رأسي ولحيتي من طاقة شعر[١٤٥]!!

ـ وبينما كان الامام (ع) يوماً يحدث قومه عن بعض حوادث المستقبل كبر على أعشى باهلة ـ عامر بن الحارث ـ ما تحدث به الامام (ع) فقال له:

يا أمير المؤمنين ما أشبه هذا الحديث بحديث خرافة[١٤٦].

هذه بعض المواقف التي اتخذها السفهاء من الناس الذين عاصروا الامام (ع) فأضاعوا أثمن فرصة مرت بالأمة بعد رسول الله (ص).

وبالرغم من ذلك كله فاننا ينبغي ألا نغفل ما كان ينطوي عليه ذاك المجتمع من طلاب للمعرفة من أجل الوصول إلى الهدى والخير.

وكانت تلك الفئة واعية لحقيقة الامام (ع) مؤمنة بقدرته الفائقة على طرح شتى أنواع الفكر الاسلامي في العقائد والتشريع وفي مختلف أبواب المعرفة الضرورية لمسيرة الانسانية كلها.

وقد قابل أمير المؤمنين (ع) أولي الألباب بنفس الثقة التي أولوها له، فخصهم بالكثير من ألوان الاعداد والتوجيه والتثقيف ليواصل المسيرة التي بدأها رسول الله (ص) والتي يقودها خط الامامة عبر التاريخ الاسلامي ابتداء بعلي (ع) وانتهاء بأبي القاسم الامام المهدي (ع).

---

(١٤٥) شرح النهج ج ٢ ص ٢٨٦ ـ ونفس الرواية في البحار ج ٤٠ باب ٩٣ ص ١٩٢ ولكنه يروي أن الرجل كان تميم بن أسامة التميمي.

(١٤٦ و١٤٧) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٨٩ وص ٢٨٦ وما بعدها.

وقد بلغ بالامام (ع) أن يكشف الكثير من أسرار المعرفة لأولئك المتقين الأفذاذ من الرجال[١٢٧].

كما وقد تعاهد الامام (ع) أمر اعداد الحملة الحقيقيين للرسالة الالهية ممن بدأ الرسول (ص) عملية اعدادهم أو غيرهم...

على أن الذي توفر للامام (ع) طرحه من آراء ومبادىء وحكم ومفاهيم في ساحة الفكر الانساني كفيل بعضه دون جميعه بابراز عظمة الامام (ع) وقدراته العلمية الفائقة.

وها نحن أولاً، نعرض صوراً من المعرفة عند الامام (ع):

صور من الفكر العقائدي

للامام (ع) باع طويل في عرض الصيغ المحددة للعقائد الاسلامية من خلال ما طرحه من خطب ورسائل ومواعظ ومناقشات.

والباحث فيما خلفه الامام العظيم (ع) من ثروة فكرية يتجلى له بعمق أن أمير المؤمنين (ع) قد أعطى للعقيدة الاسلامية وركائزها الأساسية على وجه الخصوص الكثير من الاهتمام والعناية، وأغلق الباب بوجه أي شذوذ وانحراف وعدول عن مضامينها الحقيقية بأسلوب واضح وجلي لا يمكن صرفه أو تأويله لأي معنى آخر غير ما أراده الامام (ع). فالله تعالى وأسماؤه الحسنى وصفات ذاته وصفات افعاله، والرسالة والنبوة والوحي، والملائكة والامامة والقضاء والقدر، والبعث والنشور وفلسفة الدنيا والجنة والحساب وسواها من أسس العقيدة الاسلامية قد طرحها الامام (ع) في صيغ محددة نابضة بقوة الحجة والبرهان والوضوح.

ولو قدر للامة المسلمة بجميع فرقها أن تنهل من المنهل العذب الرقراق الذي فجره علي (ع) في دنيا الفكر الاسلامي، لاجتمعت الكلمة وتوحد الصف والهدف، وما شهدت دنيا المسلمين أي لون من ألوان الشطحات والانحرافات المضلة التي جنح اليها رهط من أتباع المدارس الفكرية عند المسلمين.

وبقدر ما تسمح به محاولتنا لدراسة الخطوط العامة لما خلفه لنا الامام أمير المؤمنين (ع) من ثروة فكرية ستعرض نماذج من الفكر العقائدي الذي زين الامام (ع) بها صفحات الفكر الانساني بشكل عام:

وحدانية الله عز وجل:

«الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون، ولا يحصي نعماءه العادون، ولا يؤدي حقه المجتهدون، الذي لا يدركه بعد الهمم، ولا يناله غوص الفطن، الذي ليس لصفته حد محدود، ولا نعت موجود، ولا وقت معدود، ولا أجل ممدود، فطر الخلائق بقدرته ونشر الرياح برحمته، ووتد بالصخور مَيدان أرضه(١٤٨).

أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الاخلاص له، وكمال الاخلاص له نفي الصفات عنه، لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة: فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه، ومن قرنه، فقد ثناه، ومن ثناه فقد جزأه ومن جزأه فقد جهله، ومن جهله فقد أشار اليه، ومن أشار اليه فقد حده، ومن حده فقد عده، ومن قال «فيم» فقد ضمنه، ومن قال «علام؟» فقد أخلى منه.

كائن لا عن حدث، موجود لا عن عدم.

مع كل شيء لا بمقارنة، وغير كل شيء لا بمزايلة، فاعل لا بمعنى الحركات والآلة، بصير اذ لا منظور اليه من خلقه متوحد اذ لا سكن يستأنس به، ولا يستوحش لفقده، أنشأ الخلق انشاء، وابتداه ابتداء، بلا روية أجالها، ولا تجربة استفادها، ولا حركة أحدثها، ولا همامه نفس اضطرب فيها، أحال الأشياء لأوقاتها، ولأم بين مختلفاتها، وغرز غرائزها، وألزمها أشباحها، عالما بها قبل ابتدائها، محيطاً بحدودها وانتهائها، عارفاً بقرائنها واحنائها..»(١٤٩).

---

(١٤٨) فطر الخلائق = ابتدعها على غير مثال سابق.
وتد = ثبت. الميدان = التحرك بالتمايل.

(١٤٩) نهج البلاغة رقم الخطبة ١.
لا عن حدث = لا عن ايجاد موجد. المزايلة = المفارقة والاختلاف. الروية =

«الأول لا شيء قبله، والآخر لا غاية له، لا تقع الأوهام له على صفة، ولا تقعد القلوب منه على كيفية، ولا تناله التجزئة والتبعيض، ولا تحيط به الابصار والقلوب...»[١٥٠].

«لم يولد سبحانه فيكون في العز مشاركاً، ولم يلد فيكون موروثاً هالكاً، ولم يتقدمه وقت ولا زمان، ولم يتعاوره زيادة ولا نقصان، بل ظهر للعقول بما أرانا من علامات التدبير المتقن، والقضاء المبرم»[١٥١].

«الحمد لله الكائن قبل أن يكون كرسي أو عرش أو سماء أو أرض أو جان أو انس، لا يدرك بوهم، ولا يقدر بفهم، ولا يشغله سائل، ولا ينقصه نائل، ولا ينظر بعين، ولا يحد بأين، ولا يوصف بالأزواج ولا يخلق بعلاج، ولا يدرك بالحواس، ولا يقاس بالناس...»[١٥٢].

هكذا حدّد أمير المؤمنين (ع) مفهوم وحدانية الله سبحانه وتعالى، وهكذا عرف علي (ع) الله رب العالمين، ووصفه كما أراد الله تعالى أن يوصف به، فقد نزهه عن التشبيه والتجسيم والمكان والتجزئة والتبعيض وكل نقص، وأخرجه بوصفه عن كل صفة من صفات مخلوقاته، كما شاء الله تعالى أن يوصف، وكما علّم أولياءه أن ينعتوه.

الرسالة والنبوة:

وكما حدد الامام أبعاد التوحيد وحقيقته، أعطى (ع) التحديد الموضوعي الشامل للنبوة والرسالة مبيناً فلسفتها وأهدافها، وموضحاً أن اللطف الالهي

التفكير. أجال = ردد أو أدار. همامة = اهتمام الأمر وانشغال بال. لام = قرن. غرز الغرائز = أودع فيها الطباع. قرائن = جمع قرونة وهي النفس. الاحناء = الجوانب. لا تقعد القلوب منه على كيفية = أي ليست له كيفية فتحكم بها.

(١٥٠) نفس المصدر رقم ٨٥.

(١٥١) نهج البلاغة رقم النص ١٨٢. يتعاوره = تطرأ عليه الزيادة والنقصان.

(١٥٢) نفس المصدر والخطبة. وهم = تفكير وتوهم. النائل = العطاء. أين = اشارة للمكان

بالعباد اقتضى ارسال الأنبياء (ع) الى الناس ليأخذوا بأيديهم الى حيث الهدى والرشاد وسبيل الحق، بعد أن تنكروا لعهد الله اليهم، وخرجوا عن مقتضى الفطرة التي فطرهم الله تعالى عليها قال (ع):

«واصطفى سبحانه من ولده - من ولد آدم - أنبياء أخذ على الوحي ميثاقهم، وعلى تبليغ الرسالة أمانتهم، لما بدل أكثر خلقه عهد الله اليهم، فجهلوا حقه، واتخذوا الأنداد معه، واجتالتهم الشياطين عن معرفته، واقتطعتهم عن عبادته، فبعث فيهم رسله، وواتر اليهم أنبياءه، ليستأدوهم ميثاق فطرته، ويذكروهم منسي نعمته، ويحتجوا عليهم بالتبليغ، ويثيروا لهم دفائن العقول، ويروهم الآيات المقدرة: من سقف فوقهم مرفوع، ومهاد تحتهم موضوع، ومعايش تحييهم، وآجال تفنيهم، وأوصاب تهرمهم، وأحداث تتابع عليهم، ولم يخل الله سبحانه خلقه من نبي مرسل، أو كتاب منزل، أو حجة لازمة[١٥٣] أو محجة قائمة. رسل لا تقصر بهم قلة عددهم، ولا كثرة المكذبين لهم: من سابق سمي له من بعده، أو غابر عرفه من قبله: على ذلك نسلت القرون، ومضت الدهور، وسلفت الآباء وخلفت الأبناء.

الى أن بعث الله سبحانه محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لانجاز عدته، واتمام نبوته، ماخوذاً على النبيين، ميثاقه، مشهورة سماته، كريماً ميلاده، وأهل الأرض يومئذ ملل متفرقة، وأهواء منتشرة، وطرائق متشتتة، بين مشبه لله بخلقه، أو ملحد في اسمه، أو مشير الى غيره، فهداهم به من الضلالة، وانقذهم بمكانه من الجهالة...»[١٥٤].

---

(١٥٣) الميثاق = العهد. الأنداد = الأمثال وهم المعبودون من دون الله تعالى. اجتالتهم = أبعدتهم عن هدفهم. واتر = جعل بين كل نبي وآخر فترة. ليستأدوهم = ليطلبوا الاداء منهم. وصب = تعب.

(١٥٤) نهج البلاغة رقم النص ١ «باب الخطب». نسلت القرون = تتابعت. المحجة = الطريق الواضحة المستقيمة.

انجاز عدته =وعده الله تعالى بارسال محمد (ص).

السمات: العلامات التي بشر بها النبيون السابقون لرسول الله محمد (ص).

ملحد في اسم الله = يخرج به عن حقيقة سماه.

«بعث الله رسله بما خصهم به من وحيه، وجعلهم حجة له على خلقه، لئلا تجب الحجة لهم بترك الإعذار اليهم، فدعاهم بلسان الصدق الى سبيل الحق..»[١٥٥].

«فبعث الله محمدا صلى الله عليه وآله بالحق ليخرج عباده من عبادة الأوثان الى عبادته، ومن طاعة الشيطان الى طاعته، بقرآن قد بينه وأحكمه، ليعلم العباد ربهم اذ جهلوه، وليقروا به بعد اذ جحدوه وليثبتوه بعد اذ أنكروه، فتجلى لهم سبحانه في كتابه من غير أن يكونوا رأوه بما أراهم من قدرته، وخوفهم من سطوته وكيف محق من محق بالمثلات، واحتصد من احتصد بالنقمات...»[١٥٦].

خط الامامة في دنيا الاسلام:

ويجلي الامام (ع) حقيقة خط الامامة وضرورته في دنيا المسلمين ويحدد مرامي الأئمة (ع) ويرشد الأمة المسلمة اليهم باعتبارهم الامتداد الحقيقي للرسالة، والحملة الحقيقيين لرسالة الله تعالى وهديه للعالمين بعد رسوله (ص)، بهم يقام الحق وتحمى الشريعة ويصان الدين، وتحفظ كلمة الله تعالى. وتبلغ الأمة الهدى والخير، وبسواهم يكون الضلال والانحراف والضياع يقول (ع):

- «.. لا يقاس بآل محمد صلى الله عليه وآله من هذه الامة أحد ولا يسوى بهم من جرت نعمتهم عليه أبدا: هم أساس الدين، وعماد اليقين، اليهم يفيء الغالي، وبهم يلحق التالي، ولهم خصائص حق الولاية، وفيهم الوصية والوراثة. الآن اذ رجع الحق الى أهله، ونقل الى منتقله»[١٥٧].

«ان الائمة من قريش غرسوا في هذا البطن من هاشم، لا تصلح على

---

(١٥٥) نفس المصدر ص ١٤٤.

(١٥٦) نفس المصدر رقم النص ١٤٧.

نحلى = ظهر بآيات لا برؤيته المباشرة. المثلات = العقوبات.

(١٥٧) خطبة رقم ٢ من نهج البلاغة. الغالي = المغالي السالغ الذي يتجاوز الحد في الافراط

سواهم، ولا تصلح الولاة في غيرهم»[158].

وبعد هذا التحديد الدقيق للامامة والائمة، يحذر (ع) من مغبة نكران الائمة والتنكر لهم: «... **وانما الائمة قوّام الله على خلقه وعرفاؤه على عباده، ولا يدخل الجنة الا من عرفهم وعرفوه، ولا يدخل النار الا من أنكرهم وأنكروه...**»[159].

ويحذر من مغبة نكرانهم في مسيرة الحياة الإسلامية حيث يوضح بكل جلاء أن الحق لا يقترن بسواهم وأن الهدى لا وجود له الا بمتابعتهم: «**فأين تذهبون، وأنى تؤفكون، والأعلام قائمة، والآيات واضحة، والمنار منصوبة، فأين يتاه بكم، وكيف تعمهون، وبينكم عترة نبيكم، وهم أزمة الحق، وأعلام الدين، وألسنة الصدق، فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن وردوهم ورود الهيم العطاش...**»[160].

ثم يشير الامام (ع) الى أن خط الامامة مصاحب لمسيرة الأمة، وأرض الله لا تخلو من حجة من آل محمد (ص) يحمل الهدى للناس:

«**الا أن مثل آل محمد صلى الله عليه وآله كمثل نجوم السماء: اذا خوى نجم طلع نجم، فكأنكم قد تكاملت من الله فيكم الصنائع وأراكم ما كنتم تأملون**»[161].

ونكتفي بهذه النماذج من الفكر العقائدي الذي عرضه الامام (ع) في ساحة الفكر الاسلامي، ومن شاء الاستزادة فدونه نهج البلاغة فانه ينبوع لا ينضب بمد المتتبع بشتى ضروب المعرفة في مضمار العقيدة وسواها.

---

(١٥٨) نفس المصدر رقم النص ١٤٤

(١٥٩) نفس المصدر رقم النص ١٥٢.

(١٦٠) نهج البلاغة رقم النص ٨٧. تؤفكون = تصرفون عن الحق. الأعلام = الدلائل على الحق. المنار = جمع منارة. يتاه بكم = الحيرة والضلال. تعمهون = تتحيرون. العترة = النسل.

وردوهم ورود الهيم العطاش = هلموا الى بحار علومهم مسرعين كاسراع الابل العطشى الى الماء.

(١٦١) نفس المصدر رقم النص ١٠٠. خوى نجم = غاب.

صور من الفكر السياسي ـ الاجتماعي

بالرغم من قصر المدة التي قضاها أمير المؤمنين (ع) في قيادة الامة اجتماعياً وسياسياً فان الفكر السياسي الذي عرضه الامام (ع) كفيل بتغطية حاجات الانسان عبر امتداده التاريخي على هذه الأرض، فقد جاءت خطب الامام (ع) ورسائله وأوامره وارشاداته زاخرة بهذا اللون من الفكر، مجسداً أروع أطروحه وأنضجها لادارة شؤون الحياة الانسانية.

ففي الحقل الاقتصادي عرض الامام (ع) نظاماً متكاملاً لعلاج المشكلة الاقتصادية، وظاهرة الانحراف عن خط العدالة الاسلامية في التوزيع، وحدد برامج واضحة لتجاوز الأخطاء المتراكمة في مسألة توزيع المال بين الناس من خلال منهاج التسوية في العطاء.

ولم يلتمس الامام (ع) المواقف الوعظية في علاج المشكلة الاقتصادية، واقرار العدالة في المجتمع فحسب وانما سلك إلى جانب مخاطبة الضمائر والاستفادة من رصيد الايمان بالله فيها، سلك سبيل استخدام الضوابط القانونية في تحقيق التوازن والعيش الرغيد، وانهاء دور الظلم في المجتمع، ومن أجل ذلك استرد الأموال التي تدفقت على جيوب فئة من الناس من غير حق، وسلك سبيل مراقبة طرق جباية الأموال، وكيفية توزيعها على قطاعات الامة، كما شدد على مراقبة ولاته في الأمصار، واستحدث نظام المراقبة والتفتيش ليحيط علماً بتصرفاتهم وممارساتهم ومن هنا تجد الكثير من النصوص التي يوجه فيها الامام (ع) والياً أو جابياً للمال باتجاه الطريقة المثلى في عمله المناط به، كما نجد نصوصاً يوبخ فيها الامام (ع) ذلك الوالي أو يستدعيه للحساب أو يعزله عن منصبه لخيانة الأمانة التي أنيطت به[١٦٢].

---

(١٦٢) راجع الحلقة الثانية من هذا الكتاب (الفصل الأول) لملاحظة النصوص بهذا الصدد.

وكما وضح الامام (ع) مناهجه القويمة المجسدة لشرع الله تعالى في المال، كذلك فعل بالنسبة للادارة وشؤون القيادة الأخرى في المجتمع، فبالرغم من كثرة النصوص التي حفظها لنا نهج البلاغة وكتب السيرة الأخرى التي يحدد (ع) فيها مسؤولية الولاة والعمال على البلدان، وما ينبغي أن يلتزموا به في حياتهم العملية، يضع الامام (ع) المواصفات الواجب توفرها في شخصية الحاكم المسلم سواء أكان حاكماً عاماً للامة أو حاكماً محلياً، ونكتفي هنا بذكر نماذج من هديه وتوجيهاته بهذا الصدد:

«... وقد علمتهم أنه لا ينبغي أن يكون الوالي على الفروج والدماء والمغانم، والأحكام، وامامة المسلمين: البخيل فتكون في أموالهم نهمته، ولا الجاهل فيضلهم بجهله، ولا الجافي فيقطعهم بجفائه، ولا الحائف للدول فيتخذ قوماً دون قوم، ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق ويقف بها دون المقاطع، ولا المعطل للسنة فيهلك الامة»[١٦٣].

«من نصب نفسه للناس اماماً فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه، ومعلم نفسه ومؤدبها أحق بالاجلال من معلم الناس ومؤدبهم»[١٧٤].

«لا يقيم أمر الله سبحانه الا من لا يصانع ولا يضارع، ولا يتبع المطامع».

واذا شئنا الرجوع الى أوسع نص لتحديد مواصفات الحاكم المسلم، ففي عهد الامام (ع) الى مالك الاشتر حين ولاه على مصر غنىً عن طرح أي دليل آخر، حيث اشتمل العهد المذكور على كل مستلزمات القيادة الصالحة،

---

(١٦٣) نهج البلاغة رقم النص (١٢٩).

النهمة = المبالغة في الحرص وشدة الشهوة. المقاطع = حدود الله. الدول = المال. الحائف = الظالم.

والمراد بالحائف بالدول = الظالم في توزيع المال حيث يفضل قوماً على قوم في العطاء

(١٧٤) نفس المصدر رقم ٧٣ في باب المختار من كلامه (ع).

وما ينبغي أن تنهض به من مسؤوليات في حياة الامة على الصعيد الاجتماعي، والسياسي، والاقتصادي، وسوى ذلك من شؤون.

كما حدد العهد بعمق ووضوح كل ما يتطلبه المجتمع وما ينبغي للحاكم المسلم النهوض به عبر مسؤولياته القيادية كي يستجيب لطموحات الأمة التي يدير دفة حياتها[١٦٥].

ومن المناسب أن نشير هنا الى أن عهد الامام (ع) الى واليه الأشتر قد انطوى على أفكار اجتماعية غاية في الأهمية، فقد تناول الامام (ع) تركيبة المجتمع، والقوى المؤثرة، والقطاعات الضرورية فيه تناول خبير ملّم بها، فقد درس الامام (ع) أهمية القطاع الزراعي وأثر التجار والقضاة والولاة والجنود في مسيرة المجتمع وبناء الحضارة، وحدد كيفية التعامل مع تلك القوى الهامة في المجتمع، وحدد مسؤوليات السلطة العليا تجاه كل واحدة من تلك القوى الفاعلة في الحياة العامة، كما ذكر القطاعات الضعيفة من أهل اليتم والشيخوخة وسواهم مما يعتبر وجودهم طبيعياً في المجتمعات، فدرس حالهم وحدد العلاج لما يعانون[١٦٥].

هذا وقد سبق الامام علي (ع) علم الاجتماع الحديث في دراسته للمجتمع وتحديد المؤثرات فيه بزمن طويل، مما يستحق أن يحمل بجدارة لقب مؤسس علم الاجتماع والواضع للبناته الأولى، رغم الاختلاف في الرؤية والمنهج الذي يعتمده الامام (ع).

---

(١٦٥) يراجع عهد الامام (ع) الى مالك الأشتر واليه على مصر في نهج البلاغة رقم النص ٥٣ في باب الكتب.

مصنفات الامام (ع)
وأعماله الفكرية

وأميـر المؤمنين (ع) أول من صنف في دنيـا المسلمين، ويحصي المؤرخون لسيرة الامام (ع) عدداً من مؤلفات الامام وأعماله العلمية تأتي في طليعتها:

١ - جمع القرآن الكريم مرتباً حسب النزول:

وبينَّ في ذات الوقت عامه، وخاصه، ومطلقه، ومقيده، ومحكمه ومتشابهه وناسخه ومنسوخه، وعزائمه ورخصه، وسننه، وآدابه [١٦٦] كما أشار الامام (ع) الى أسباب النزول لايات الكتاب العزيز، حتى لقد قال ابن سيرين: لو أصبت ذلك الكتاب لكان فيه العلم[١٦٧].

وجَمْعُ الامام (ع) للقرآن الكريم على النمط المذكور انما هو للتفسير أقرب منه للجمع الخالص، فقد أودع في عمله ذلك علماً كثيراً، الأمة في مسيس الحاجة الى مثله.

كما أن أمير المؤمنين (ع) قد تفرغ للعمل الرسالي الكبير، بعد حادثة السقيفة وما تمخض عنها من استخلاف أبي بكر، فعكف (ع) على انجاز المهمة التاريخية في تدوين القرآن في مصحف واحد. ولقد روى عنه بهذا الصدد قوله:

- «لما قبض رسول الله (ص) أقسمت أن لا أضع ردائي على ظهري

(١٦٦ - ١٦٧) المراجعات / السيد عبد الحسين شرف الدين مراجعة (١١٠) ص ٣٢٦.

حتى أجمع ما بين اللوحين، فما وضعت ردائي حتى جمعت القرآن»[١٦٨].

وبمقدور المرء أن يقدر قيمة ذلك العمل اذا وضع نصب عينيه ما يحظى به القرآن الكريم من قيمة عظمى في دنيا المسلمين من الوجهة الفكرية والتشريعية والحضارية.

٢ ـ مصحف فاطمة:

ويبدو أن الامام (ع) بادر ـ بعد انجاز مهمة جمع القرآن الى تأليف كتاب لفاطمة الزهراء (ع) صار يعرف عند ابنائها بمصحف فاطمة، وكان يتضمن مواعظ وحكماً وامثالها وعبراً واخباراً وأفكاراً مستقبلية لتكون عوناً على التخفيف من الالام التي اكتنفت حياة الزهراء (ع) بعد وفاة أبيها رسول الله (ص)[١٦٩].

٣ ـ الصحيفة:

وهي كتاب في الديات «وهي الأموال المفروضة في الجناية على النفس او الطرف أو الجرح أو نحو ذلك وتثبت الدية في موارد الخطأ المحض أو الشبيه بالعمد أو فيما لا يكون القصاص فيه أو لا يمكن...»[١٧٠].

وقد روى البخاري ومسلم من تلك الصحيفة وأوردها ابن سعد في كتابه الجامع، كما أكثر ابن حنبل الرواية عن هذه الصحيفة.

٤ ـ الجامعة:

وهي كتاب في صحائف من الجلود، أملاه رسول الله (ص) على أمير المؤمنين (ع) وقد تضمن كل ما يحتاج اليه الناس من حلال وحرام، وقد جاء الكتاب مفصلاً لما جاء في كتاب الله من أحكام وأوامر ونواه.

---

(١٦٨) مناقب ال أبي طالب ج ١ «في المسابقة بالعلم» ج ٢ ص ٤١. وفي الاتقان ومناقب الخوارزمي مثله

(١٦٩) المراجعات مراجعة ١١٠ ص ٣٢٧.

(١٧٠) مباني تكملة المنهاج ج ٢ كتاب الديات/ السيد أبو القاسم الخوئي/ طبع النجف

وقد ورث الائمة من أهل البيت (ع) هذا الكتاب كابرا عن كابر، وكانوا يطلقون عليه تارة اسم الجامعة، وتارة الصحيفة، واخرى كتاب علي، ورابعة الصحيفة العتيقة.

ووردت عن الصادقين (ع) عدة روايات تؤكد أهمية كتاب الجامعة، وكونه مرجعهم في أخذ التشريع الالهي، وأنهم لا يحتاجون الى الناس لوجود ذلك الكتاب، فعن أبي عبد الله الصادق (ع) قال: «**ان عندنا ما لا نحتاج معه الى الناس، وان الناس ليحتاجون الينا، وان عندنا كتاباً أملاه رسول الله (ص) وخطه علي (ع) صحيفة فيها كل حلال وحرام**»[١٧٢].

ويقول الامام الصادق (ع) أيضاً يصف فيه الجامعة: «**تلك صحيفة طولها سبعون ذراعاً في عرض الأديم مثل فخذ الفالج، فيها كل ما يحتاج الناس اليه، وليس من قضية الا وهي فيها حتى أرش الخدش**»[١٧٣].

٥ ـ صحيفة الفرائض:

ويبدو أن هذه الصحيفة قد دون فيها الامام (ع) قضاءه في المواريث وغيرها من أبواب القضاء، ومن المرجح أن تكون هذه الصحيفة بعضاً من «الجامعة»[١٧٤].

٦ ـ كتاب الجفر:

«وهو لغة جلد الماعز أو البعير أو الثور»:

وقد أطلق اسم الجفر على أحد أبواب العلم الذي دونه الامام امير المؤمنين (ع) من املاء رسول الله (ص) على جلد، ويبدو أن كتاب الجفر غير الجامعة من ناحية المدلول الذي يتضمنه. فالجفر كما تفيد روايات الائمة من أهل البيت (ع) ينطوي على حوادث المستقبل، وصحف الأنبياء السابقين

---

(١٧٢) أصول الكافي ج ١ باب ذكر الصحيفة والجفر والجامعة، ومصحف فاطمة (ع).

(١٧٣) الأديم = الجلد. الفالج = الجمل العظيم ذو السنامين. والأرش = دية الجراحات.

(١٧٤) عقيدة الشيعة في الامام الصادق/ السيد حسين يوسف مكي العاملي ص ٦٤

والكتب المنزلة قبل القرآن الكريم[١٧٥].

وللامام علي (ع) تصانيف أخرى ذكرها المؤرخون ككتاب زكاة النعم، وكتاب في أبواب الفقه، وكتاب في علوم القرآن وغيرها[١٧٦].

المصنفات في تراث الامام الفكري:

وبالرغم من أن الامام (ع) قد دون عددا من المؤلفات العظيمة فانه يبدو أن مؤلفاته قد انصبت على ما قصت به الضرورة من حفظ الرسالة الالهية وتوضيح معالمها للاجيال من خلال شرح القرآن الكريم، وتبيان بعض مقاصده، أو تحديد بعض أبواب الفقه الاسلامي، أما اراؤه وأفكاره الأخرى التي تحتل مركز الريادة في الفكر الاسلامي، والتي جاءت انعكاساً للرسالة الالهية على صفحة ذهنه وعقله، فكانت خطبا ومناقشات وحكما ومواعظ وتوجيهات ونحوها من أدوات التعبير عن ماهية الرسالة. فالامام (ع) لم يتصدّ لجمعها في تصانيف محددة ومن المؤكد ان يكون جزء كبير منها قد اندرس بيد أن بعضا من آرائه وأفكاره قد حظي بالتدوين بعد زمن طويل من وفاة الامام (ع) ومن المرجح أن يمثل ذلك البعض نسبة جد قليلة من عطائه الفكري العظيم الذي وهبه للامة عبر عمره الشريف.

فقد جمع العلماء بعض ما خلفه الامام (ع) من مبادىء ومفاهيم في مؤلفات عديدة نذكر منها:

١ ـ **نهج البلاغة**، جمعه الشريف أبو الحسن الرضي بن الحسين الموسوي، المتوفى سنة ٤٠٦ هـ ويشتمل الكتاب على ما اختاره الشريف من خطب الامام (ع) وكتبه ورسائله وحكمه ومواعظه. وقد اهتم بالكتاب المذكور جل العلماء والمفكرين ورجال الأدب قراءة واستيعابا وشرحا، حتى بلغت شروحه أكثر من خمسين شرحا. ومن أشهر الشراح لنهج أبو الحسن

---

(١٧٥) راجع أيضا تحقيق ما ورد ذكر الصحيفة، الحفر والجامعة ومصحف فاطمة (ع) وعلوم الائمة لصادق ص ٦٦.

(١٧٦) أعيان الشيعة ج ٣ ق ٢ ص ٣ (المؤلفات لغير المؤمنين (ع))

البيهقي، والامام فخر الدين الرازي، والقطب الراوندي، ومحمد ميثم البحراني، وعز الدين بن أبي الحديد المدائني، ومحمد عبده وغيرهم.

ولقد انطوى نهج البلاغة على روائع في الفكر بشتى شعبه ومناحيه: في العقائد والأخلاق ونظام الحكم وطبيعة المجتمع، وعلاقة الانسان بالله تعالى ونحو ذلك من أبواب.

وهو الى جانب ذلك جاء آية في الأدب الانساني الرفيع الذي عز نظيره في أدب اللغة العربية دقة وعمقاً وتصويراً وجزالة الفاظ.

٢ ـ **مسنده** الذي جمعه أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي المتوفى سنة ٣٠٣ هـ وأسماه مسند علي، وقد ضمنه بعض ما أثر عن الامام (ع) من أحاديث وروايات عن رسول الله (ص).

٣ ـ **غرر الحكم ودرر الكلم**. جمعه عبد الواحد بن محمد الآمدي، وهو يشتمل على طائفة من حِكَم الامام (ع) القصيرة ويقارب في حجمه نهج البلاغة.

٤ ـ **مطلوب كل طالب من كلام علي بن أبي طالب**. جمعه أبو اسحاق الوطواط الأنصاري ويحتوي على طائفة من حِكَم الامام (ع).

٥ ـ مائة كلمة جمعها الجاحظ.

٦ ـ **نثر اللآلىء** جمع أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي صاحب مجمع البيان في تفسير القرآن.

٧ ـ ما تشتمل عليه **كتاب صفين** لنصر بن مزاحم من خطب الامام (ع) وكتبه.

٨ ـ **جنة الأسماء**: شرحه الامام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥ هـ.

٩ ـ ما أثر عنه من **الأدعية والمناجاة** وقد طبع بعضه باسم الصحيفة العلوية. جمعها عبد الله بن صالح السماهيجي.

١٠ ـ **فلائد الحكم وفرائد الكلم** جمع القاضي أبي يوسف الاسترابيني، وغير ذلك من التصانيف(١٧٧).

(١٧٧) راجع أعيان الشيعة ق ٢ ج ٣ ص ٢٧٤ ط ٣ ـ بيروت للسيد محسن الأمين.

انباء المستقبل

والمقصود بها هنا ما تحدث به الامام (ع) عن أمور مستقبلية وشيكة الوقوع بعد عصره، منها ما يختص بأفراد معينين، ومنها ما يتعلق بمسيرة الأمة المسلمة كمجموع.

وبطبيعة الحال ان ما طرحه الامام (ع) من هذا القبيل كان قد تلقاه من رسول الله (ص) مباشرة، أو وعاه بنفسه بما أعطاه الله من طاقة روحية هائلة تمنحه القدرة على استقراء المستقبل والاستشراف على حوادثه وقواه المؤثرة، والجوانب الايجابية فيه والسلبية.

ولقد رأينا في بداية هذا الفصل كيف أن الامام (ع) يعلن على المنبر مراراً عن قدرته على كشف الكثير من أحداث المستقبل:

«... لا تسألوني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة ولا عن فئة تهدي مائة وتُضل مائة الا نبأتكم بناعقها وقائدها، وسائقها ومناخ ركابها ومحط رحالها، ومن يقتل من أهلها قتلاً ويموت موتاً...»(١٧٨).

واذا تتبعنا الفكر المستقبلي الذي حفظته لنا سيرة أمير المؤمنين (ع) وجدناه - بالرغم من قلته بالقياس الى غيره من أبواب فكر الامام (ع) - آية على عظمة الامام (ع) وسمو كيانه الروحي الذي أهله لمعرفة الكثير من أسرار المستقبل بما فيها من متغيرات في دنيا الأفراد والجماعات.

هذه جملة مما حفظ لنا المؤرخون في هذا المضمار.

١ - عن سويد بن غفلة أن علياً (ع) خطب ذات يوم، فقام رجل من

---

(١٧٨) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٨٦/ والبحار ج ٤٠ ص ١٣٠ عن النهج

تحت منبره، فقال:

ـ يا أمير المؤمنين، اني مررت بوادي القرى، فوجدت خالد بن عرفطة قد مات، فاستغفر له، فقال (ع):

ـ والله ما مات ولا يموت حتى يقود جيش ضلالة، صاحب لوائه حبيب بن حمار.

فقام رجل آخر من تحت المنبر فقال:

ـ يا أمير المؤمنين أنا حبيب بن حمار واني لك شيعة ومحب، فقال: **أنت حبيب بن حمار؟** قال: نعم.

فقال له ثانية: **والله انك لحبيب بن حمار؟**

فقال: إي والله!

فقال (ع): **أما والله انك لحاملها ولتحملنها، ولتدخلن بها من هذا الباب**، «وأشار الى باب الفيل بمسجد الكوفة» قال ثابت الشمالي ـ الذي روى الحديث عن سويد بن غفلة.

ـ فوالله ما مت حتى رأيت ابن زياد، وقد بعث عمر بن سعد الى (حرب) الحسين بن علي (عليه السلام) وجعل خالد بن عرفطة على مقدمته، وحبيب بن حمار صاحب رايته فدخل بها من باب الفيل[١٧٩].

٢ ـ عن اسماعيل بن رجاء قال:

قام أعشى باهلة ـ وهو غلام يومئذ حدث ـ الى علي عليه السلام وهو يخطب ويذكر الملاحم، فقال:

يا أمير المؤمنين، ما أشبه هذا الحديث بحديث خرافة!

فقال علي (ع): **ان كنت آثماً فيما قلت يا غلام، فرماك الله بغلام ثقيف**، ثم سكت فقام رجال، فقالوا:

ـ ومن غلام ثقيف يا أمير المؤمنين؟ قال:

ـ غلام يملك بلدتكم هذه لا يترك لله حرمة الا انتهكها، يضرب عنق

---

(١٧٩) شرح ابن أبي الحديد لنهج البلاغة ج ٢ ص ٢٨٧. أعشى باهلة = عامر بن الحارث.

هذا الغلام بسيفه، فقالوا:

ـ كم يملك يا أمير المؤمنين (ع) قال:

ـ عشرين ان بلغها، قالوا:

ـ فيقتل قتلاً أم يموت موتاً؟ قال:

ـ بل يموت حتف أنفه بداء البطن، يثقب سريره لكثرة ما يخرج من جوفه.

قال اسماعيل: فوالله لقد رأيت بعيني أعنتي باهلة، أحضر في جملة الأسرى الذين أسروا من جيش عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بين يدي الحجاج (بن يوسف الثقفي) فقرعه، ووبخه واستنشده شعره الذي يحرض فيه عبد الرحمن على الحرب، ثم ضرب عنقه في دلك المجلس[١٨٠].

٣ ـ قال علي (ع) لعمرو بن الحمق الخزاعي:

«يا عمرو انك لمقتول بعدي وأن رأسك لمنقول، وهو أول رأس ينقل في الاسلام، والويل لقاتلك! اما انك لا تنزل بقوم الا أسلموك برمتك».

قال الأزدي ـ راوي الحديث ـ فوالله ما مضت الأيام حتى تنقل عمرو بن الحمق الخزاعي في خلافة معاوية في بعض احياء العرب خائفاً مذعوراً، حتى نزل في قومه من بني خزاعة، فأسلموه، فقتل، وحمل رأسه من العراق الى معاوية بالشام، وهو أول رأس حمل في الاسلام من بلد الى بلد[١٨١].

٤ ـ إخبار الامام (ع) عن الضربة التي يضرب في رأسه فتخضب منها لحيته بسيف ابن ملجم المرادي لعنه الله تعالى

٥ ـ اخباره بامتلاك معاوية لأمر المسلمين بعده.

٦ ـ اخباره عن قتل الامام الحسين (ع) في كربلاء.

٧ ـ اخباره عن الحجاج بن يوسف الثقفي وما يكون من فعله.

٨ ـ اخباره عن حركة عبد الله بن الزبير وفشله وقتله.

٩ ـ وعن هلاك البصرة بالغرق مرة وبسيطرة الزنج عليها اخرى.

---

(١٨٠) نفس المصدر ص ٢٨٩ وص ٢٩٠

١٠ ـ واخباره عن مقتل محمد صاحب النفس الزكية واخيه ابراهيم بعد ثورتهما على العباسيين في عهد أبي جعفر المنصور.

١١ ـ وعن قيام الدولة العلوية في المغرب، ودولة بني بويه في العراق.

١٢ ـ اخباره عبد الله بن العباس عن انتقال الحكم الى أولاده وقيام الحكم العباسي.

١٣ ـ وعن خروج الامام المهدي عجل الله فرجه وقيام دولة الاسلام المباركة(١٨١).

ومن نافلة القول أن نشير الى أن نهج البلاغة ينطوي على الكثير من النصوص التي تناول الامام (ع) فيها الحديث عن امور مستقبلية، وقعت بعد عصره، واخرى نعايش طرفاً منها(١٨٢).

---

(١٨١) دراسات في نهج البلاغة ـ محمد مهدي شمس الدين ط ٢، ١٩٧٢ ص ١٨٦ وما بعدها. وللاستزادة يراجع فصل المغيبات من نفس الكتاب وج ٢ ص ٢٨٦ وما بعدها من شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ط ١، ١٩٥٩.

(١٨٢) مثل خطب الملاحم رقم ١٠١، ١٢٨، ١٣٨، ١٥٠، ١٥٨، ١٨٧، والخطب التي تتحدث عن آخر الزمان مثل ١٠٨ و ١٠٣ و ١٦٦.
الملاحم = الوقائع العظيمة.

طرف من مَواعظ الامام

وللامام باع طويل في القاء المواعظ البليغة التي تحمل الحجج البالغة، فتهز السامع والقارىء، وتترك أثراً عظيماً في النفس.

والموعظة عند علي (ع) تحمل مفاهيم وعطاء ثرا، تحدد للمسلم طريقه الى الله وأساليب تفاعله مع رسالة الله تعالى ومع الناس من حوله.

وفضلاً عما حمله نهج البلاغة من مواعظ لأمير المؤمنين (ع) فان كتب الوعظ والارشاد والتوجيه الاسلامي لا يكاد يخلو منها كتاب من ذكر طرف من مواعظ الامام (ع).

ونذكر هنا بعضاً من مواعظه التي ضمنها نهج البلاغة:

«أيها الناس لا تستوحشوا في طريق الهدى لقلة أهله، فان الناس قد اجتمعوا على مائدة شبعها قصير، وجوعها طويل.

أيها الناس: انما يجمع الناس الرضى والسخط، وانما عقر ناقة ثمود رجل واحد، فعمهم الله بالعذاب لما عموه بالرضى، فقال سبحانه: ﴿فعقروها، فاصبحوا نادمين﴾ فما كان الا أن خارت أرضهم بالخسفة خوار السكة المحماة في الأرض الخوارة.

ايها الناس، من سلك الطريق الواضح ورد الماء، ومن خالف وقع في التيه»[١٨٣].

---

(١٨٣) رقم النص ٢٠١ (باب الخطب): نهج البلاغة.

السخط = الغضب. ثمود = قوم نبي الله صالح (ع).

خارت = من الخوار صوت الثور، أي حين خسف الله أرضهم كان لها صوت كصوت الثور.

السكة المحماة = حديدة المحراث. الأرض الخوارة = اللينة الهشة.

- «أيها الناس، انما الدنيا دار مجاز، والآخرة دار قرار، فخذوا من ممركم لمقركم، ولا تهتكوا أستاركم عند من يعلم أسراركم، وأخرجوا من الدنيا قلوبكم من قبل أن تخرج منها أبدانكم، ففيها اختبرتم، ولغيرها خلقتم. ان المرء اذا هلك قال الناس: ما ترك؟ وقالت الملائكة: ما قدم؟ لله عليكم»[١٨٤].

- «أوصيكم عباد الله، بتقوى الله، التي هي الزاد وبها المعاد: زاد مبلغ، ومعاد منجح، دعا اليها أسمع داع، ووعاها خير واع، فأسمع داعيها، وفاز واعيها.

عباد الله ان تقوى الله حمت أولياء الله محارمه وألزمت قلوبهم مخافته، حتى أسهرت لياليهم، وأظمأت هواجرهم فأخذوا الراحة بالنصب، والري بالظمأ، واستقربوا الأجل فبادروا العمل، وكذبوا الأمل، فلاحظوا الأجل...»[١٨٥].

---

(١٨٤) نفس المصدر رقم النص ٢٠٣. مجاز = ممر الى الآخرة.

(١٨٥) نفس المصدر ص ١٤٤.

وعاها = فهمها وحفظها.

حمت = منعت، يعني التقوى منعت الأولياء من ارتكاب الجرائم.

الهواجر = الأيام الشديدة الحر ومع شدة حرارتها فقد أظمأ المتقون انفسهم فيها صوما.

النصب = التعب.

قبس من حكم الامام

ونختم هذا الفصل بايراد اضمامة من حكم أمير المؤمنين (ع) اتماماً للفائدة:

١ ـ اذا أقبلت الدنيا على أحد أعارته محاسن غيره واذا أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه.

٢ ـ أعجز الناس من عجز عن اكتساب الاخوان، وأعجز منه من ضيع من ظفر به منهم.

٣ ـ من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه.

٤ ـ ما أضمر أحد شيئاً الا وظهر في فلتات لسانه وصفحات وجهه.

٥ ـ فوت الحاجة أهون من طلبها الى غير أهلها.

٦ ـ قيمة كل امرىء ما يحسنه.

٧ ـ قال عليه السلام يصف الغوغاء: «هم الذين اذا اجتمعوا غلبوا واذا تفرقوا لم يعرفوا».

٨ ـ عجبت لأقوام يحتمون الطعام مخافة الأذى كيف لا يحتمون الذنوب مخافة النار.

٩ ـ أربع لو ضربتم فيهن أكباد الابل، لكان ذلك يسيرا: لا يرجونَّ أحد إلّا ربه، ولا يخافن الا ذنبه، ولا يستحي أن يقول لا أعلم اذا هو لم يعلم، ولا يستكبر أن يتعلم اذا لم يعلم.

١٠ ـ اتقوا معاصي الله في الخلوات، فان الشاهد هو الحاكم.

١١ ـ الثناء بأكثر من الاستحقاق ملق[١٨٦]. والتقصير عن الاستحقاق عيٌّ أو حسد.

---

(١٨٦) ملق = التملق. العي = العجز.

١٢ ـ عند تناهي الشدة تكون الفرجة، وعند تضايق حلق البلاء يكون الرخاء.

١٣ ـ من أصلح ما بينه وبين الله، أصلح الله ما بينه وبين الناس، ومن أصلح أمر آخرته أصلح الله له أمر دنياه، ومن كان له من نفسه واعظ كان عليه من الله حافظ.

١٤ ـ الفقيه كل الفقيه من لم يقنط الناس من رحمة الله ولم يؤيسهم من روح الله[١٨٧] ولم يؤمنهم من مكر الله.

١٥ ـ رب عالم قد قتله جهله، وعلمه معه لا ينفعه.

١٦ ـ عظم الخالق عندك يصغر المخلوق في عينيك.

١٧ ـ لا يكون الصديق صديقاً حتى يحفظ أخاه في ثلاث: نكبته، وغيبته، ووفاته.

١٨ ـ الناس ثلاثة: فعالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة وهمج رعاع اتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجؤوا الى ركن وثيق.

١٩ ـ الناس أعداء ما جهلوا.

٢٠ ـ من استبد برأيه هلك، ومن شاور الرجال شاركها في عقولها[١٨٨].

وبهذا نصل الى نهاية المطاف في حديثنا عن المقومات العامة لشخصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

وفقنا الله تعالى للأخذ بنهجه في الفكر والعمل انه سميع مجيب والحمد لله رب العالمين.

---

(١٨٧) روح الله = لطفه ورأفته. مكر الله = أخذه للعبد بالعقاب دون شعوره.

(١٨٨) للمزيد راجع باب المختار من حكم الامام (ع) في نهج البلاغة، وتحف العقول لابن شعبة الحراني ص ١٩ ج ٢٠ من شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد وغيرها.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
بزوغ الفجر	٧
في كفالة رسول الله (ص)	٨
حصيلة الإعداد النبوي	٩
في كنف الوحي	١١
أول المؤمنين	١٣
أول الدعاة	١٥
مواجهة الجاهلين	١٧
ابو طالب يتصدى لأعداء الرسالة	١٨
ابو طالب مع رسول الله (ص) في الحصار	١٨
إلى دار الإسلام	٢١
في فراش الرسول (ص)	٢٢
الإنتصار في قبا	٢٤
مهمات ما بعد الهجرة	٢٦
باس في الحرب	٢٧
١ ـ في معركة بدر	٢٧
٢ ـ في معركة أحد	٢٨
٣ ـ وفي غزوة الاحزاب	٢٨
٤ ـ وفي غزوة خيبر	٣٠
٥ ـ وفي غزوة حنين	٣١

الموضوع

الصفحة

علي منظار الإسلام ٣٣
إمام المسلمين وقائدهم ٣٧
خطبة الغدير ٣٧
علي في عهد الخلفاء ٣٩
في خلافة ابي بكر ٤٢
في خلافة عمر بن الخطاب ٤٣
في عهد عثمان ٤٧
خاتمة ٤٨

الجزء الثاني

الإمام الخليفة ٥٠
الميدان السياسي ٥١
الميدان الاقتصادي ٥٢
منهاج الإصلاح ٥٤
رفق وتعاهد ٥٩
رقابة دقيقة لوضع السوق ٦٢
تبني الإمام (ع) سياسة نكران الذات لصالح الأمة ٦٣
مساواة أهل بيته بسائر الناس ٦٦
سياسة رد الفعل ٦٩
موقف معاوية ٧٠
خلفيات المطالبة بدم عثمان ٧٢
موقف الإمام (ع) أيام الأزمة ٧٣
حرب البصرة ٧٥
الموقف الإنساني ٧٦

الصفحة

الموضوع

حرب صفين ٧٩
حرب النهروان ٨٣
في ذمة الله ٨٦

الجزء الثالث

توطئة ٩١
فضائل علي من حديث الرسول (ص) ٩٤
شخصية علي (ع) من خلال عناصرها الأساسية ٩٨
علاقة الإمام (ع) بالله تعالى ١٠٠
شواهد من عبادة أمير المؤمنين (ع) ١٠٢
صلاة وضراعة ١٠٢
ولع بالصلاة ١٠٥
عبادة الشاكرين ١٠٦
صلاة رسول الله (ص) ١٠٦
تعاهدوا أمر الصلاة ١٠٧
المنهج العبادي في خطوطه الاساسية ١٠٨
توكل صادق ويقين راسخ ١٠٨
مصاديق من زهد الإمام (ع) ١١٠
الجهاد في سبيل الله ١١٦
الاخلاق الإجتماعية ١١٩
إشاعة العدل الاجتماعي بين الناس ١٢٢
وصاياه للولاة ١٢٨
ومن تعليماته لجيوشه ١٢٩
حلم الإمام ١٣٣

الموضوع	الصفحة
التورع عن البغي	١٣٧
شواهد من صبر الإمام	١٤٠
في حقل المعرفة	١٤٧
من ابعاد المعرفة	١٥٤
صور من الفكر العقائدي	١٥٦
وحدانية الله عز وجل	١٥٧
الرسالة والنبوة	١٥٨
خط الامامة في دنيا الاسلام	١٦٠
صور من الفكر السياسي ـ الإجتماعي	١٦٢
مصنفات الامام (ع) واعماله الفكرية	١٦٥
جمع القرآن الكريم مرتباً حسب النزول	١٦٥
مصحف فاطمة	١٦٦
الصحيفة	١٦٦
الجامعة	١٦٦
صحيفة الفرائض	١٦٧
كتاب الجفر	١٦٧
المصنفات في تراث الإمام الفكري	١٦٨
نهج البلاغة	١٦٨
انباء المستقبل	١٧٠
طرف من مواعظ الإمام (ع)	١٧٤
قبس من حكم الإمام	١٧٦

مكتبة الروضة الحيدرية
الرقم ١٣-٨٠
التاريخ ٢٨/٣/٢٠١٦

دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع — بيروت - لبنان - ص.ب: ١٣/٥١٧٩